٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٦١٣

بطاقة مخطوط «مطبوع على الآلة الكاتبة»
«رسائل دكتوراه وماجستير»

عنوان المخطوط : الحركة الأدبية في الأردن ١٩٥٠م - ١٩٧٥م

الدرجة العلمية : ماجستير

الباحث، المؤلف، المحقق : عبد الرحمن أبو هاني

الأستاذ المشرف : الدكتور أسعد أحمد علي

الجامعة : جامعة القديس يوسف عام : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بيروت

فرع الآداب العربية

٦١٣

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

محتـــويـــات الرســـــالـــــة

الـبـــــاب الأول

المقدمـــة

تمهيد تاريخي واجتماعي وسياسي
العهد العثماني ،الثورة العربية الكبرى ،العهد الفيصلي
تأسيس الأمارة ،أنتداب واستقلال مملكة وسيادة

البـاب الثـــانـي

بواعث النهضة الأدبية في الأردن
التربيـــة والتعلـــيم ،الأذاعـــة ،التلفزيون ،الصحافـــة
المكتبـــات ،دائرة المطبوعات والنشـــر

البـــاب الثالـــث

الفنـــون الشعريـــة

الفصل الأول

تمهيد للحركة الأدبية قبل عام ١٩٥٠.
أثر الملك عبد اللـه على الأدب في هـذة الفـترة .
أشهر شعراء هذه المرحلة : مصطفى وهبي التل ،صبحي أبو غنيمـة.

الفصل الثانـي

مدرسة الشعراء المحافظين التقليديـة
تمهيد ،خصائصها الفنية ،أغراضها الشعريـة
أشهر أعلامها : عيسى الناعوري ،حسني فريز ،حسني الكيلاني ،كمال رشيد .

الفصل الثالـث

مدرسة الشعراء المجددين
تمهيد ،خصائصها الفنية ،أغراضها الشعرية
أشهر أعلامها : عبد الرحيم عمر ،فدوى طوقان ،أمين شنار ،نزيه القسوس ،
عاهد شاكر ،احمد ابو عرقوب ،محمد القيسي ،وليد سيف ،عز الدين المناصرة ،
علي فودة ،خالد الساكت .

الباب الرابع

الفنون النثرية

تمهيد ،أقسامها ،مذاهبها الأدبية ،خصائصها ، عناصر العمل الأدبي

المذاهب الأدبية للأدب الأردني .

الفصل الأول

مراحل تطور القصة القصيرة في الأردن

المرحلة الأولى ١٩٥٠ - ١٩٦٠ .

المرحلة الثانية ١٩٦٠ - ١٩٧٥ .

أشهر كتاب المرحلة الأولى : محمود سيف الدين الأيراني ،أمين فارس ملحس ، روكس العزيزي ،عيسى الناعوري .

الفصل الثاني

المرحلة الثانية من تطور القصة

المدارس الادبية لهذة المرحلة : الواقعية ، الواقعية الفائقة ، الواقعية الاشتراكية ،الواقعية الفنية ،القصة الرمزية ،القصة النفسية ،المذهب الرومانسي .

أشهر كتاب هذه المرحلة : خليل السواحري ،بدر عبد الحق ،فخري قعوار ، مصطفى صالح ،محمود شقير ،ابراهيم العبسي ،عمر عدس ،أحمد عوده ، فيد نحلة .

ملاحق الرسالة

الملحق الأول

التعريف بالأدباء المحليين الذين وردت لهم نصوص في هذه الرسالة .

ابراهيم الخطيب ،ابراهيم العبسي ،احمد عودة ،أنور أبو مغلي ،خليل قنديل ، روكس العزيزي ،عدنان خالد ،عزمي خميس ،عصام موسى ،عمر عدس ،محمود شقير ،

مصطفى صالح ، يوسف ضمرة ، يوسف الخزو ، محمود الأيراني ، عيسى الناعوري ، محمد العامري ، خليل السواحري ، بدر عبد الحق ، فخري قعوار ، جمال أبو حمدان ، نمر سرحان ، سالم النحاس ، مفيد نحلة ، مصطفى التل ، غسان زقطان ، محمد القيسي ، أحمد أبو عرقوب ، محمد ضمرة ، محمد الظاهر ، عز الدين الناصرة ، محمد لافي ، مؤيد المتيلي ، حسين حسنين ، عاهد شاكر ، جميعة السالم ، عبد الله منصور ، حسني فريز ، كمال رشيد ، سهيل أحمد ، عبد الرحيم عمر

الملحق الثاني

مختارات شعرية ونثرية

الشعر : فرح لا ينتهي - أمين شنار
وادي السلط - حسني زيد الكيلاني
قصر الحمراء - حسني فريز
المطارد - عبد الرحيم عمر
أخي الأنسان - عيسى الناعوري
في المدينة المهرمة - فدوى طوقان

القصص : الجائع - بدر عبد الحق
بخار الماء الساخن - فخري قعوار
رجل وأمرأة - محمود شقير
أعلان براءة - خليل السواحري
الطريق - ابراهيم العبسي .

الخاتمة

مصادر ومراجع الرسالة .

المقـــــدمـــــــــــة

المقدمـــــــــة

أحدد في هذه المقدمة أسباب اختياري للحركة الأدبية في الأردن موضوعا لدراستي فـــي الجامعة، والصاعب التي اعترضتني اثناء كتابتي للبحث .

كما أحدد المنهج الذى سرت عليه في كتابة هذه الرسالة. بينا تطور الحركة الأدبية في الاردن من شعر ونثر والعوامل التي أدت الى تطورها .

دوافـــع الاختيـــــــار :

لماذا أخترت الحركة الادبية في الأردن موضوعا لرسالتي ؟ :

لقد أطلعت على الادب الاردني منذ مدة طويلة، كنت أطالع ما تكتبه المجلات الأدبية علـى صفحاتها، ولا سيما المجلات التي تهتم بالأدب الأردني .

ولقد والبت الاهتمام بهذا الأدب قبل دراستي الجامعية حيث كنت اكتب في مذكرات خاصة كل ما يصدر عن هؤلاء الأدباء من أدب .

وعندما تأسست رابطة الكتاب الاردنيين واتخذت عمان مقرا لها، بدأت أتردد على هـــذه الرابطة، كي أتعرف على اعضائها، حيث نشأت علاقة قوية بيني وبين اعضاء هذه الرابطة.

وقد اهتممت بهذا الادب لانه يمثل أدبا عربيا انسانيا يساهم في الآداب الانسانية ويرفـــع من قيمة الانسان ليكون انسانا حرا بعيدا عن كل تعصب.

وعندما تقدمت الى الجامعة اليسوعية بدأت دراستي العليا فيها، اخترت هذا الموضـــوع، لكي أقدمه الى الجامعة، لانني اعرف ان جامعتي العريقة تهتم بالآداب الانسانية الـــتي تساهم في خدمة الانسان اينما كان، بغض النظر عن اللون والعرق والدين .

لقد تناولت حياة الشعر والنثر في الأردن، محددا هذه المدة بربع قرن اى من عام ١٩٥٠- ١٩٧٥ ثم مهدت للحركة الادبية قبل هذه المدة بينا أثر الملك عبد الله على بعث الادب من جديد .

الشعـــــــــر :

ما من شك في ان غياب الدراسات النقدية حول الشعر المعاصر في الأردن، هو السبب الكامن في بقاء الحركة الشعرية - في الاردن - خافية على الاذهان، في الداخل والخارج على حد سواء . وهذا الادب - بشكل عام - لم يحظ الا بدراسة واحدة هي مجموعة من محاضرات ألقاها الدكتور ناصر الدين الاسد على طلبة الدراسات العليا بمعهد البحوث والدراسات اللغوية في الجامعة العربية . . . عن الشعر المعاصر في الاردن وفلسطين . . قبل النكسة وبعدها . وقد نشرت هذه المحاضرات في كتاب صدر في القاهرة عام (١٩٦٠. ولكن هذا الكتاب لم يأت مقنعا، فهو عبارة عن مجموعة محاضرات اخذ الشطر الاكـــبر منها شعرا قبل النكســـة .

واستغرق الشعر الحديث صفحات قليلة تضمنت تعريفا موجزا بأشهر الشعراء، وحديثا موجزا عن بعض الدواوين الشعرية التي صدرت بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٠، كما ان هذه الدراسة

من جهة ثانية لم تكن دراسة نقدية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وانما جاءت بأسلوبها الاكاديمي، أقرب الى التاريخ الأدبي منها الى النقد ..

والواقع أن الدارس المتفحص للحركة الشعرية في هذا البلد ما بين عامي ١٩٥٠- ١٩٧٥ سوف يخرج بنتيجة غاية في الاهمية حول هذه الحركة تلك هي ان الشعر في الأردن لم يكن متخلفا او ضعيفا اذا ما قيس ببعض الاقطار العربية المجاورة .

بل ربما على العكس: تظهر هذه الحركة وكأن فيها حياة ، وحيوية، اكثر مما هي في حركات شعرية وادبية في بعض هاتيك الاقطار. ومع ذلك فان محنة الشعر والادب في الاردن سوف تظل طالما ان هناك صوتيات تحول دون نشر هذا الادب في الداخل والخارج بحيث يكسون صوتا مسموعا مدويا في جميع الآذان .

وسوف نبرز في هذه التوطئة القصيرة كيف ان ظاهرة الحياة، والنشاط، تسكن أعماق هذه الحركة ولا تفارقها . وكيف انها تتجلى وتتشكل من خلال الأطر ، والتيارات ، والاتجاهات الفنية والادبية والفكرية، التي تستوعب نتائج هذه الحركة الشعرية الاصيلة وأول ما يجتذبه الدارس وهو يرصد هذه الحركة ذلك اللون الشاسع الذى يفرق بين بعض الشعراء على المستوى الفني ، فعندنا من المنكبين على التراث القديم، يقلدونه ويحاكونه . وعندنا من المجددين الذين يأخذون بما توصل اليه الشعر الحديث من اساليب وخصائص عصرية مبتكرة. . . ترقى باعمالهم الى مستوى المدارس الشعرية الحديثة في العالم. وعندنا أيضا من هو في منزلة بين المنزلتين ، فنجده يحافظ على الاشكال التقليدية الخارجية للشعر وان كان يجعل من شعره التقليدى القالب مستودعا للأفكار والاحاسيس والمشاعر العصرية. فما هي اذن أهم اتجاهات هذه الحركة الشعرية على المستوى الفني ؟ .

والاجابة على هذا السؤال تتطلب أيضا حقيقة هامة وهي ان الشعر بوصفه ظاهرة اجتماعية كغيرها من ظواهر الحياة اليومية هو فن متطور كثير المرونة. فقد نجد ان شاعرا من الشعراء تقليديا في ديوانه الأول ومتطورا مجددا في ديوانه الثاني .

وهذا ما سوف نواجهه بالفعل حين ندرس اتجاهات هذا الشعر. والسمة الغالبة على شعر اصحاب هذا الاتجاه هي التمسك بالقوالب الشعرية القديمة من اوزان صارمة تقليدية ومتن استعمال للقوافي الرنانة .

ومن حرص على حشد التراكيب القوية المتينة . والحرص على المعنى العظيم في اللفظ الفخيم. ومن حيث الرؤيا الشعرية نجد القصيدة عندهم تبنى على الاساس التقليدى ، من حيث الاعتماد على تقديم رؤية فكرية للواقع لا رؤية فنية له. ولذلك نجد الفكرة هي الغالبة على الصورة لا العكس.

ونجد القصيدة أشبه ما تكون بالخطاب الحماسي او بالاعتراف الشخصي او المقال الصحفي ، ونجد الشعر الوجداني ، والاثر العاطفي ، ضائعين ، لا يبدوان الا من خلال الشعارات التي تفقد الشعر جوهره القائم على الاداء التصويري لا النظم التقديري .

وعند اصحاب هذا الاتجاه نجد التأثر بالتراث يصل إلى اقصى درجات حده ، بحيث نرى القصيدة وكأنها صورة من صور الموروث . وقد لا يتورع أحد شعراء هذا الطراز من ان يشبه الممدوح بالليث الغضنفر، وهو لا يدرك ان الليث هذا لم يعد في ايامنا شيئا اكثر من أسير في حديقة الحيوان .

او يصف المعركة وما فيها من غبار النقع وكأننا نعيش في عصر بشار بن برد ، او المتنبي .

وثمة شيء آخر نلاحظه من شعر هؤلاء الشعراء ، وهو الحرص على المناسبات الشعرية ، مثل الفخر والهجاء والرثاء والتهاني ووصف الطبيعة . الى ما هنالك من موضوعات يضمها مصطلح اغراض الشعر الذى عرف في النقد العربي القديم . ولو تصفح القارئ ديوانا مثل ديوان همس الذكريات لمحمد سليم الرشدان ، او ديوان اناشيدى . ويا أخي الانسان ، لعيسى الناعوري . . . لرأى جل هذه الدواوين ملأى بصور الشعر التقليدية . وتدل هذه الظاهرة على ان هؤلاء الشعراء يتصورون الشعر وكأنه صنعة شأنه في ذلك شأن النثر .

اما الاتجاه الثاني فيقع على نقطة التقاطع بين القديم والحديث ، وشعر هذا الاتجاه منهم من بدأ تقليديا وتطور فيما بعد . ومنهم من جمع بين مظاهر التقليد والتجديد في الشعر ، على نحو جعل للتجربة الشعرية نوعا من النضج والأصالة ، والخصوصية التي تميزه عن غيره . فالشاعر حسني فريز نجده يتقيد تقيدا كاملا بالأوزان القديمة ، وبناء القصيدة من الناحية العامة ، ولكنه مع ذلك يملأ هذه القصيدة بالكثير من ابداعه الخاص ونجده يصف حنينه وتعلقه بالوطن بأسلوب بعيد عن التقرير والخطابة ، كما أن تعبيراته تمتاز بالبساطة والشفافية التي تعكس الصدق ، والاصالة الشعرية ، ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن يوسف الخطيب الذى قدم لنا في ديوانه (العيون الظماء للنور) وديوانه (عائدون) تجربة شعرية ناضجة . . . ونجد أيضا ، من الشعراء من قدّم لحياته الفنية بشيء تقليدى ، ثم احدث لنفسه اسلوبا خاصا بعد ذلك .

وهنا ينطبق على راضي صدوق في ديوانه الأول (كان لي قلب) وفدوى طوقان في ديوان (وحدى مع الايام) ومنهم من جمع في ديوان واحد بين نوعين من الشعر : تقليدى وحديث كأيوب طه . في ديوانه " شتاء ونار " .

اما الاتجاه الثالث : فهو الاتجاه الحديث في الشعر المعاصر ، واعني بهذا الأصطلاح ما يعنيه الاخرون من ان الشعر الحديث هو الذى يقدم لنا رؤية حديثة للعالم والواقع . والرؤية الحديثة للواقع هي مما يناقض شعر المناسبات اولا ، ومما يناقض الخطابة والتقرير ثانيا ، وحين نزعم بأنه يناقض شعر المناسبات فان هذا يعني انه شعر مقصور على مناسبة واحده دون غيرها وهي القضية التي تهم الشاعر بحيث يكرس لها فنه وحياته ، وحين نقول - أيضا - انه يناقض الخطابة والتقرير فاننا نعني بذلك انه يقدم لنا رؤية فنية للواقع وليس رؤية فكرية . بمعنى ان الاراء والمفهومات الفكرية لا تظهر الا على هيئة صورة فنية ، وفي هذه الحالة لا يمكن استخراج الفكرة بالاساليب القديمة - عن طريق الشرح والتفسير - وانما بطريقة التذوق الحقيقي تماما كما نتذوق السكر المذاب في كوب الشاي .

وهذا المظهر الذى يميز هذا الاتجاه من شعرنا الحديث حفظ له قيمته الفكرية والجمالية معا ، ولم يدع جانب المضمون يتغلب على الشكل ، أو الشكل يتغلب على المضمون . ويكفينا تمثيلا لما اوضحنا ان نضع ضمن هذا الاتجاه دواوين فدوى طوقان وهي على التوالي : " أعطنا حبا " و " وجدتها " و " أمام الباب المغلق " ثم " الليل والفرسان " . وسلمى الخضراء الجيوسي وديوانها " العودة من المنبع الحالم " . وديوان " أغنيات للصمت " لعبد الرحيم عمر . وديوان " أحزان صحراوية " لتيسير سبول .

كما نجد هذا الاتجاه شائعا عند شعراء في النصف الثاني من عقد الستينات : واصدروا شعرهم في دواوين بعد عام ١٩٦٧ مثل وليد سيف ومحمد عز الدين المناصرة ومحمد القيسي وآخرون لم ينشروا المجموعات الشعرية مثل فايز صياغ وسليم دبابنة .

واما امين شنار فقد نشر ديوانا تقليديا في الخمسينات هو " الشعل الخالد " وهذا الديوان لا يمثل خطه الشعرى وان كانت تمثله بشكل أدق قصائده المتناثرة في اعداد الافق الجديد ..... وافكار .

والى جانب هذه الاتجاهات الفنية في شعرنا المعاصر ، هنالك ايضا أطر واتجاهات فكرية ومضمونية تحتوى هذه الحركة .

ويظهر في هذه الحركة اتجاه كلاسيكي وهو اتجاه تتلخص همومه بالوصف ، والغزل الغرامي ، والمدح والرثاء والهجاء والفخر ، كما سبق ان اوضحنا ، وهذا النوع من الشعر لا نستطيع ان نعطيه اعتبارا فكريا معينا .

وخير مثال لهذا النمط الشعرى ديوان " همس الذكريات " لمحمد سليم الرشدان . على أن ابرز الاتجاهات الفكرية في شعرنا الاتجاه الرومانسي ، والاتجاه الواقعي ، وربما جمع شاعر أو أكثر بين هذين الاتجاهين .

اما بشكل يظهر بعد الشقة بينهما . واما بشكل جميل يشعرنا بوحدة الرؤيا التي صدر عنها الشعر .

ومن الشعراء الرومانسيين الذين ذكرناهم : فدوى طوقان ، راضي صدوق ، تيسير سبول ، أمين شنار .

ونجد هؤلاء الشعراء مهتمين أولا وأخيرا بهمومهم الخاصة .

دون ادنى اهتمام بالجماعة ، ففدوى طوقان على سبيل المثال مشغولة منذ ديوانها الاول بقضايا الوحدة والقلق والحزن والشوق الى المجهول ، والتعطش الى الحب ، ثم الانشغال بالحب نفسه .

بعد ذلك البكاء على فشل هذا الحب ، والعودة من ثم الى الحزن والقلق والتصوف والرثاء .

وتيسير سبول أفرغ حزنه المأساوى في قصائد " أحزان صحراوية " ولم يطرق في ديوانه هذا اى موضوع اجتماعي .

وامين شنار تحدث في ديوانه الاول عن الدين ، وحكمت المتيلي ايضا تحدث عن الحزن

والسفر والضياع والسأم ، وايوب طه خصص شطرا كبيرا من صفحات ديوانه للعواطف الغرامية الشخصية .

اما الاتجاه الواقعي فعلى العكس من ذلك نجده مهتما ، أولا ، بالقضايا الاجتماعية مثل النكبة الفلسطينية ، وقضايا الفقر والحرمان ، التي تعاني منها فئات كثيرة من أبناء المجتمع . ويوسف الخطيب في ديوانيه اللذين أشرنا اليهما في اول هذه التوطئة .

وعبد الرحيم عمر في ديوانه " أغنيات للصمت " وان لم يخل الديوان نهائيا من القصائد الرومانسية .

وفدوى طوقان في ديوانها " الليل والفرسان " وان لم يخل هو ايضا من قصائد رومانسية .

وحسن النجمي أيضا في ديوانه " كلمات فلسطينية " وفايز صياغ ، وسليم دبابنة ، وأحمد ابو عرقوب ، وسلمى الخضراء الجيوسي ، في ديوانها " العودة من النبع الحالم " وان لم يخل هو الآخر من قصائد رومانسية قليلة . . .

القصة :

يمكن القول أن ظهور الحركة القصصية الأردنية جاء متأخرا اذا ما قورنت بظهورها في بعض الأقطار العربية المجاورة مثل مصر ولبنان .

ويكاد المؤرخ لحركة القصة القصيرة في الأردن وفلسطين يتبين ثلاث مراحل تحدد خط التطور لهذه الحركة . ففي المرحلة الاولى (مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها بقليل) تعتبر مرحلة النشوء والتأسيس .

وقد كان " لخليل بيدس " الفضل الأكبر في نشر هذا اللون من الادب في فلسطين . متنبها اكثر من اسلوب ، كالترجمة والتأليف والنشر . أما الترجمة فيشهد الدكتور ناصر الدين الاسد بانها لم تكن ترجمة سليمة ، متقيدة بالاصول النصية للمواد المترجمة ، بل كانت ترجمة لا تخلو من التحوير والتغيير .

أما بالنسبة للتأليف فحسبه انه مؤلف اول مجموعة قصص قصيرة في فلسطين ، وكان عنوانها " مسارح الأذهان " التي صدرت في مصر عام ١٩٢٤ . أما بالنسبة للنشر فقد افسح اوسع المجالات امام ما يمكن نشره من روايات مسلسلة او قصص قصيرة ، سواء كانت موضوعة أم مترجمة ، وذلك في مجلته " النفائس " التي واظبت على الصدور مدة ليست بوجيزة ، ومع ظهور محمود سيف الدين الايراني بأولى مجموعاته القصصية " أول الشوط " ونجاتي صدقي ، تبدأ المرحلة الثانية التي تمتد من الحرب العالمية الثانية الى نهاية الخمسينات . وتتصف هذه المرحلة بعدة ميزات تنسجم مع الطابع العام لجل المراحل المشابهة التي يتطلبها تأصيل نوع جديد من الفن وتوكيده . وأولى هذه الخصائص : قلة الانتاج المنشور ، فمثلا محمود سيف الدين الايراني لم ينشر بعد مجموعته الأولى ، وخلال هذه الحقبة الطويلة سوى مجموعته

" مع الناس" وكذلك نجاتي صدقي الذي لم ينشر إلا مجموعة " الاخوات الحزينات". وظهرت بعض المجموعات التي لم يكن اصحابها من المنقطعين لفن القصة القصيرة كما هو الحال بالنسبة لمجموعة " شعاع النور" لصاحبها محمد أديب العامري مثلا . وضآلة الانتاج التي تميزت بها هذه المرحلة في الأردن وفلسطين يقابلها عطاء جم وغزير بالكثير من البلدان العربية ك " لبنان " ومصر وسورية. وتأتي هذه الخصائص : ان القصة القصيرة لهذه الفترة كانت تعاني من مآخذ متعددة على صعيد الشكل والمضمون. فهي أميل الى الحكاية الطويلة الملخصة. وابعد ما تكون على المواقف الشعورية التي ترتكز القصة المكثفة الحدث وهي فوق ذلك اميل الى الاهتمام بالاشخاص على حساب العناصر الأخرى ، بحيث تبدو القصة وكأنها هي الشخصية ، والشخصية هي القصة. كما ان هذه المرحلة تميزت بتأثر القصة باصناف القول الأخرى مثل الشعر التقليدي ، والنثر الفني . وكثيرا ما نجد كتاب هذه المرحلة يميلون الى الأساليب الانشائية ، ويغرقون انفسهم في انتقاء الألفاظ الجزلة والعبارات الفخمة ، والاوصاف الطريفة ، بحيث تكاد تظهر القصة وكأنها مائدة مترعة بالترف اللغوي . أما بالنسبة للمضمون فتميل قصص هذه الفترة الى الموضوعات الرومانسية ، معتمدة على استغلال الاحداث الغريبة ، والاشخاص الظرف ، او الشاذين ، والوعظ الداعي الى التماس فضيلة من الفضائل والنهي عن رذيلة من الرذائل . واذا تناولت القضايا الوطنية تناولتها بشكل عفوي مبسط يبتعد بها عن عمق الموقف الايديولوجي وتظهر فيها النزعة الفردية ذات المحتوى التأخري الواضح .

وفي بداية الستينات بدأت مرحلة جديدة من مراحل تطور القصة القصيرة في الاردن ويرجع الفضل في ذلك إلى ظهور المجلة الهامة التي كان لها الفضل في خلق التيار القصصي وأثرائه . وتعميق مجراه . واعني بها مجلة " الافق الجديد" التي كان يرأس تحريرها أمين شنار .

وقد ظهر على صفحات تلك المجلة عدد متواضع من القاصين الشبان الذين ادت جهودهم الى خلق اتجاه متميز في القصة أتى ثماره في السبعينات ومن هؤلاء القاصين محمود شقير ومنير سرحان وفخري قعوار وفاروق وادي وصبحي شحرور وماجد ابو شرار ووليد سيف . وغيرهم كثير. وقد كانت مجلة الافق الجديد تسهم في خلق الحركة القصصية لا عن طريق النشر فقط. ولكنها لجأت الى اسلوب آخر مفيد هو تشجيع النقد الذي يتناول القصص بشكل خاص. كما عمدت الى اقامة الندوات ، وترجمة النصوص القصصية المشهورة ، فضلا عن تعريف الكتاب ، والقراء ، بفن القصة ، اما عن طريق الابحاث المكتوبة بخط جهود المجلة ، او عن طريق عرض الكتب ، على ان الحقيقة المسلم بها هي ان تيار القصة القصيرة لم يبلغ حدا من القوة والتأكيد كالذي هو عليه الآن . فقد شوهد نشاط ملحوظ في هذه المرحلة لدى الكتاب الرواد . فقد نشر محمود سيف الدين الايراني مثلا ثلاث مجموعات قصصية جيدة. ونشر عيسى الناعوري ما يقارب هذا العدد اما القاصون الشبان فانهم لم يكتفوا بالاستفادة من نتاج الرواد أمثال الايراني والناعوري وصدقي وسواهم . بل انفتحوا على انتاج القاصين الكبار

لا في العالم العربي وحده بل في العالم أجمع. كما ان ظهورهم جاء في وقت طغت فيه بالهزات السياسية ، والفكرية ، ففي " الستينات" و " السبعينات" تغيرت موازين الامور . وانقلبت النظرة الى الاشياء . واصبح على الأديب سواء كان شاعراً أو قاصاً او ناقداً أن يتخذ لنفسه موقفا مما يدور حوله . ولم يعد من المأذون به للكاتب ان يحتجز ذاته بين جدران برجه العاجي ليكتب مسبحا بحمد ربة الشعر ، او الهة الفن ، كما اصبح من المألوف ان ينزل الكاتب الى مستوى الفئة الاجتماعية التي يخاطبها . ولم تعد القوالب الانشائية ، والتماثيل البشرية ، هي المقياس الذي يحتكم اليه القارىء في استحسان ما يستحسن ، واستهجان ما يستهجن . والسؤال إذن : ما هي التوجيهات المختلفة التي تميز بها الشباب من كتاب القصة القصيرة؟

ليس من الصعوبة على القارىء المتابع لنتاج الشباب القصصي أن يتبين لهم بعض التوجيهات التي قد يشترك في بعضها اكثر من قاص . او قد ينفرد ببعضها قاص واحد .

ولعل ابرز هذه الاتجاهات ، الاتجاه الواقعي ، والاتجاه الرومانسي ، والاتجاه الرمزي .

كذلك نجد ان العناصر الاساسية للقصة القصيرة متوفرة في هذه المرحلة ، كذلك نرى بوضوح وحدة الزمان والمكان وترابط الاحداث .

على نحو ما تقدم ، عرضت الحركة الأدبية في الأردن في مقدمة واربعة ابواب وملحقين وخاتمة .

الباب الأول

تمهيد تاريخي واجتماعي وسياسي

دانت بلاد "شرق الاردن" للعثمانيين بعد ان تمت لهم الغلبة على المماليك عام ١٥١٦ (١). وكان هم العثمانيين في هذه البلاد - كغيرها من بلاد الشام - جمع الاموال وتجنيد الرجال. ولم تكن بلاد "شرق الأردن" في نظرهم تزيد عن كونها طريقا للحجاج يعبرون بها سنويا ذهابا وايابا بين "دمشق" و "المدينة المنورة"، فالسلطان "سليم" الذى اطلق نفسه اميرا للمؤمنين، وخادما للحرمين الشريفين وجد نفسه مضطرا الى تأمين سلامة الحجاج وتسهيل سفرهم وحمايتهم من اعتداءات البدو، الامر الذى حدا به الى بناء سلسلة من القلاع على طول الطريق، وانشاء بركة او اكثر لخزن الماء إلى جانب كل قلعة من هذه القلاع كي يتسنى للحجاج ان ينزلوا عندها في مراحل سيرهم للراحة والتزود بالماء.

وزيادة في الاحتياطات فقد عقدت الدولة اتفاقيات مع شيوخ القبائل القوية التي كانت تقوم عادة على مقربة من طريق الحج. كانت بموجبها تدفع لهم مبالغ من المال لكي يحافظوا على الامن ويشرفوا على ملء البرك بمياه الأمطار.

ولم يذكر ان البدو نقضوا عهودهم الا عندما كان رجال الدولة ينقضون تلك الاتفاقيات فلا يدفعون الاموال المعتادة لشيوخ القبائل. ونتيجة ذلك كان البدو يهاجمون موكب الحجاج، ويفتكون برجال القوة العسكرية التي ترافقهم، ويسلبون الحجاج انفسهم كي يجبروا رجال الدولة الالتزام والوفاء بالتزاماتهم نحوهم.

ولم تحاول الدولة العثمانية من جانبها، تأسيس جهاز حكومي فعال في المنطقة، وكانت تكتفي احيانا بتسيير حملات عسكرية الى هذه الجهة او تلك، فتضرب السكان فيها دونما رحمة ولا تفريق، لتثبت هيبتها في النفوس. ولم يكن امر استتباب الامن الداخلي يلقى اى اهتمام او عناية، لذلك كثرت الحروب والغزوات بين القبائل البدوية من جهة وسكان القرى من جهة اخرى، حتى اضطر الكثيرون من اهل القرى الى دفع ما يسمى - الخاوة - وهي اتاوة او ضريبة يحصلها البدو على شكل حبوب او ماشية او نقود من اهل القرى الذين يجاورونهم، مقابل كف اعتداءاتهم عنهم، والسماح لهم بزراعة اراضيهم.

وقد ادى هذا الى تناقص عدد السكان لسبب الهجرة او الحروب، كما ادى الى اهمال الارض وعدم العناية بها، وغرس الرعب في النفوس وانتشار اللصوص وقطاع الطرق.

ونشأت من اعتداءات البدو، ان قام سكان القرى بتشكيل وحدات متحالفة تتألف كل وحدة منها من قرية او عدة قرى، وتتزعمها اقوى عشيرة بينها وكانت هذه الوحدة تحاول المحافظة على كيانها وحماية مزروعاتها ومواشيها من الاعتداءات ومواجهة الاخطار صفا واحدا.

ولكن الحياة الاجتماعية في هذه القرى، لم تكن ديمقراطية، فان شيخ العشيرة القوية كان يفرض نفسه حاكما شبه مطلق على الاهلين في منطقته، فيقضي بينهم ويفصل في منازعاتهم،

---

(١) فيليب حتى - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. ج ٢ ترجمة كمال اليازجي - المطبعة البوليسية - ١٩٥٩ - ص ٢٠٦

ويتمتع بنفوذ قوى وسلطان كبير على الأهلين ، وكان زعماء تلك النواحي ينجحون احيانا في صد غائلة عدوان القبائل البدوية ، واحيانا لا ينجحون . وقد بلغت شدة وطأة البدو في نواحي " عجلون " خلال النصف الاخير من القرن الماضي ، ان اعتزم سكان القرى في المنطقة على الهجرة منها . ويبدو ان الحكومة قد شعرت بخطورة الموقف فأرسلت قوة عسكرية تعاونت مع الاهلين على مهاجمة منطقة " وادى العرب " التي كان البدو يتخذون منها معقلا للانقضاض على القرى وارهابها . ووفقت تلك الحملة . . في القضاء على افراد قبيلة " السعيدى " حيث قتل عدد كبير منها .

وعلى اثر ذلك نزحت بطون " بني صخر " الى " البلقاء " في الجنوب . والى " وادى الاردن " . ويتنفس القرويون الصعداء وازدادت ثقتهم بأنفسهم .

وفي عام ١٨٦١ م قررت الحكومة العثمانية تقسيم " شرق الاردن " الى وحدات ادارية ، كل واحدة منها تعرف باسم " سنجق " (١) . فكانت هذه التقسيمات على النحو التالي : سنجق عجلون) وسنجق الكرك) و (قضاء البلقاء .

وكان سنجق " عجلون " ما بين نهر اليرموك شمالا ونهر الزرقاء جنوبا ، ومركزه " اربد " .

وكان قضاء " البلقاء " ما بين نهر " الزرقاء " شمالا ، ووادى " الموجب " جنوبا ومركزه " السلط " .

اما سنجق " الكرك " فكان يشمل القسم الجنوبي من " شرق الاردن " الواقع بين وادي " الموجب " شمالا و " العقبة " جنوبا .

وكان يحده شرقا وادى " سرحان " وغربا نهر الأردن والبحر الميت ووادي عربة " وكانت مدينة " الكرك " مركزه .

وقد حاولت الادارة العثمانية بعض المحاولات لتفادى ضعف الادارة ، وطغيان عنصر البداوة ، وكان من بين هذه المحاولات ، انها اسكنت جماعة من " الشركس " عند ينابيع المياه من " شرق الاردن " نحو " جرش والزرقاء " وعمان وصويلح . وناعور ووادى السير " . وذلك عام ١٨٧٨م . فكان استيطان " الشراكسة " عنصرا في نشر الامن في " البلقاء " وفي الاستثمار النشيط في جوانب من " شرق الاردن " وكان من محاولات الادارة العثمانية كذلك ارسال قوة عسكرية الى نواحي " عجلون " للتعاون مع الاهلين على صد طغيان البدو الذين كانوا يحملون سكان القرى في تلك النواحي على الهجرة وترك اراضيهم .

ولقد ساد شيء من الهدوء والامن بعد تسلم الحكومة العثمانية ادارة البلاد مباشرة ، وخاصة في مناطق المدن والقرى ، فانتعشت الزراعة واخذ الاهلون ينشؤون قرى جديدة ويتمتعون بنعمة الاستقرار . على ان رجال الحكومة انفسهم كانوا كثيرا ما يلحقون الاذى بالاهلين ،

---

١) كانت كل ولاية عثمانية مقسمة الى سنجقيات او " متصرفيات " . وكل سنجقية مقسمة الى اقضية والاقضية الى نواحي .

دكتور محمد أنيس ـ الدولة العثمانية والشرق العربي ، مكتبة الانجلو مصرية . ص ٢١٩ .

ويوقعون بهم شتى المظالم ، فيستنفروهم للخروج عن الطاعة وحمل راية العصيان . ومن المعروف ان المواطنين والحكام والمسؤولين الذين تعينهم الحكومة لإدارة البلاد ، لم يكونوا ممن يحسنون الادارة ويهتمون بمصلحة الاهلين ، ويقدرون المسؤولية حق قدرها ، ويراعون عادات البلاد وتقاليدها . ولقد كان للمحسوبية والرشوة اثر كبير في التعيينات حتى كان الناس يرون من سوء تصرفات بعض المأمورين ما يجعلهم يتوقون الى الأيام التي سبقت تمركز الحكومة في بلادهم .

وفي عام ١٩١٠م ، ثار الاهالي في " الكرك " احتجاجا على سوء الادارة العثمانية وشطط المسئولين في محاولتهم تطبيق انظمة وقوانين لا تتفق واحوال البلاد . وانتشرت الثورة المحيطة بـ " الكرك " وامتدت الى " الطفيلة " و"معان " وغيرها من المناطق الاخرى ، مما كبد الحكومة اموالا طائلة لاخمادها ، وخسائر في الارواح كانت في غنى عنها لو انها أحسنت السياسة وراعت الحكمة والعدالة .

ولما اعلنت الحرب العالمية الاولى في تموز ١٩١٤م . بادرت الدولة العثمانية الى اعلان النفير العام ، وطلبت من جميع طبقات المكلفين بالجندية ان يتقدموا للانخراط في سلك الجيش كما صادرت كافة انواع المؤن والخيول والمواد الاخرى اللازمة ، مقابل اثمان بخسة . وسيق شبان البلاد الى ميادين القتال المختلفة حيث لقى اكثرهم حتفه ، ولحقت بالبلاد اضرار جسيمة لا يمكن تعويضها .

وفي التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ / التاسع من حزيران عام ١٩١٦م . أعلنت الثورة العربية الكبرى التي قام بها العرب بزعامة " الشريف حسين بن علي " ، لتوحيد الاقطار العربية تحت راية واحدة . ولقد كان من الطبيعي ان تشرع هذه الثورة في تحقيق تلك الاهداف ، بعد ان تم لها توطيد مركزها وتأمين خطوط مواصلاتها والاستيلاء على معظم معاقل " الاتراك " في " الحجاز " موطن الثورة واحتل جيش الثورة التي كان يقوده الامير " فيصل بن الحسين " بلدة " الوجه " (١) على شاطئ "البحر الاحمر" يوم ٢٣ كانون الثاني عام ١٩١٧م . وهناك اخذ الامير يتصل بزعماء القبائل البدوية التي تسيطر على البادية في " شرق الاردن " ويدعوهم للمشاركة في قتال " الاتراك " ورفع رايات القومية العربية في فجرها الجديد . وكان " عودة ابو تايه " شيخ قبيلة " الحويطات " اول من لبى دعوة الامير . والحويطات اكبر القبائل التي تنزل في جنوب " شرق الاردن " وتسيطر على الطريق بين " العقبة " و" معان " و " وادي السرحان " وهي الطريق التي يتحتم على جيش الثورة العربية ان يسير فيها للعمل على تحرير بلاد الشام .

وزحف " عودة ابو تايه " و " الشريف " برجالهما تساعدهم بعض القبائل الاخرى وتمكنوا من احتلال " العقبة " واصبحت " شرق الاردن " بعد ذلك مركزا للعمليات العسكرية ضد

---

(١) منيب الماضي وسليمان الموسى - تاريخ الاردن ، ١٩٥٩ . ص ٣٢

" الاتراك" والتي استمرت حتى خريف عام ١٩١٨م وعندما تم للجيش العربي احتلال مدينة " دمشق" وتحرير البلاد من ظلم " الاتراك".

ولقد خاض العرب غمار الحرب ليفوزوا باستقلالهم ، ولكن حلفاءهم اثناء الحرب قلبوا لهم ظهر المجن بعد انتهائها ، وشرعوا يفرضون سيطرتهم على البلاد بقوة جيوشهم واسلحتهم. واتفق " الانجليز " مع " الفرنسيين " على تقسيم " بلاد الشام" الى ثلاث مناطق عسكرية اطلقوا عليها اسم " بلاد العدو المحتلة" ونتيجة لهذا التقسيم ، تولت " فرنسا" ادارة المنطقة الغربية - لبنان - اما المنطقة الشرقية - سوريا الداخلية وشرق الاردن - فقد بقيت تحت قيادة الامير " فيصل" وبقيت في شرق الاردن " بعض القوات البريطانية بالاضافة الى قوات الجيش العربي .

واصبح " شرق الاردن" بموجب هذا التقسيم تابعا للادارة العربية العسكرية التي كان الامير " فيصل " يرأسها في " دمشق" . وقسمت سوريا بموافقة الامير في تشرين ثاني عام ١٩١٩ م ثمانية الوية ، شملت ثلاثة منها " شرق الأردن " وهي " لواء الكرك" ومركزه " الكرك" و " لواء البلقاء" ومركزه " السلط" و " لواء حوران" ومركزه " درعا" ويتبعه في " شرق الاردن" "عجلون وجرش" . وقد استعانت الحكومة بزعماء البلاد في شؤون الادارة ، وانشأت مجلسا للعشائر يعمل على حل الخلافات الناشبة بين العشائر حسب تقاليدهم التي تعارفوا عليها .

ولم تكن الحالة العامة في " شرق الاردن " اثناء الحكم " الفيصلي" على خير ما يرام حيث ان الامن لم يكن مستتبا استتبابا شاملا ، وكان دفع الضرائب مقصورا على الحضر اجمالا مما نتج عنه تقصير الحكومة في دفع الرواتب بانتظام لموظفيها وافراد قواتها المسلحة. وكانت القبائل البدوية تمارس عاداتها التقليدية من غزو وسلب ونهب . وكان نفوذ الدولة يعتمد الى حد كبير على شخصية الحكام الاداريين والعسكريين ، وعلى ارتباطات رؤساء القبائل بالامير ورجاله وعلى شعور العدد القليل من المستنيرين بضرورة مؤازرة الحكومة مؤازرة كلية ، ولا سيما وهي تواجه مؤامرات المستعمرين وكائدهم ويجب ان لا يغرب عن البال ان جهود الحكومة العربية في " دمشق" كانت موجهة بضرورة تكاد تكون شاقة الى النواحي السياسية والخارجية ، والى المشكلات التي كانت تثيرها "فرنسا" من جهة و " بريطانيا" من جهة اخرى . ولذلك لم تستطع التفرغ كما يجب للشؤون الداخلية ، ولم تستطع تخصيص القوة العسكرية الكافية لضرب من يستهينون بسطوتها .

وفي ايلول عام ١٩١٩م أتفقت " بريطانيا" و " فرنسا" على جلاء القوات البريطانية عن " سوريا" واستبدالها بقوات فرنسية ، واتفقتا كذلك ان تكون " فلسطين" ومنطقة " شرق الاردن" تحت الانتداب البريطاني وبهذا الاتفاق تخلت " بريطانيا" عن حلفائها . وتصرفت ببلادهم كما يتصرف التاجر بسلعة تعرض للبيع والشراء . وحاول الامير " فيصل" بكل ما اوتي من جهد ان يتوصل لاتفاق مع الحكومتين الطامعتين يحفظ لـ " سوريا" استقلالها ، ولكن جهوده ذهبت سدى واستمرت الاحداث تسير بسرعة الى ان زحف الفرنسيون على

" سوريا " " دمشق " واصطدمت قواتهم مع القوات العربية في "ميسلون" يوم ٢٤ تموز عام ١٩٢٠م، وتلا ذلك دخول الفرنسيين " دمشق " وانذارهم " فيصل " بمغادرة البلاد .

واما " الانجليز" فلم يتعجلوا الاحداث بعد انتدابهم على المنطقة فقد كانوا منهمكين في انشاء ادارة مدنية في " فلسطين " . والواقع ان " الانجليز " لم ينسحبوا تماما من المنطقة اثناء فترة الحكم " الفيصلي " بل بقي لهم معتمدون في كل من " السلط والكرك وجرش " . ولم تكن لهؤلاء المعتمدين سلطة واضحة في تصريف شئون البلاد ، بل كان يغلب عليهم الانزواء وعدم التدخل المباشر ، ثم ان تلك الفترة كانت مشحونة بالاحداث السياسية والقلق والاضطراب. وبعد " ميسلون" خرج هؤلاء المعتمدون من عزلتهم ، واخذوا يدعون الاهلين الى طلب المساعدة البريطانية ، ويقنعونهم ان افضل الحلول بالنسبة لهم هو التعاون مع "بريطانيا" ونتيجة لذلك قام بعض الشيوخ بزيارة " المندوب السامي " في " القدس " وارسل البعض الاخر رسائل اليه ، وبعد زوال الحكومة العربية وبعد فك ارتباط المنطقة بـ " دمشق " أخذت حكومة الانتداب في " فلسطين " تعمل على بسط سلطتها المباشرة في المنطقة" شرق الاردن" .

وفي يوم السبت ٢١ آب ١٩٢٠م، غادر " المندوب السامي" البريطاني " القدس" قاصدا "اريحا" ومنها الى " السلط" حيث اجتمع بعدد كبير من اعيان ووجهاء " شرق الاردن" (١) وعلى أثر هذا الاجتماع تألفت في كل من "الكرك والسلط واربد" حكومات محلية يدير شؤنها أحد رجال الادارة ، وبالتعاون مع مجلس استشاري اعضاؤه من وجوه المنطقة واعيانها . وكان يمثل " بريطانيا" لدى كل حكومة " معتمد بريطاني" لم تحدد صلاحياته كل التحديد في تلك الفترة القصيرة ، ولكنه كان المرجع الاعلى لتلك الحكومة .

ولم تستطع هذه الحكومات ان تفرض سلطانها . . . في المناطق الثلاث التي تألفت فيها ، فحكومة " الكرك " كانت قائمة على النفوذ الشخصي الذى كان يتمتع بها " المتصرف" و " اعضاء" المجلس المالي " باعتبارهم من شيوخ القبائل الكبيرة في " الكرك" وارتباط الاهلين بسلطات الحكومة ، وكان اديبا معنويا اكثر منه عمليا واقعيا . اضف الى هذا حداثة عهد الناس بحكم منبثق عنهم ، يمثله اشخاص من بيئتهم ، ولم يطل الامر بحكومة " الكرك" حتى ظهر ضعفها للعيان ، وذلك نتيجة لقتال وقع بين عشيرتين ولم تتمكن هذه الحكومة من ايقافه او معاقبة القائمين به .

ولم تكن حكومة " السلط" احسن حالا ، ذلك ان سلطة هذه الحكومة لم تتعد "السلط" و"عمان" وبعض القرى المحيطة بها . اما في لواء " عجلون" فقد كانت الحال أدهى وأمر لاتساع وكثرة عدد سكانه نسبيا ، وتوزع فيه بين عدد من العشائر القوية . واحتفظ البدو باستقلالهم العشائري الذى كانوا يتمتعون به منذ زمن ، وازدادوا عتوا وجبروتا ، وحاولوا فرض سيطرتهم

---

١) تاريخ الاردن ، ص ١٠١ .

على الفلاحين وقراهم ، وكثيرا ما حدثت المعارك الطاحنة بينهم وبين سكان القرى ، ولقد اختل الامن اختلالا كبيرا في طول البلاد وعرضها ، ولم يكن احد يخشى ملاحقة رجال الحكومة له اذا خطر له ان يتوغل في الصحراء او ان يغرق في الشعاب البعيدة عن المناطق المأهولة ، وقد شجعت هذه الفوضى الكثيرين من الاشقياء على قطع الطريق ، حتى اصبح السفر في الليل غير مأمون في اى مكان .

وفي هذه الظروف عزم الامير " عبد الله بن الحسين " على المجيء الى "شرق الاردن" ، ولا سيما وان والده " الشريف حسين " قد تلقى برقيات عديدة من " حوران وعمان ومعان " يطلبون اليه ايفاد احد انجاله كي يتزعم الحركة الوطنية المناوئة للمستعمرين .

ووصل الامير " عبد الله " الى " معان " بعد اربعة اشهر من اعتداء الفرنسيين على استقلال " سوريا " ودماء العرب في " ميسلون " لم تجف بعد ، فاستقبله حين وصوله شيوخ " معان " وعدد من زعماء القبائل وشيوخ العشائر ، ووافاه هناك بعض أحرار السوريين الذين غادروا بلادهم بعد معركة " ميسلون " .

واضطرب الفرنسيون لقدوم الامير ، وخشوا ان يحرض عليهم سكان " شرق الاردن " وقبائل البادية ، فسارعوا الى تقوية مراكزهم الدفاعية في " جبل الدروز " و " حوران " وشحنوا تلك المراكز بالمقاتلين ، وكاتموا حليفتهم " بريطانيا " للعمل على مقاومة حركات الامير وايقافه عند حده .

فعلا قام ممثلوا " بريطانيا " في " شرق الأردن " بتهديد الناس وتحذيرهم من الاتصال بالامير " عبد الله " . ولكن هذه التهديدات لم تحل دون قدومه الى " عمان " حيث استقبلته الجماهير والبشر يملو وجوهها ، والتفاؤل يعمر نفوسها . وهكذا انتهى عهد الحكومات المحلية ، واخذت السلطة تتمركز في يديه ، وفي ٢٩ آذار عام ١٩٢١م اجتمع الامير " عبد الله " بوزير المستعمرات البريطانية " تشرشل " وتم بينهما الاتفاق على تأسيس حكومة وطنية في " شرق الاردن " برئاسة الامير ، تعمل على تنظيم مناطقه واقسامه وتوطيد الامن فيها ، وتبعث روح الطمأنينة والاستقرار بين السكان .

وقام جهاز حكومي شارك فيه عدد من الموظفين البريطانيين وبعض ابناء الاقطار العربية وفتحت " نظارة المعارف " عددا من المدارس في المدن الرئيسية وبعض القرى لتخريج كتبة وموظفين ولكنها لم تحاول أن توجد اى تغيير اساسي في البلاد يخدم مصلحة الاكثرية الساحقة من الشعب . فتركت الفلاحين تحت سيطرة ورحمة عدد من الاقطاعيين بواسطة قوانين الاراضي ، وسوّت نظام الاستيراد بشكل يتيح لعدد من الدخلاء ان يسيطروا على التجارة الداخلية ويحتكرونها . وكان لهذا كله نتائج بالغة الخطورة ، فالبدو الذين

---

(١) دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة - منشورات جامعة الدول العربية ص ٤٦٢ .

اضطرب ميزان حياتهم الاقتصادى بمنعهم من الغزو ، اصبحوا يعانون مجاعة شديدة . كما ان خريجي المدارس السلطانية و " نظارة المعارف " الجديدة ، وجدوا فرص الارتقاء والتقدم قد سدت في وجوههم ، واصبحت مقصورة على البريطانيين وعملائهم . اما الفلاحون الذين سبق وقاموا بثورات دامية ايام الدولة العثمانية ، فقد ازدادت حالتهم سوءا ، ولم يشعروا بأى تغيير وكذلك الامر بالنسبة الى الاقطاعيين الذين كانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة في عهد الحكم العثماني فقد أحسوا بأن تطور العلاقات الجديدة في المدن ، واضطراب في المدن ، واضطراب الاحوال عامة في البلاد ، يجعلهم غير مطمئنين لمراكزهم . (١) ومن خلال هذا كله ، كان فريق من ابناء " شرق الاردن " يضيقون بسياسة الغاصبين الجدد ، ويهيبون بأهل البلاد أن يستيقظوا وينقذوا انفسهم وثروتهم من رواسب التركية ، وبقايا الاقطاعية ، وموارد الاستعمار الذى دهاهم بالمهانة والاستغلال تحت ستار التحالف والوصاية . وكان الدور الاكبر للمثقفين ، فحاولوا الاستفادة من الثورات المحلية ، ولكن انتفاضاتهم قمعت ، وصدر الامر من رئيس النظار حينذاك " حسن خالد ابو الهدى " (٢) ، بنفي عدد كبير منهم وكان من بينهم الشاعر " مصلفى وهبي التل " .

ونتيجة للاجراءات التعسفية التي اتخذت ضد هؤلاء النفر وغيرهم من ابناء البلاد ، تشكلت حركة سرية مناوئة للحكومة ، وكان شعارها " الاردن للاردنيين " . وطالبت في انهاء سيطرة الاحتلال البريطاني ، واجراء انتخابات حرة في البلاد .

وفي عام ١٩٢٨م تلقت هذه الفئة لطمة شديدة ، اذ عقدت " المعاهدة البريطانية " الذى اعترف بموجبها بشرعية الاحتلال البريطاني ، على الرغم من تسميتها " اعلان استقلال امارة شرق الاردن " ووافق عليها المجلس التشريعي ساعة عرضها .

وعقدت مؤتمرات وطنية ، واتخذت قرارات هامة ، كان اخطرها الغاء المعاهدة " البريطانية الاردنية " واجراء انتخابات حرة ، وخرجت التظاهرات الطلابية في جميع المدن الرئيسية تهتف بسقوط " الانجليز " وعملائهم ، فواجهها " البوليس " بالرصاص والشدة .

وفي عام ١٩٣١م وصلت البلاد الى وضع مستقر نسبيا ، فالبدو الذين اضطربت حياتهم بعد منعهم من الغزو ، اوجدوا توازنا جديدا بان تحول جزء منهم الى الزراعة ، كما فتح الجيش ابوابه لهم فدخل في صفوفه منهم اعداد كبيرة واطمأن الاقطاع كذلك الى امتيازاته ،

---

(١) غالب هلسا - مجلة الاداب ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٥٧ .

(٢) تعد الفترة التي قضاها " حسن خالد ابو الهدى في الحكم (١٩٢٦-١٩٣١) من اشد الفترات خطورة في تاريخ شرق الاردن ، ففي هذه الفترة توقيع المعاهدة البريطانية وجرت انتخابات المجلس التشريعي ومنح امتياز وتبرع ، واشترك المستشارون الانجليز والموظفون المستعارون في مسؤولية الحكم وادارة شؤون الدولة ، واسندت ادارة الدوائر في الحكومة الى المستشارين والموظفين المستعارين ، وخضعت جميع مرافق الدولة لتدخل المعتمد البريطاني " كوكس " .

بل انه وجد في بقاء السلطة البريطانية في البلد ما يدعم نفوذه ويرعى مصالحه . ولقد ادى هذا الى نشوء مجتمع " بيروقراطي " في البلاد تسيطر فيه على الوضع الاقتصادي فئة صغيرة من كبار المستوردين ، ويسيطر فيه على جهاز الحكم زمرة ضئيلة .

وانصرف المجتمع باجمعه الى تكديس الثروة والتسابق على المناصب والبحث عن " القرش الابيض " وسيلة ، لمواجهة مطالب الحياة التي اخذت تبدو شديدة الصعوبة ، نظرا لارتفاع الاسعار وزيادة مستوى متطلبات الحياة وحاجات الفرد . وهكذا أخذ المجتمع يتطبع شيئا فشيئا بطابع التجار والفئة الدنيا من الطبقة المتوسطة .

ولم ينقطع المستعمرون عن المراوغة والمكر والمداورة ، وغل الأعناق وزادوا من سيطرتهم على البلاد ابان الحرب العالمية الثانية وعززوا نفوذهم العسكري ، وعقدوا المعاهدة تلو المعاهدة مع الحكومات الاردنية ، وتبعا لمصالحهم وظروفهم . وبقي الأمر كذلك حتى اعلان الملكية في البلاد بقرار من " المجلس التشريعي " الاردني في ٢٥ نيسان عام ١٩٤٦ .

وفي هذه الفترة كان العدوان الصهيوني المسلح على " فلسطين " يشتد ويشتد الى ان حلّت النكبة الاليمة التي هددت العالم العربي كله ، في مستهل عام ١٩٤٩م .

الباب الثاني

بواعث النهضة الأدبية في الأردن

UNIVERSITY MANUSCRIPT جامعة أم القرى مكة المكرمة

(١) التربيـــة والتعلـــــيم :

لقد تجاوزت وزارة التربية والتعليم بالكم ، وأصبح اهتمامها منصرفا الى نوعيات التعلـــيم ، وتهيأت الاعداد الكافية من المعلمين ، والمعلمات ، القادرين على تخريج القوى البشريـــة المتنوعة المدربة المؤهلة . لذا فان الاردن يشهد اليوم نهضة تربوية ، تشمل جوانب علميـــة تربوية مختلفة ، هدفا وكما ونوعا ومرافق وخدمات ، كما تشمل هذه النهضة عدد العاملين فـي مجال التربية والتعليم ، واعدادهم وتأهيلهم للقيام بمهامهم واذا كانت التربية هي فن صناعة المواطنين القادرين الصالحين ، فان الهدف الكبير ، الذى تضعه الوزارة نصب عينيها ، اتاحة الفرصة للتربية والتعليم أمام كل المواطنين الذين هم في سن التعليم ، ومثل هذا الهـــدف يتطلب السهر الدائم ومضاعفة الجهود ، حتى تتمكن الوزارة من اتاحة الفرصة التعليمية امـام من هم في السن المطلوب ، بالمدينة والريف والبادية سواء بسواء .

ويقوم هذا الهدف على مرتكزات اساسية هي :-

١- ربط العملية التربوية التعليمية باهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحيـــاة العملية في المملكة .

٢- الالتزام بالتخطيط فهما واسلوبا ، لمعالجة المشكلات بطريقة علمية موضوعية ، والتعـــرف الى الحاجات التربوية والتعليمية الحاضرة والمستقبلة .

٣- الزاميـــة التعليم .

٤- الاتجاه في السنوات الاخيرة ، الى اعطاء التعليم المهني ثقلا واهمية .

٥- اعداد المعلمين علميا ومسلكيا .

٦- الاستمرار في مراجعة المناهج والكتب المدرسية وتطويرها .

واستطاعت الوزارة تحقيق الاهداف التالية :-

أ- الطلبة في المراحل التعليمية المختلفة :-

بلغ عدد الطلبة في المراحل التعليمية المختلفة للعام الدراسي " ١٩٧٥-١٩٧٦" حوالـــي (٥٣٩٧٩٠) طالب وطالبة ، منهم (٢٣٧٩٩٠) طالبة اى بنسبة ٢٨ر٦٪ من السكـــان .

٢- اعداد المعلمين علميا ومسلكيا :-

يجرى اعداد المعلمين قبل الخدمة وتأهيلهم اثنائها بالوسائل التالية :-

أ. معاهد المعلمين : وذلك لاعداد الحاجات العملية التربوية من المعلمين قبـــل الخدمة . وقد تخرج من هذه المعاهد في العام الدراسي ١٩٧٤-١٩٧٥ حوالي (١١٠٠) معلم ومعلمة ، وقبلت المعاهد للعام الدراسي ١٩٧٥ - ١٩٧٦ حوالي (١٧٠٠) طالب وطالبـــة .

ب. تأهيل المعلمين : انشيء معهد التأهيل التربوى ، بهدف تأهيل المعلمين فـــي المرحلة الالزامية اثناء الخدمة ، ومدة الدراسة فيها سنتان .

تخرج من هذا المعهد في العام الدراسي (١٩٧٤-١٩٧٥) حوالـــي (٥٥٠)

معلما ومعلمـــة .

هذا وقد عملت الوزارة على زيادة استيعاب المعهد ، فقبلت في المعهد للعام الدراســي (١٩٧٥-١٩٧٦) حوالي (١٠٠٠) معلم ومعلمة .

جـ. التدريب : تقوم الوزارة بعملية التدريب اثناء الخدمة ، عن طريق عقد الـــدورات المختلفة اثناء العام الدراسي وخلال الصيف، ويحضر هذه الدورات معلمون مـــن مختلف الفئات والمراحل التعليمية ، ففي صيف عام ١٩٧٥ م عقدت تسع عشـــرة دورة مختلفة ، اشترك فيها (١٤٩٢) معلما ومعلمة ، كما شارك فيه معلمون من البلدان العربية الشقيقـة .

والمعلوم ان الوزارة انشأت من اجل التوسع في اعداد المعلمين وتأهيلهم خلال سنتي خطة التنمية الثلاثية المعاهد التالية :-

* معهد معلمات الاسرة عالية / عمـان .
* معهد المعلمين والمعلمات / السلـط .
* معهد المعلمين الزراعيين / الشونـك .
* قسم اعداد المعلمين الصناعيين في المعهد الفني الهندسي .

(٢) الأذاعـــــــــة :-

لم يكن للأردن اذاعة مستقلة خاصة ، حتى اواخر شهر نيسان من عام ١٩٤٨ ، وعندما تم نقل ما امكن نقله من اجهزة الاذاعة في القدس ورام الله بسبب الاضطرابات التي كانت سائدة في جهاز الحكومة على اثر انتهاء الانتداب .

ولما كانت رام الله تتمتع بالهدوء النسبي بعيدا عن ميادين القتال ، فقد اصبحت تابعة للحكومة المركزية في عمان ، واستمرت الامور على هذه الشاكلة حتى توحيد الضفتين رسميا في عام ١٩٥٠ ، فأصبحت الاذاعة تعرف في ذلك الحين باذاعة المملكة الأردنية الهاشمية (١) .

وتشمل الاذاعة على الاقسام التالية :-

١- قسم البرامج : ويشمل الانتاج والاعداد والبرامج الدينية والتنسيق .

أ. الانتاج : ويشمل المخرجين والمذيعين والفروع الاجنبية والموسيقى .

ب. البرامج الدينية : يقوم بمراقبة نصوص البرامج والمواد الدينية والاشراف على القطاع الديني .

جـ. التنسيق : ويشمل المكتبة الموسيقية ومخرجي البرامج والنصوص والمكافآت.

٢- الأخبار : وهي دائرة تشمل تحرير النشرات العربية والانجليزية والرصد اللاسلكي وتعمل هذه الدائرة على جمع الاخبار ونقلها الى المواطنين وتعريفهم بنشاطات الدولة وسياستها في جميع المجالات ، والدعوة لخير المواطن في المقام الاول .

٣- الهندسة : وتشمل الاستديوهات ومحطات الارسال .

---

(١) كتاب الاردن السنوي - وزارة الاعلام - دائرة المطبوعات والنشر ص (٦٢)

(٣) التلفـــــــزيـــــون (١)

إنّ صناعة التلفزيون حديثة العهد في الأردن ،شأنه في ذلك شأن العديد من الـــدول النامية ،متساوية في ذلك في حداثة الخبرات والمعارف الفنية والحرفية الأساسية اللازمـــة لنشوء هذه الصناعة، فكان على مؤسسة التلفزيون ان تباشر اعمال البث بنفس الوقت الذي تدرب فيه فنييها واجهزتها .

ولقد دخل الاردن في عصر التلفزة عام ١٩٦٨م،بحفل رسمي رعاه جلالة الملك الحســـين، ثم افتتاح محطة التلفزيون الاردني ،وكان البث حين ذاك ،اربع ساعات في اليوم ،ثم زيـــد الى خمس ساعات في تشرين الاول من العام ذاته.

ان التلفزيون بحكم قانونه ،مؤسسة تلفزيونية ذات شخصية اعتبارية يتولى ادارتها مدير عـــام ، يرتبط بوزير الثقافة والاعلام ،ومركز المؤسسة في مدينة عمان ،ويجوز لها ان تؤسس فروعا ومكاتب في المملكة، وان يعين لها ممثلين في داخل الأردن وخارجها ،وللمؤسسة ميزانية خاصة ضمن الموازنة العامة للدولـــة .

وتتألف اجهزة مؤسسة التلفزيون من اربع دوائر رئيسية هي :-

١. دائرة الهندســـة .

٢. دائرة البرامـــج .

٣. دائرة الاخبـــار .

٤. دائرة الشؤون الادارية ،وعدد من الدوائر الفرعية والاقسام التي تقوم بدورهـــا بتأمين الخدمات على اختلافها الى الدوائر الاربعة الرئيسية مثل : دائرة الافلام، والمالية وشؤون الموظفين والعلاقات العامة وغيرها .

ان دائرة الهندسة تشرف على جميع الالكترونية، والميكانيكية ومحطة الارسال والاستديوهـات، وتحفظها دوما بحالة جيدة لاستعمال المؤسسة.

اما دائرة البرامج فهي مسؤولة عن انتاج وانتقاء البرامج المحلية والاجنبية، التي تظهـــر على شاشة التلفزيون وتضم أربع مراقبات للانتاج ومراقبة التنسيق والمراقبة الادارية ولجنـــة للتخطيط والمتابعة وتقوم دائرة الاخبار باعداد وتقديم نشرتين مصورتين للاخبار الاولـــى باللغة العربية ،والاخرى باللغة الانجليزية هذا بالاضافة الى موجز سريع يقدم قبل اختتـــام البث اي في حوالي الحادية عشرة من كل مساء ،وقد تم حديثا اضافة نشرة رابعة باللغة العبرية.

اما دائرة الشؤون الادارية فمهمتها ايجاد المناخ الجيد لتعاون مختلف الدوائر فيما بينهـا، وتسهيل ذلك مع الاشراف المستمر على توفير جميع الخدمات الادارية والمالية وغيرها ،بمختلف الدوائر واقسام المؤسســـة .

---

(١) كتاب الاردن السنوي - وزارة الاعلام ١٩٧٥ ص (٦٥) .

(٤) الصحافـــــــــــة :

يعود تاريخ الصحافة في الاردن الى اكثر من خمسين عاما ، ففي شرقي النهر صدرت عـــام ١٩٢٠ جريدة (الحق يعلو) وكان يشرف عليها المغفور له الامير عبد الله بن الحســين ، وعمل في تحريرها (محمد الانسي ، وعبد اللطيف شاكر) وقد صدرت في معان وعمان .

ثم ظهرت جريدة (الشرق العربي) عام ١٩٢٣ ، وهي الجريدة الرسمية لحكومة شرقـــي الاردن ، وكانت تهتم بالاضافة الى الاخبار المحلية ، بالمقالات الادبية والسياسية ، والانبـاء العالمية ، وكان يشرف على تحريرها (محمد الشريقي) .

اما غربي النهر فصدرت جريدة (النفير العثماني) عام ١٩٠٨ وهي اول صحيفة في ذلـك العهد ، في القدس لصاحبها ابراهيم زكا ، وجريدة الكرمل في حيفا لصاحبها نجيب نصار ، ثم اصدر جورج حنانيا في نفس العام جريدة (القـدس) وتلاها عام ١٩٠٩ ، (جريدة الاخبار) لصاحبها بندلي عرابي ، والنفائس (لخليل بيدس) ، الى ان صدرت عام ١٩١١ ، جريـــدة فلسطين لصاحبها عيسى العيسى ، ويوسف السعدي ، والتي استمرت في الصدور حتى عـــام ١٩٦٧م .

والصحافة في الأردن ينظم شؤونها وصدورها قانون خاص عام ١٩٥٥ ، ويعرف باسم قانـــون المطبوعات رقم (١٦) ، وقد اعطي هذا القانون الحرية للصحافة وحقها في حرية التعلـــيم والرأي ونشر الانباء ، بمختلف الوسائل ولا تقيد هذه الحرية الا في نطاق القانون .

ويشترط القانون ان يكون صاحب الصحيفة اردنيا ، واذا كان اجنبيا فيشترط وجود مبـــدأ المقابلة بالمثل مع بلده ، كما يشترط ان يكون لكل صحيفة محرر مسؤول .

ولقد كانت المؤسسات الصحفية السياسية في الأردن ملكا للافراد حتى صدر في مطلع عـــام ١٩٧١م ، قانون مؤسسة الصحافة الاردنية التي تأسست بموجبه جريدة الرأي التابعة لـــوزارة الثقافة والاعلام ، وهي صحيفة يومية تصدر على مطابع الاوفست الحديثة .

وتعتبر الصحافة الاردنية من الصحافة العربية ذات المستوى الجيد فقد استطاعت ان تعطي القارىء صحفا مطبوعة طباعة جيدة وباخراج ممتاز متضمنه آخر الاخبار والتعليقات والتحقيقـات التي تعبد الاحتياج وفضول القارىء .

(٥) المكتبـــات :

لم يتميز الاردن بثقافة خاصة به ، وثقافته جزء من الثقافة الاسلامية العربية في القـــرون السابقة ، وكان اول من طالب بانشاء مكتبات عامة في الاردن المثقفون من شباب الاندية في مدينة عمان ١٩٥٤م الذين قابلوا احد المسؤولين في الوزارات للحث على انشاء مكتبات يرتادها افراد المجتمع ، وفي عام ١٩٥٥ صدر قانون البلديات رقم (٢٩) الذي نص فـــي احد مواده على ان من واجبات المجالس البلدية (انشاء المتاحف والمكتبات العامة والمدارس والنوادي الثقافية والرياضية والاجتماعية والموسيقية ومراقبتها) .

وبقي هذا النص هو الاساس التشريعي الوحيد لانشاء المكتبات العامة في الاردن لمـــدة عشرين سنة وبالاستناد الى هذا النص انشأت المكتبات العامة في بعض المدن وكانت اول مكتبة تم انشاؤها في اربد عام ١٩٥٧ ثم تبعتها المكتبة العامة لأمانة العاصمة ١٩٦٠ ، وبعدهـــا انشأت مكتبات في الكرك ومعان والزرقاء والسلط ووادي السير والمفرق بالاضافة الى مكتبـــات في الضفة الغربية في كل من القدس ونابلس ورام الله والخليل وجنين .

الاهداف العامة للمكتبات المختلفة : -

١- الحفاظ على التراث الفكري والمعرفة الانسانية

٢- اتاحة الفرص الدراسية الجامعية (التعليم العالي) .

٣- تشجيع البحث العلمي .

٤- نشر الافكار والمعرفة .

٥- التفاعل الايجابي مع المجتمـــع .

(٦) دائرة المطبوعات والنشـــر :

أسست دائرة المطبوعات رقم (٦) لسنة (١٩٥٣) الصادر بمقتضى المادة (١٢) مـــن الدستور وهي تهدف الى :-

١- العمل على نشر الثقافة السليمة بين المواطنين في الأردن .

٢- العمل على تحقيق غايات واهداف الاعلام الأردني .

٣- ايصال المواد الاعلامية الى المواطنين ، وذلك بتوزيع الكتب والنشرات الاعلامية ، التي تبين مختلف نشاطات اجهزة الدولة ضمن الخطوط العامة للسياسة المرسومة .

وتشمل هذه الدائرة على مايلي :-

١- قسم النشر :-

يعمل قسم النشر على اصدار الكتب والنشرات ، التي تبين معالم النهضة الحديثـــة ، وهذا يتم عن طريق جمع المعلومات والبيانات والاحصاءات المتعلقة لنشاطات الأردن المتعددة ثم تبويبها وتنسيقها واصدار كتاب " الاردن السنوي " وكتاب " النهضة الصناعية في الأردن " وكتاب " الفوسفات الأردني " الا مثالا على ذلك .

٢- قسم الرقابة :-

يتولى مراقبة جميع الصحف والمجلات والكتب التي ترد الى الاردن قبل توزيعها كما يقوم باجازة المخطوطات التي تطبع داخل المملكة .

ويراقب الاشرطة الصوتية والاسطوانات التي ترسل الى الخارج .

٣- قسم الصحافة المحلية :-

انيطت به مهمة الاشراف على تطبيق احكام قانون المطبوعات رقم (٣٣) لسنة (١٩٧٣) بالنسبة الى الصحافة المحلية ، ودور الطباعة والنشر ، وصرف البطاقات الصحفية .

٤- قسم الصحافة الخارجية :-

يتكون من شعبتين :-

أ . شعبة الصحافة الاجنبية : تقوم بمتابعة ما تنشره الصحف والمجلات الاجنبية من مواضيع هامة ، وخاصة ما يتعلق بالمملكة والعالم العربي حيث تصدر نشرة مقيدة عن اهم ما تضمنته تلك الصحافة . .

ب . شعبة التسهيلات الصحفية :-

تتولى هذه الشعبة تسهيل مهمة الصحفيين والمراسلين العرب والاجانب للتنسيق مع الاجهزة المختصة في الاردن .

٥- قسم المراجع :-

يقوم بجمع المعلومات المتعلقة بالاردن ، ويعمل على تصنيفها وتبويبها وحفظها ، وكذلك يحفظ الصحف اليومية المحلية وبعض الصحف الاجنبية في مجلدات للرجوع اليها عند الحاجة .

٦- مجلس التنمية :-

وتصدر الدائرة مجلة شهرية هي مجلة التنمية التي تنقل اخبار المشاريع الرسمية التنموية على شكل مقالات ، وذلك بالاتصال مع المختصين بشؤون الخطط التنموية في الاردن .

ولقد أثرت هذه العوامل على الحركة الادبية في الاردن تأثيرا فعالا ، فهناك البرامج الادبية التي تذاع من محطة الاذاعة والتلفزيون .

لقد لعبت هذه العوامل دورا كبيرا في نشر الحركة الادبية وذلك عن طريق البرامج الادبية التي تبث من الاذاعة والتلفزيون وعن طريق نشر المقالات الادبية على صفحات الجرائد والمجلات .

الباب الثالث

الفنون الشعرية

الفصل الأول

تمهيد للحركة الأدبية قبل عام ١٩٥٠ .

رأينا انه قد هيمن على البلاد في جنوبي سوريا أي (فلسطين وشرقي الاردن) الاستعمار البريطاني المباشر بعد الحرب العالمية الاولى ، وان كان لشرقي الأردن وضع خاص بسبب وجود أمير عربي هو المرحوم عبد الله بن الحسين على رأس امارة شرقي الاردن . ولحظنا فيما أشرنا اليه من تطور اجتماعي ان عهد الامارة هو الذى أسعف على تهيئة المناخ لتطور اجتماعي في شرقي الاردن ، أخذ يخطو خطوات فلسطين والبلاد العربية السباقة في هذا المضمار .

ومن هنا نرى ان الشعر الجديد او الشعر العربي الحديث الذى يعبر عن مطامح الطبقة المتوسطة في أوسع أبعادها ، وطنية كانت او خاصة ، فردية او ذات هموم جديدة نبتت في المجتمع الجديد انما أخذ ينشأ في شرقي الأردن منذ مجيء عهد الامارة ، وما لبث ان أخذ يوازى في سيره موكب الحياة الشعرية في فلسطين حتى النكبة ثم التحم التياران بعد النكبة في المملكة الاردنية الهاشمية .

وقد التف من حول الامير عبد الله كوكبة من الشعراء الذين جاءوا اليه من البلاد العربية بالمطامح الجديدة ، وكان الامير هو قطب حركة هؤلاء ، سواء بما كان ينظمه هو نفسه شعرا او بما كان ينظمه هؤلاء الذين ضمهم بلاط الامير ، ولعل من اشهر الشعراء الذين كانوا من حول الامير مصطفى وهبي التل والشاعر محمد صبحي ابوغنيمة وحسني زيد الكيلاني .

وكان الامير كثيرا ما يعمد الى معارضة بعض القصائد التي تقال من حوله ، ومن ذلك ما عرف بين كل من مصطفى وهبي والدكتور محمد صبحي ابوغنيمة فقد قرأ الدكتور محمد صبحي ابوغنيمة (١) في احدى الصحف عن فتاة اسمها (برفين) تتذمر ممن كانوا يزعجونها بالرسائل حينا وبمضايقتها في الطريق حينا آخر ، فكتب الدكتور ابوغنيمة في ذلك قصيدته النونية المشهورة التي قال فيها :

ان الذين وصفتهم لم ينهم ... عما أتوا شرف يعز ودين
هم كالكلاب فان سمعت نباحهم ... فتذرعي بالصبر يا برفين
وكما شكوت لي الرجال فانه ... يشكو اليك من الحسان حزين
عذبته ورميته وهجرته ... فحياته وحياتهن أنين
ماذا عليك اذا أسوت جراحه ... وأريته التحنان كيف يكون

---

١) الدكتور محمد صبحي ابوغنيمة طبيب وشاعر ، ورجل سياسة ، صدر له كتاب (نظرة في أعماق الانسان) الجزء الاول وله شعر وطني ووجداني ويوميات وجانب من معالجة القصة ، وقد صدر له ايضا كتاب (من الايام) منشورات دار الثقافة بدمشق .

الى ان يقـول فيها (٢) :-

قولي لمن ظلموك - رب ظلامـــة ... شفعت لها عند الشفيع (٣) عيون

اني فتاة طبهارة أفـتى بهـــا ... (عود) لما ساورتـه ظنـــون

فغدا وبات (الشيخ) في اورادهِ ... برفـين يا برفـين يا بـرفـين

وانتشرت الابيات، وكان الدكتور ابو غنيمة قد ترك عمان واستقر في دمشق بعد نظمها فكتب اليه مصطفى وهبي التل نونية مستوحاة من هذه القصيدة مطلعها :

مالي وبرفيـن يا عشـاق برفينـــا

فعرف الامير عبد الله القصيدتين ، فعارض الاولى لائما الشاعرين بنونية يخاطب فيهـا مصطفى وهبي التل قائـلا :-

ناديت من برفين غير سميعـة ... فاضرخ وصح ما شئت يا بـرفـين

وأخوك (٤) بالشام المريقة نازل ... لك في قريضك مسعف ومعـين

اوحى لك التدخين ما قد قلتـه ... في كل حرف منـه نيكوتـين

هبلتك أمك كيف تصدع دميـة ... برطانة ضحكت طيها الصـين

فأجابه مصطفى وهبي التل بنونية أخرى قال فيها :

هلم هلم نلم شعث قريضنـا ... وغير دين بني النسيب نديـن

فلقد تناولنا بـلاذع نقـده ... جزل الحديث أخو حجاج رصـين

تأبى عليه شمائل قرشيـة ... أن تستخف بمثلنـا برفـين

مولاي ان الحسن لا وطن لـه ... وحديث اخوان الصفاء شجـون

والاشرفية (٥) ما علي طبياتنـا ... ان لا تكون رمالها يبرين (٦)

ودع الملام فما يلـين فتاتنـا ... في حبها تعريضك الموزون

برفين يا مولاى لا عثرت بكـم ... (في حلبة النظر السديد) عيـون

رعوية ومن المحاسن حسبهـا ... انّ الفؤاد بحسنها مفتـون

لم يثنه عن ان يهيم بحبهـا ... عمر أقل سنيه خمسـون

او بعد هذا هل على وصاحبي ... حرج اذا ناديت يـا برفـين

وهكذا نجد ان عهد الامارة استطاع ان يهيء مناخا للشعر في شرقي الاردن اخذ يعبر عن آمال الطبقة المتوسطة وطامحها وهمومها .

---

٢) انظر ديوان مصطفى وهبي التل (عشيات وادي اليابس) ص ٨٤ وعرار شاعر الاردن ص ١٣

٣) وهو يقصد الشيخ عودا النجار ، كان امام قصر الأمير في عمان .

٤) اي الدكتور محمد صبحي ابو غنيمة .

٥) حي في عمان كانت تسكن فيه برفين .

٦) يبرين في الاحساء من شبه جزيرة العرب .

صـــورة من شخصيـــة مصـطفى وهـبي التـــل وشعـــــره

مصطفى وهبي التـــل وشعـــــره

(عـــــرار) (١)

حياتـه ونشأتـــه :-

ولد مصطفى وهبي بن صالح المصطفى اليوسف التل في بلدة أربـد (مركز لواء عجلـون فـي شمالي شرقي الاردن) في ٢٥ آيار سنة ١٨٩٧ (٢) وقد تلقى دراسته في المرحلة الابتدائية في اربـد ،ثم سافر الى دمشق سنة ١٩١٢م ليتلقى دراسته الثانوية . فدخل مدرسة (عنبر) ثم ذهب الى بيروت ودخل المكتب السلطاني ،وعاد بعـد ذلك الى مدرسة عنبر بدمشـــق . ثم اضطر الى ان يذهب الى حلب حيث انهى دراسته الثانوية في المدرسة التجهيزيـــــة هناك نحو سنة ١٩١٧-١٩١٨ م.

ويرجع تقلبه في المدارس السابقة الى مشاركته في النشاط الوطني السياسي ضد الاتراك حين كان في مدرسة عنبر ،مما دفع السلطات آنذاك لنفيه الى بيروت ،واعادته الى دمشق ،ثم الـى فصله من مدرسة عنبر والسماح له باتمام دراسته في حلب . ولعل موقفه من الاحداث الوطنية والقومية في سنه المبكرة تلك ان يكون من اعمق الدلالات على شخصيته ومواقفـه في حياتـــه بعد ذلك .

ويفهم من ترجمة المحامي محمود المطلق - وهو من أقرباء الشاعر - للشاعر في مقدمة ديوانـه (عشيات وادي اليابس) (٣) ،ومما كتبه الاستاذ يعقوب العودات (البدوي الملـثم) عن الشاعر في كتاب (عرار شاعر الأردن) (٤) ومما كتبه الدكتور ناصر الدين الاسد عنه في محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن (٥) ان مصطفى وهبي التل كان يعـرف اللغة التركية واللغة الفرنسية ،وآداب هاتين اللغتين ،وانه كان مولعا بالفارسية خاصـــة ورباعيات عمر الخيـام على وجه التحديد ،وانه نظم في صباه بالفارسية ،وترجم بعض الشعـــر عن الفارسية. اما تراثنا في العربية فكان يديم القراءة فيه ادامة الراسخ القدم المتمكن مـــن نوادره وشوارده اللغوية.

وقد اتيح لشاعرنا أن يدرس القانون على نفسه دراسة خاصة ،واجتاز عام ١٩٣٠م امتحانـا في القوانين والانظمة المتبعة في شرقي الأردن ،ونال اجازة المحاماة. وقد تقلب في كثير مـــن

---

١) عرار هو اللقب الشعري المستعار لمصطفى وهبي التل ،انظر محاضرات في الشعـــر الحديث في فلسطين والاردن - حاشيته ص١٠٩ ،وحاشيته ص١١٠.

٢) انظر المرجع السابق ص١٠٩.

٣) نشر شركة الطباعة الحديثة بعمان ١٩٥٤م.

٤) طبع المطبعة الوطنية ومكتبتها بعمان سنة ١٩٥٨م.

٥) نشر معهد الدراسات العربية العالمية بالقاهرة سنة ١٩٦٠ / ١٩٦١م.

الوظائف منذ وقت مبكر في حياته ، فقد بدأ يعلم نحو سنة ١٩١٨ في مجلة اسكيشهر، وبعد سنة واحدة عاد الى اربد - مسقط رأسه - وفي اواخر سنة ١٩٢٢ صار معلما للغة العربية في مدرسة اربد الحكومية. وفي سنة ١٩٢٣م صار حاكما اداريا لبلدة وادي السير - غربي عمان وبالقرب منها - ولكنه عزل بعد اربعة اشهر ونفي الى جده بأمر من رئيس النظار (رئيس الحكومة آنذاك) وبإرادة سنية من امير البلاد عبد الله بن الحسين ، ومكث في طريقه الى جده شهرا في سجن (عمان) ، وبعد وصوله جده اعتقل ثمانية اشهر ثم اطلق سراحه.

وقد عين حاكما اداريا لبلدتي الشوبك ووادي السير سنة ١٩٢٥م ،غير ان عزل بعد عام

وعين بعد ذلك معلما في مدرسة عمان ، وقد فصل من عمله في مطلع عام ١٩٢٧م واعتقل ، وفرضت عليه الاقامة الجبرية في عمان مدة أشهر.

وفي السنة نفسها عين مديرا للمدرسة الابتدائية في بلدة الحصن. وحين عقدت المعاهدة البريطانية الاردنية في سنة ١٩٢٨ م عارضها مصطفى وهبي التل وحرض التلاميذ على التظاهر ففصل من عمله.

وحين نال إجازة الحقوق سنة ١٩٣٠ أشتغل بالمحاماة . ثم اعتقل في سنة ١٩٣١م بسبب مقال عزى اليه ونشرته جريدة الكرمل ، فنفي الى المفرق اشهرا ، ثم عين معلما للغة العربية في مدرسة اربد الثانوية ، في السنة نفسها . وقد ترك مصطفى وهبي التل التعليم منذ سنة ١٩٣٣ ، ودخل المناصب القضائية في وزارة العدل ، فعين رئيسا للكتاب في محكمة اربد وأمور اجراء بعد ذلك في عمان .

وفي اواخر عام ١٩٣٧م عين مدعيا عاما في السلط ، ثم مساعدا للنائب العام في عمان . وفي اواخر عام ١٩٣٨ عين امينا ثانيا للامير عبد الله ، وعاد الى وزارة المعارف في سنة ١٩٣٩ ، حيث عين كبير المفتشين فيها ، ولكنه ترك هذا المنصب بعد فترة قصيرة وعاد الى المحاماة. وفي عام ١٩٤٢ رجع الى المناصب الحكومية ، فعين متصرفا للواء البلقاء ، وكان مقره السلط ، غير انه عزل بعد اشهر وسجن وبقي في السجن نحو سبعين يوما . ولم يعد بعد ذلك الى المناصب الحكومية ، وانما انصرف الى المحاماة وبقي فيها الى ان توفاه الله في ٢٤ آيار عام ١٩٤٩م. (انظر في هذه المعلومات محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ص ١٠٩-١١١).

وفي العلاقة بين شاعرنا من جهة وبين كل من الامير والحكومة من جهة أخرى يقول الدكتور ناصر الدين الاسد :-

" أما انه كان يتقلب من معارض للامير والحكومة الى مؤيد او مهادن لها ، فكلام يحتاج الى توقف وتدبر ، وارجو ان اكون على صواب حين ارى ان الامير - في هذا المجال - غير الحكومة ، وان شاعرنا لم يكن معارضا للامير قط. ولم يكن مؤيدا للحكومة قط ، وان موقفه ايضا هو موقف ثابت غير متناقض ، بل اني ارى ان الامير هو الذي كان يعينه دائما في المناصب التي تولاها

على غير رضى كامل من الحكومة، وانه كان هو الذى يسعى للافراج عنه واطلاق سراحه في كل مره. وان الحكومة هي وحدها التي كانت دائما تعزله من عمله، وتسجنه وتنفيه، وعلى غير رضى كامل من الامير، وان كان يضطر الى الموافقة واصدار ارادته السنية بذلك ليتم للحكومة ما تريد."

ان الابيات القليلة، بل النادرة التي اشار فيها شاعرنا الى (رغدان) و (رب رغدان) لم يكن يقصد فيها شخص الامير بقدر ما كان يقصد منها رمزا ممثلا للحكومة في فترات اضطربت فيها الاوضاع السياسية في بلده. بل لقد كان الامير نفسه يفهم عنه هذا ويقبله منه ولم يكن ذلك ليقطع ما بينهما من اواصر المودة، والتقدير ولا ليمكر من صفو صلاتهما الحقيقية. ولقد كان سخط شاعرنا منصبا على حكومة الامير ومن كان يسيرها ويحركها، وعلى بعض حاشية الامير، وربما كان سخط الامير نفسه على كل ذلك مثل سخط شاعرنا، واية مودة اوثق عن المودة التي تبعث الامير الى أن يصف شاعرنا بقوله :-

من لي اليوم بالرجال الثقات ... فثقات الرجال أصل الامان
طاب في عنصر وطاب فروعا ... ليس للخير ناكثا في الزمان
فانصح الناس نصح تدب كريم ... واهمل العتب واطرح كل جان
يا (نصير الضعاف) من كل حي ... بارك الله فيك من (انسان)

وقول الامير كذلك يصفه في ابيات اخرى ختمها بقوله :-

فتى التل في عمان يسمى محققا ... مآرب مكروب طريد فأطلقا

والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى، من بينها تلك المساجلات الشعرية. بين الامير وشاعرنا، وتسامح الامير معه حين كان يجيء اليه ثملا تفوح منه رائحة الخمر، وتبدو منه بعض البدوات، فيداعبه الامير بشعر من مثل قوله :-

أشرب فشربك هذا اليوم تحليل) ... وانفي الهموم فقد وافاك ايلول
أما ترى الشمس وسط الكأس طالعة ... منيرة، ونطاق البدر محلول
وفي المكان طليح القد مائسة ... مالت ذوائبه والثغر مسول
يوليك ما شئت من ضم ومن قبل ... وحسبنا نعمة ضم وتقبيل
وان تضع فرص اللذات سانحة ... فقد حرمت، وبعض العيش تنويل

واشارات عرار للامير في بعض ابياته (٦) وثناؤه عليه وتمجيده له بل دفاعه عن بعض مواقفه السياسية، وتأليفه كراسيته (الائمة في قريش) و (طلال)، كل ذلك وغيره عميق الدلالة على حقيقة الصلة الثابتة بين شاعرنا والامير. (٧)

---

٦) انظر ديوان الشاعر (عشيات وادي اليابس) الذى جمعه بعد وفاته ابنه مريود ونشرته (شركة الطباعة الحديثة بعمان سنة ١٩٥٤، وقدم له المحامي محمود المطلق.

٧) محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن ص ١١٤.

وقد تعمدت ان انقل هذا النص الطويل برمته لانه يلقي ضوءاً ساطعا على علاقة من اهم العلاقات التي لعبت دورا كبيرا في شعر مصطفى وهبي التل بينه وبين مجتمعه وبيئته، ولان في هذا النص ما يوسع الدلالة لامور بارزة في حياة مصطفى وهبي التل .

ولعل كل هذا الذى اوردناه أن يكون مقدمة لشخصية مصطفى وهبي التل الشعرية الفذه في تاريخ الشعر العربي قديمه وحديثه، وربما كان الخصب في ابعاد هذه الشخصية يكمن في مدى اندغام مواقفه من نفسه ومن بيئته القريبة من جهة بمواقفه من بيئته الواسعة ومجتمعه العربي القريب والبعيد من جهة ثانية. ولقد كان هذا الاندغام في ارفع الدرجات واشدها حرارة واوسعها استغراقا لكل ما في نفس الشاعر من قوى وحركات وآمال وطموح ورغبات، وذلك كله في الوان من الرومانسية الحديثة، سواء بشعوره بقومه وتلمس جوانب شخصياتهم الاجتماعية الحديثة او بمقاومته النفاق والدجل واستغلال مجتمعه وظلمهم، او بمقاومة المستعمر الدخيل الذى كاد ان يكتم انفاس الناس في مجتمعه، والذى كان يسير بهذا المجتمع في طرق الظلم والتدخل المهين، وسلب الكرامة والحريات او برؤيته النفاذه لجوهر الانسان من حيث هو انسان وان كانت المظاهر الاجتماعية تكاد تخدع الناس عن هذا الجوهر .

والذى تتبع شعر مصطفى وهبي التل يجد هذه الاضواء الرومانسية الحديثة التي اشرنا الى جوانب منها في صورة رفيعه من الفن المصفى الخصب الابعاد، وهي صور تكاد تخدع الناقد الدقيق عما فيها من اتقان بعد عميق يكاد يخيل للمرء ان ليس هناك صنعة شعرية متقنة، وانما هي عفوية التعبير الحار الجميل وحسب، فالادارة الفنية مطواعة بين يدى شاعرنا .

ولعل التدليل على ما نقول بشيء من شعره ان يجعل رأي القارىء ورأي الكاتب اقرب الى التلاقي قال في موقفه من نفسه وشعوره بشخصيته في رثاء ابن عمه فؤاد التل : (٨)

أفؤاد جئتك للسلام فحييني	واجتح حدود الرمس ان تك سامعي
انا مصطفى وهبي اتعرف من انا	انا شاعر الاردن غير مدافع
قد جئت استجديك رد تحيتي	رد التحية هل ردك نافعي

وهو الذى يقول في تلمسه لشخصية بيئته الجغرافية : (٩)

يا أردنيات إن أوديت مغتربا	فانسجنها بابي انتن اكفاني
وقلن للصحب، واروا بعض اعظمه	في تل (اربد) أو في سفح شيحان (١٠)

---

٨) الديوان ص ١٢٥

٩) الديوان ص ١٨٩

١٠) شيحان : جبل الكرك حيث يقع في جنوب الأردن .

قولوا : قضى ومضى وهبي لطيبته تغمدت روحه رحمات رحمان
عسى وعل به يوما مكحلة تمر تتلو عليه حزب قرآن

وربما كان اجمل ما في شعر مصطفى وهبي التل وشخصيته هذه المواقف الرائعة التي وقفها وهو يحس انه يمثل مجتمعا كاملا بوقفته . يعبر عن همومه من خلال هموم الجماعة ، ومن هذا قصيدته في مخاطبة رئيس النور (الفجر) واسمه (هبر) وقد ورد على لسان الشاعر كثيرا في شعره (١١) .

يا هبري فقر كفقرك للابا وللعمية
اولا تراني قد شبعت على حساب الاكثرية
وأكلت بسكوتا وهذا الشعب لا يجد القلية (١٢)
ولبستاذ قومي عراة غير ما نسجت يدية
لما رأيت الكذب سر تفوق الفئة السرية
ورأيت كيف الصدق يذهب من يقول به ضحية
ونظرت احلاس الوظائف سادة بين البرية
ايقنت ان الالمعية في ازدراء الالمعية

وربما كان من ابلغ الدلالات على سمات مجتمع الطبقة المتوسطة الحديثة قوله :

كم فارس هو في الحقيقة عند راتبه مطية
ومدجج قاد السرية وهو قواد السرية
هات اسقني ما للحياة بغير عربدة مزية
واسبأ لنا ان الزقاق هماءة الام السبية

وما أحب ان يغيب عنا هذا اللون من الشرب الذى كان يتخذه مصطفى وهبي التل مطية للوصول الى الاشراقة الجميلة في فضح ما حوله من عيوب في ايجابية متدفقة تكاد توهمهم بانسيابها بأنها سلبية ، وانظر الى البيتين السابقين لتجد هذا الذى نشير اليه ومعه سخرية عميقة تستقر في اعماق العظام ، وكذلك انظر الى البيتين التاليين لتجد تمام الصورة التي نشير اليها :

واشرب على نطعي كما تأتم بالشيخ المعية
ترك التقى خير بعلم الله من نسك التقية

---

١١) الديوان ٦٣-٦٧
١٢) القلية : قليل من القمح يحمصه الجائع ليسد به جوعه .

وشرب مصطفى وهبي التل لم يكن تعبيرا عن موقف فردى سلبي معتزل للحياة وآية ذلك ما نراه في حائيته المشهورة التالية : (١٣)

سكر الدهر ، فقل لي كيف اصحو؟ ... والندى يصقل والجود يشحذ
وانا يا سيدي الشيخ ، كما ... قلت عني : حيثينحو الحب انحو
وحياتي لا تسل عن كنهها ... انها حسان والحسان ومدح
واماني شهاب فاتها ... مثلما فات بني الأردن نجح
وعثار الجد قد صيرها ... عبرة خرساء هيهات تسح
فهي احيانا بشعري آهة ... وهي احيانا جوى يشجي وبرح
وهي طورا في مغاني قصفهم ... عربدات تضحك الثكلى وردح
فافتني يا شيخ هل لي بعدما ... جاءكم عني عما ببني نكدح
ودع الساقي يدر كأس الطلا ... حسبه الله فالسكير اصح

ولعل جرأته هذه في مواقفه التي كان يندمج فيها موقفه الخاص بموقف الجماعة التي جعلته يخاطب الامير عبد الله قائلا :

من كان يحسب ان العرب يخدعهم ... من كنت تحسبهم للعرب اخدانا (١٤)
ابا طلال وانت اليوم رائدنا ... نفدو اليك اذا ما الدهر عادانا
انا اتيناك من بدو ومن حضر ... نسعى اليك وقد كلت مطايانا
ان الوعود التي منوا وما صدقوا ... بها طحنا لعمرى كن بهتانا
فحسبنا من وعود القوم ما دغلوا ... على الاعاريب اشكالا والوانا
هذى الربوع ليوم الفضل ناظرة ... فكن لها يا رعاك الله عنوانا

من هذه المواقف التي نشير اليها موقفه الذى ضمنه ابياته التالية في مخاطبة الأمير عبد الله اليكها عن ابي وصفي (١٥) مجلجلة ... أبا طلال وما قولي ببهتان
هلا رعيت رعاك الله حرمتنا ... هلا جزيت تفانينا باحسان
مولاي شيمك مكلوم الحشا وبه ... من غدر طرفك والاهمال دامان
وليس ترياقه يا سيدى واخي ... في ناب صل ولا في سن ثعبان
مولاي ان المطايا لا تصير الى ... غاياتها ان علاها غير فرسان

---

١٣) الديوان ص ١٠٥-١٠٦
١٤) الديوان ص ١٨١
١٥) الديوان ص ١٨٤ ، ووصفي هو ابنه الاكبر واحد رؤساء الوزارات الأردنية .

وموقف مصطفى وهبي التل من نواب البلاد وخضوعهم للمستعمرين أبرز المواقف التي نشير اليها كذلك ، وفي هذه الابيات التاليه يتضح كيف كان مصطفى يحمل هموم أمته قال (١٦) مخاطبا صديقه الشيخ عود النجار وكان امام القصر الاميري :-

بالنفس يا شيخ من تقواك اشياء ... ضاقت بها من فسيح الصدر أرجاء
أكل يومين ترميني بموعظة ... فضفاضة ، نسجها فقه وافتاء
عود يا شيخ اني لم اعد غرضا ... للناس يرمونه بالعيث ما شاءوا
يا شيخ ما العلم؟ حسب المرء معرفة ... ان الشفاء بوادي السير لميساء
وان للجهل فضلا لست صاحبه ... بالعلم والعلم في عمان ازياء
وان آذان نواب البلاد سوى ... عن الذى يقتضيه العلج صماء
لو ان (برنيطة) كانت عمامتكم ... لوظفوها ولم يخطئك اثراء
مصائب الدهر انواع منوعة ... وشرها : ان شر (الست) سوداء
وان بنير سبيل العلم امتنا ... وان تريك سويّ النهج عجماء
لا وجه للعدل والانصاف في بلد ... كل ابن انثى به أمار نهماء
والعلم كالجهل ، اني قد شطحت وقد ... نسيت ان في فمي من راتبي ماء

ولعل ما يكمل الصورة السابقة صورته الرائعة في ابياته الرائية التاليه : (١٧)

وصاحب من بني النجار عمته ... كأنما هي باراشوت طيار
يرى مواعظه وقفا على اذني ... وان رأس التقى زجري وانذاري
وكأن عمان لم تعرف اخا طرب ... غيري يحج الى حانوت خمار
يا شيخ حسبك ، ادنى الاثم منزلة ... من رحمة الله ما تدعوه اوزاري
بين الخرابيش لا عد ولا امة ... ولا ارقاء في ازياء احرار
ولا جناة ولا ارض يضرجها ... دم زكي ولا أخاذ بالثار
الكل (زط) مساواة محققة ... تنفي الفوارق بين الجار والجار
الناس؟ ما الناس عدا ان القوي بهم ... ما بالمطية من مهماز مفوار
يزجون من سامهم خسفا وارهقهم ... عسفا تحيات اجلال واكبار
ويضفرون بأيديهم لقاطعها ... حرصا على البغي اكليلين من غار
ويشمخون بآنافٍ مروغة ... على التمرغ في اعتاب جبار
بين الخرابيش لا كذب ولا ملق ... ولا وشاة ولا رواد أخبار
بين الخرابيش لا حبر ولا ورق ... ولا يراع ولا تدوين اسفار

---

١٦) الديوان ص ٩٤-٩٦
١٧) الديوان ص ٨٦-٨٨

أرأيت كيف تعمق مصطفى وهبي التل في ابعاد الحياة الاجتماعية حياة الطبقة المتوسطة في جمال شعري لافت ، ورأى اي لون من الوان العدل الذى يتوق اليه ويتوق مجتمعه اليه من حوله ولعل هذا هو الذى حمله على ان يقول في احدى رائياته عن النور :-

وتعال عند المنشئين بطيبهم ... من هان الحان الريانة نسمر
الطاعمين ، وليس من أمل لهم ... القانطين وكلهم مستبشر
الاخذين من الحياة بصفوها ... والتاركين لغيرهم ما يكدر
(نور) نسميهم ونحن بمعرفهم ... نور وفي عين الحقيقة أنور

أما نونية مصطفى وهبي التل المشهورة التالية نظمها في سنة ١٩٣٢م فمن ابرز الدلالات على اندغام موقفه بموقف امته العربية في ديارها القريبة وفي ديارها البعيدة معا ، قال (١٨) :

ان الزمان ولا اقول زماني ... بين الطوابع والرسوم (١٩) رماني
واحال لذاتي وساوس حاسب ... يهذى بضرب ثلاثة بثماني
فانظر الى الندمان كيف تفرقوا ... بعدى وكيف علا الغبار دناني
والى قريني كيف اصبح تافها ... والى بليغ القول كيف عصاني
والى اماني العذاب يسومها ... سوط (الحساب) مهانة الميدان
قانون (همر) (٢٠) حال بعض قريضه ... دون القريض ودون كل بيان
فاستكتبوا قمار (٢١) نص تميمة ... غراء تذهب عقدة بلساني
وتشد ازر هواجس شعرية ... من كل فاكهة بها زوجان
وتعد احلام الشباب ضحوكة ... كالزهر يبسم في سهول (عمان)
يا اخيواد (٢٢) قد دعوتك باسمه ... وله نسبتد تبركا - ديواني

---

١٨) الديوان ص ٤٧-٤٨
١٩) كان الشاعر حين نظم نونيته هذه مأمور اجراء يعمل في تحصيل الرسوم واوراق الدمغة (الطوابع) .
٢٠) همر : هو مستشار العدلية آنذاك وكان بريطانيا ، وكانت القوانين في شرقي الاردن توضع بمشورته . وفي البيت اشارة الى ما قاله عبيد بن الابرص الشاعر الجاهلي حين قدم على النعمان في يوم بؤسه فأمر النعمان بقتله . وقد طلب منه النعمان ان يقول الشعر قبل ان يقتله ، فقال عبيد : (حال الجريض دون القريض) .
٢١) قمار : تاجر خمور في شرقي الاردن .
٢٢) اى وادى اليابس الذى كان في شمال بلدة عجلون والذى كانت فيه بعض جماعات النور التي اهتدى الى احدى فتياتها هذه القصيدة ، وهذا الوادى هو الذى باسمه سمي ديوانه (عشيات وادى اليابس) رغم انه طبع بعد وفاته .

قومي وقومك في الصغار وجهلهم ... معنى الحمية ، كفتا ميزان
وانا وانت على اختلاف قبيلنا ... في عرف (بيك) (٢٣) وجيشه سيان
فادني كؤوسك ان بعض عزائنا ... فيها ، وفي هذا القوام الباني
وبهذه الزفرات وقع لحنها ... صدري وصمدها صداك اغاني
يا اخت سلمى (٢٤) في غناك عذوبة ... تبكي ، ويغرق دمعها احزاني
ما شمت وضح الياس في نبراتها ... الا استبنت بشجوها الحاني
ورأيت في مرآة بؤسك صورتي ... وقرأت فوق إطارها عنواني
وعرفت فيما انت فيه من الاذى ... ومن الصغارة والهوان هواني
اهلوك قد جعلوا جمالك سلعة ... تشرى ، وباع بنو ابي اوطاني
وذووك قد منعوك كل كرامة ... وانا كذلك حارسي سجاني
يا بنت في اسمال جفنك (محمل) ... للاشتهاء بان طرفك جاني
وبأن هذا القلب (عاث بامنه) ... عينان - واقلباه - سودا وان
لا (مدعي عام) اللواء اجازني ... من سحرهن ولا (طلال) حماني
يا بنت تحقيق العدالة ركنه ... ولع القضاة براحة الوجدان
ولعي بكأس في ارتشاف رحيقه ... سكر يحيل النائبات امانيي
ويريك فقه الشيخ (٢٥) اقوالا بها ... ما انزل الرحمن من سلطان
فاذا جهنم جنة واذا الاسى ... نعمى واذ نوب الحياة اغاني
واذا بعفو الله يفتح مغلقا ... (عود) اوصده على الغفران
يا شيخ قولك : (ما اشد عقابه) ... غمز بوصف الراحم الرحمن
لله قومي ! كيف عكر صفوهم ... طيش الشيوخ وخفة الشبان
وتسول المتزعمين حقوقهم ... من زمرة الاذان (٢٦) والغلمان
وتظاهر المتصدرين لبيعهم ... لا عن تقي - بحماية الاديان
يا رب ان يلفور انفذ وعده ... كم مسلما يبقى وكم نصراني

---

٢٣) هو فردريك بيك باشا ، ضابط بريطاني خلفه على قيادة الجيش والشرطة الفريق جلوب باشا .
٢٤) في شرقي الاردن يطلقون على النور (أخوة سلمى) .
٢٥) اى الشيخ عمود النجار ، صديق الشاعر .
٢٦) الآذان جمع آذن وهو الحاجب او الساعي او الخادم .

وكيان مسجد قريتي من ذا الذي ... يبقى عليه اذا ازيل كياني ؟
وكنيسة العذراء اين مكانها ... سيكون ان بعث اليهود مكاني
هات اسقني (قمواز) ليس يهمني ... قول الوشاة عرار سكران
فالكأس لولا اليأس ما هشت له ... كبد ولا حدثته عليه بدان
والخمر لولا الشعر ما أنست بها ... شفة الأديب وريشة الفنان

ونكتفي بهذا القدر من شعر مصطفى وهبي التل ، فهو قادر فيما أحسب على التدليل على شخصية الشاعر التي الفنا لأبرز سماتها .

الباب الثالث

الفصل الثاني

مدرسة الشعراء المحافظين التقليدية

تحدثنا في الفصل السابق عن الشعر الأردني ، وكان قالب هذا الشعر قالبا تقليديا بحتا ولم نر اى لون من الوان التجدد فيه .

ولم يطرأ على الشعر اى تغيير ،بل كان مقلدا كسابقه ، يعتمد على عمود الشعر القديم في القافية والبحر ووحدة البيت والموضوع ونستطيع ان نصنف الشعر من عام ١٩٥٠ وحتى عام ١٩٧٥ الى مدرستين المدرسة الاولى : مدرسة الشعراء المحافظين التقليدية.

المدرسة الثانية : مدرسة الشعراء المجددين .

فمدرسة الشعراء المحافظين كانت ترى في عمود الشعر القديم خطا لا ينبغي الابتعاد عنه وينبغي السير بمقتضاه .

لذلك جاءت اشعارهم تقليدية محافظه وفي الاغراض التقليدية من غزل ومدح ورثاء ووصف وغيرها من الوان الشعر القديم وكانت ترى هذه المدرسة ضرورة المحافظة على وحدة القافية والموضوع والتقيد ببحور الشعر وعدم الخروج عنها .

ولم نلمس اى جديد لهذه المدرسة ، وكانت تهتم بالصياغة الشعرية والالفاظ الجزلة ومن اشهر رواد هذه المدرسة :

حسني فريز ،عيسى الناعوري ، حسني زيد الكيلاني ،كمال عبد الرحيم رشيد ..

خصائص مدرسة الشعراء التقليدية :-

١ = شعر هذه المدرسة في عمومه امتداد للشعر العربي القديم .

٢ = المحافظة على وحدة القافية والوزن والموضوع في القصيدة.

٣ = لغة شعر هذه المدرسة لغة سهلة وسلسة خالية من الغرابة والتعقيد اللفظي .

٤ = الوضوح والبساطة وعدم التعقيد فشعر هذه المدرسة كله واضح لا غموض فيه ولا تعقيد .

٥ = الصدق وعدم التملق ،لانهم صادقون في مدحهم او مراثيهم ،لان الشاعر في هذه المدرسة يعبر عن نفسه واحساسه وخلجات صدره .

٦ = صدق العاطفة.

٧ = السطحية في التعبير وعدم العمق .

أعلام المدرسة التقليدية :-

حسني فريز (١)

قدّم لنا حسني فريز، حتى الان ، مجموعتين من شعره : الأولى " هياكل الحب" والثانية " بلادي " وتمثل كل مجموعة منهما مرحلة من مراحل تطوره الفني والفكري . وقد فطن الشاعر نفسه لذلك واشار اليه في مقدمة الطبعة الثانية من " هياكل الحب " فوصف شعره في هذه المجموعة بأن شعره " تضرّم الشباب وجنون الفتوّة ثم بسط رأيه في قوله انه قدم " هذا الكتاب للناس في تضرّم الشباب وانطلاق الامال ، ايام توقد العاطفة واشتعال القلب" وانه كان حينئذ " لا يقيم الا للشعر والعاطفة وزنا . . . يكدّ قلمه وذهنه وراء البسمة الشرقة واللفتة البارعة في الطبيعة او في الحياة " .

أما في المرحلة الثانية فقد صار يحاول ان يتصرف الى " ذلك الشعر الذي توارى ولم يبق منه الان الا بقايا قليلة لا تكاد تدل عليه " . ولذلك قال عن شعر المرحلة الاولى وما صار اليه في المرحلة الثانية " الفت هذه الصور الضاحكة والفت معها الصور الباكية . فذلك الذي يبعث الشعر الحار المتدفق لم يعد يثير ما اثار ، واحيانا لا يحرك جزءا مما كان يقلقل ويزلزل ، لقد كان عقلي ينقاد الى سلطان الشعر وسار الخيال ، والان عقلي يقيّد وعاطفتي تتقيد ، لان منطق العقل قد غلب منطق العاطفة او كاد . . فتلك الجمرات الملتهبة اصبحت تستقر تحت الرماد، وقلّ ان تذرو العاصفة ذلك الرماد ! " .

اما مذهبه في الشعر : من حيث اسلوبه ومضمونه ، فقد بسطه لنا كذلك في هذه المقدمة، قال : -

" مذهبي في الشعر غير جديد من حيث ان الشعر فن معروفة على الطراز خاص وغير جديد بالقياس الى المعاني ، واذا اردت الحق فاني لم اقصد ان ابتدع ، لكنني سلكت سبيلا قلّ ان استقام لمن يتمرسون بالقوافي . فقد تركت لعاطفتي ان تنطلق في فنون القول وان ترقص مع الخيال كيف تريد وكيف يحلو لها . وقد قيدّتها او قيدّني الواقع - اذا راق لك - بالحرمان ، فجاء الشعر في عرفي بليلا بالشوق ريّان بالوجد ، مترفعا عن خصام الامتلاك . . . ولا بد

---

(١) حياته ونشأته : ولد في مدينة السلط سنة (١٩٠٧م) تلقى علومه الابتدائية فيها ثم اكمل دراسته الثانوية ، ارسلته الحكومة الاردنية الى الجامعة الامريكية في بيروت على نفقتها الخاصة ، وكان أول طالب يمنح بعثة من الحكومة .

تخصص في دراسة الادب والتاريخ وتخرج من الجامعة سنة (١٩٣٢م) قبل ذهابه للجامعة من اجل الدراسة ، كان قد تثقف ثقافة دينية خاصة في بيته ، حيث تأثر اسلوبه بالقرآن الكريم .

اضطلع على الادب الانجليزي واعجب بمؤلفات شكسبير ، شغل عدة مناصب في الدولة سيما في وزارة التربية والتعليم حيث رقي الى اعلى المناصب فيها .

للشاعر من ثقافة تمده بالصور وتدفعه الى الاغراق في الخيال بعض الاحيان ، ولا بد لهذه الثقافة ان تفتح عينية على المحسوس وغير المحسوس ، فيمسك بيده الواقع وتتعلق الاخرى بعالم الاحلام . . يهمني ان ارى العاطفة في الشعر المعاصر فقد عنينا بالقوالب ننمقها ونزركشها ونأتي بالاستعارات المغربة التي تتعلق بالاوهام ، فاذا جاء الشعر مهما كابى النور ، بعيدا عن ملابسات الحياة قيل لنا هذا أدب الرموز ، وأدب العصر الذى هو فوق الواقع . اما انا فأفهم الواقع وشيئا احبه لو وقع وقبضت عليه بالانامل ، او قل انني احب الواقع وما يزينه من الصور التي نرغب (وتحققت على الارض) .

واوضح خصائص حسني فريز في شعره ثلاث :-

١- انه ، في الغاظه واسلوبه وفي صوره ومعانيه ، ينبع من ذات نفسه في اصالة وصدق ، ولا يستعير من سبقه بعض الصور والتعبيرات المحفوظة المكررة .

٢- تشيع في شعره عامة ، وفي شعره المسرحي خاصة ، ثقافة ادبية وتاريخية ، تدالع القارئ في اكثر ابياته فتحمله على شيء من التأني والتأمل حتى يتمثل الصورة البيانية جلّية .

٣- انه من الشعراء القليلين الذين حاولوا نظم المسرحية الشعرية .

ومن شعره الذى تتضح فيه الصفتان الاوليتان هذه النماذج :

عينين وشفتين (١)

غسلت مقلتيك آلهة الفجـ ـر بأندائه وهالا ضوءا
سكبت فيهما شعاعا من السحـ ـر وذوبا من فاتن الاغرا
ثم قالت : كونا هياما وشوقا وسلاما ونعمة من ضياء
فتنة للسماء قبل بني الدنـ ـيا وحبّا مفجر الاحياء

شفتين :

كيف ضاعت الهة البحر مرجا ن الشفاة الخضيلة اللمياء
لا تسلّمها ، اضاعت السّرلما فتنتها بالبسمة الزهراء
لا تلمني ان لج في غرامي لا تسل عن ضراعتي وبكائي
ان سرا تحير الحب فيه قد اذل الجبار من كبريائي

أحبك (٢)

احبك ، انت معنى الحب (م) والاحياء والشعر
احبك ، كيف ؟ لا ادرى لقد آمنت بالسحر
فسحرك فوق احلامي وفوق غوامض السير

---

١) هياكل الحب (الطبعة الثانية) : ١١ .
٢) ص : ١٦

فانت نجيّ آمالي ... وانت نضارة العمر
وانت الفجر مبتسما ... ارق سنى من الفجر
وانت بصمتك الغالا ... ب تطرب ساجع الطير
ففي شفتيك انغام ... مذوبة من السحر
وفي قسماتك الاسا ... ل في مرح وفي سكر
وفي عينيك احلام ... يضل بفهمها فكري
أحبك، كيف؟ لا أدري ... وهل في الحب من نكر؟
أحبك، لا تقل لي : ... كيف! حبي فوق ما أدري
فان يكن الهوى ذنبا ... فما لي فيه من عذر
وان يك فتنة تسدو ... لتوقظ هاجع الجمر
وتبعث فيّ آلاما ... واشجانا من الهجر
وتجعل قلبي المضني ... خفوقا دائم الاسر
فما غيرك تعذيبي ... وما يعنيك من أمري
فدعني في خيالاتي ... واوهامي مدى العمر

أذا ..... (١)

اذا ما الدهر امعن في عدائي ... وصال عليّ بالخطب الجسيم
واوقد لي الضغى حربا ضروسا ... وصيرني الى عظم رميم
وجافاني الشباب وبات قلبي ... يهوّم في ضلوع من حميم
ومرت راحتاك على جبيني ... رجعت الى الحياة .. الى النعيم

ومن شعره ، في غير الغزل ، قصيدة عنّ آثار جرش" بدأها بقوله :

هذه آية الزمان تبدى ... فتأمل في الاية الغراء
قف بها وقفة الجزوع عليها ... هي احرى بالدمعة الحمراء
لا تسل من بنى ! ولا كيف أعلى ... ان تكن شامتا باهل الفناء
لا تسلني ان كان "خوفو" بناها ... او بناها " اسكندر " بدماء
ليس خوفو وقيصر غير رمز ... لسياط مريعة نكراء
الهيت كالحريق جلد المساكين ... من وهدت من عزمهم والمضاء
واراقت دموعهم ودماهم ... واذابت انينهم في الفضاء
جثة فوق جثة عند أخرى ... تتلوى من جور ذاك القضاء
هكذا كانت البنايات تعلى ... من أنين ولوعة وبكاء

---

(١) ص : ٥١

أما مجموعته الثانية " بلادى" فتضم قصائد قالها في مناسبات وطنية مختلفة واخرى صوّر فيها جوانب من حالة بلاده الاجتماعية واخلاق الناس من حوله .

واما شعره المسرحي فيتمثل في مسرحيتين : الاولى ذات فصلين عنوانها " الطوفان" مستمدة من الاساطير البابلية ، وقد ضمنها الى قصائده في ديوانه الاول " هياكل الحب" ، والثانية ذات ثلاثة فصول عنوانها " مع الالهة على الاكروبول" مستمدة من الاساطير اليونانية ، وهي القسم الاخير من مجموعته " بلادى " .

ولما كنا لا نستطيع - في هذا المجال - ان نعرض لهاتين المسرحيتين بالتحليل ، فحسبنا ان نورد نموذجا من المسرحية الاولى ، وهو مطلعها الذى يتمثل في حوار بين" انليل " الهالهوا" والسحب ورئيس الالهة في بابل و " اينو " معشوقة " انليل " التي تحب" ايا " اله الحكمة واعماق البحار :

أنليل :

هاتي يديك فاني الحاكم الطاغي ... نطير يا " أين" في آفاق اجوائي
اذا رضيت جعلت الريح ساكنة ... والبحر رهوا ولم اهمم بايذاء
هاك انظرى ان في الافاق زوبعة ... " انليل" يجعلها بحرا من الماء
لا تقطعي حبل ود كنت واصله ... لا ترهقيني فاني غير بكاء
اذا رضيت ملكت الجو اجمعه ... وبت في جنتي في بحر الائي
سانظم النجم تيجانا لمالكتي ... ومن ضيا البدر اثوابا بلا لا "

أينو :

" انليل " اقصر فاني غير خائفة ... من العواصف والانواء والشهب
ولا اريد جنانا انت تسكنها ... ولم تكن هذه " انليل " من اربي
اني احب " ايا" حبا يرى جسدى ... " انليل" اشفق على قلبي من العطب
وخل عني ، ودعني غير خالدة ... وعش عظيما اله الريح والسحب

أنليل :

قضي الامر فاشهدي الان بطشي ... ليس في نية الوجود جيش كجيشي
ستطير الارباب من كل فج ... وستلتف من صغار بعرشي
وسأفني " شاروك" من اجل "اينو" ... وسأجزى " شنعار" طيشا بطيشي (١)
لن تنالي يوما من العيش حلوا ... قضي الامر فاشهدي الآن بطشي

---

(١) شاروك : اسم مدينة
شنعار : بلاد السومريين .

حسني زيد الكيلاني (١)

جمع حسني زيد بعض شعره في مجموعة " أطياف وأغاريد "، ورتب شعره على اربعة ابواب :

اولها : الهاشميات : وهي قصائده التي مدح بها الملك عبد الله بن الحسين والقاها بين يديه في احدى المناسبات .

ثانيها : الاجتماعيات : ولا يربط بين قصائد هذا الباب موضوع واحد ولا موضوعات متقاربة . فمنها قصيدة في وصف الفلاح ، واخرى في وصف شجرة الزيتون ، وثلاث قصائد في وصف حاله وشقائه ، وقصيدتان وطنيتان عن فلسطين ووعد بلفور ، وقصيدتان في تكريم بعض اصدقائه ، وهكذا .

وثالثها : المرثيات : وهي ست قصائد جاءت السادسة في رثاء نفسه .

ورابعها : الغزليات : وهي اكبر هذه الابواب وتبلغ قصائدها نحو ثلث المجموعة كلها :

وشعر هذه المجموعة يدل على موهبة شعرية واضحة لا شك فيها ، ويدل أيضا على اطلاع واسع على شعرنا العربي القديم وكثرة محفوظ شاعرنا منه . والاطلاع الواسع والمحفوظ الكثير هما من روافد الموهبة الشعرية ومن عوامل اخصابها وتنميتها وصقلها حين ينطلق الشاعر في جو الخاص ، يندفع يغني احاسيسه ، ويوقع انغام وجدانه ، ولكن الاطلاع الواسع والمحفوظ الكثير قد يكونان قيدا آسرا يغل من الموهبة الشعرية ، ويدفع الشاعر إلى التردي في مهاوي المحاكاة وتكرار العبارات المحفوظة ، والاساليب المعادة والصور البيانية والتقليدية ، واوضح ما يظهر ذلك في الباب الاول من مجموعة شاعرنا ، فانت حين ما تقرأ قصائده الأولى وتحس كأنما تقرأ لشعراء مختلفين من العصر الاموي والعصر العباسي سواء كان ذلك في النفس الشعري العام ام في تركيب العبارات والاساليب والصور البيانية فهو يبدأ قصيدته الاولى بقوله :

الصبح من نور هذا الوجه يبتسم ... ويغتذي من نداه الجود والكرم (٢)

تبارك الله وجه ضاحك طلق ... اذا تجهم وجه الدهر يبتسم

---

(١) حسني زيد الكيلاني :

ولد في مدينة السلط عام ١٩١٧ م ومدينة السلط مدينة معروفة بمناخها الجميل ومناظرها الطبيعية الجذابة ، تثقف بثقافة عصره ، وكان مولعا بنظم الشعر منذ طفولته ، تقلب في وظائف عدة في الدوائر الحكومية اصدر ديوانا من الشعر باسم " اطياف وأغاريد " .

(٢) ديوانه : أطياف وأغاريد ص ٥

ثم يمضي في القصيدة ويحشر فيها كثيرا من الصور المكررة والاوصاف المحفوظة مثل قوله "وفي عرنينه شمم" " وتحت اخمصه الايام تزدحم " وانه لا يرنو لمكرمة إلا وراحت عليها الزهر تختصم وانه السيد العلم وهكذا .

وكذلك يبدأ قصيدة اخرى بقوله : (١)

فوق الممالك والتيجان والسـرر ... ما شدت للقوم من مجد ومن ظفـر
وما بنيت لنا من سؤدد فخـم ... ينازع الأفق برد الأنجم الزهـر
أشرق على الملك حفت فيك هالته ... كما تحف نجوم الليل بالقمـر

وهذا الضرب من شعر شاعرنا انما هو " أساليب " محفوظة تعيش في عقل الشاعر فينظمها شعرا ، ولكن الشاعر لم يستطع ان يحس بها في الواقع فيتمثلها وجدانه وتجيش بها نفسه ، فتنطلق من اعماقه شعرا صادقا اصيلا .

ومع هذا فشاعرنا يكاد يعتق نفسه من هذا الرق حين ينطلق مع ذاته ، في موضوعات لا يتقيد فيها بمناسبة ، ويتضح ذلك في بعض قصائد القسم الاول من شعره ففي القصيدة الثالثة يصف مفاتن الطبيعة في الغور وقد القاها بين يدى صاحب الجلالة اذ يقول :

ولقد هبطت أصيل يوم ساحـر ... الغور حيث النبت في اطلاقـه (٢)
والدر اكليل لسندس عشبـه ... والتبر منساب على رقراقـه
والنغمة السكرى على اغصانـه ... ليهشها ما شاء من اشواقـه
تلقاك بالريحان روح نسيمـه ... كلقاء من تهوى بعد فراقـه
والنجم في اطراقه وصموتـه ... وغرائب الاسرار في اطراقـه
حتى إذا ما الليل لم نجومـه ... والفجر كاد ينم عن اشراقـه
رقت كانفاس المليك رياضـه ... وسرى الاريج بهن عن اخلاقـه

واذا كان لا عجب في ان تتكشف جوانب من اصالة الشاعر وذاتيته في هذه الابيات الرقيقة ، لانه انعتق من اصل المناسبة الملزمة وانطلق فيها مع نفسه فان العجيب ان يصف الشاعر روضة بهذه الابيات

بروحي رياض ما تنسمت عطرهـا ... وداخلني ريب باني في سكـر (٣)
يداعب فيها النور احلام جـدول ... غفا مثل اغفاء المشوق على الهجر

---

١) الديوان : اطياف واغاريد ، ص ١١
٢) الديوان : اطياف واغاريد ، ص ١٥
٣) الديوان : اطياف واغاريد ، ص ٨٠

كأن لجين الماء والشمس فوقه ... ثريا من البلور تسطع كالزهر
واعجب من تلك الخمائل في الضحى ... وما برزت فيه من الفن والسحر
كأن بدنانيرا من الشمس القيت ... عليها ولكن لا تصاد من الفر

فيجيء بكلام مرصوف، جميل المظهر ولكنه مجدب المعنى، والا فما الذى يريد ان يقوله في البيت الاول والرابع، واى شعر هذا ؟ وما هي الصورة البيانية في البيت الثاني ، وهل يفضو المشبه على المشبه به ؟ والبيت الثالث: اى سطوع بهر بصر شاعرنا في الزهر حتى يشبه به تلألؤ انوار الثريا من البلور، كما قال ؟ وكيف تجترا شاعرنا على ابي الطيب في البيت الخامس حتى اصبحنا نرى ابا الطيب يطل علينا بلحمه ودمه وثيابه من ثنايا ذلك البيت!

وانظر اليه كيف يخرج به الاقتعال الشعورى الى الغلو الذى يأباه حتى ممدوحه وذلك في مثل قوله : (١)

العبقري الفذ في عصره ... فلم تقع عين على نده
ومن مضاء السيف من عزمه ... ومن خضم الجود من رفده
ترتاع أسد الغاب من بأسه ... وتهتدي الاقمار من رشده
لا يعرف التاريخ فتى مضى ... عهدا أشد اليوم من عهده

وحياة شاعرنا حياة بؤس وفاقه وتشرد ، ومثل هذه الحياة التى اضطرب فيها حسني زيد كانت جديرة ان تفجر في النفس الشاعرة اغوارا عميقة وتفتح امامه افاقا فسيحة فينطلق فيها حرا متحررا من القيود . التي تغل غيره ولكن هذه الحياة لم تزد عن ان حدت من انطلاق شاعرنا وجعلته يدور في حلقة ضيقة لا يتجاوزها ،بل ربما كان من الصواب ان تقول انها دمرت بعض جوانب نفسه . وقد وصف لنا حياته في قصائد من هذا الديوان كقصيدته" أنا والشتاء" يقول فيها (٢)

صفع الدهر هامتي ، فحياتي ... حسرات تسربي وعناء
جئت من عالم الوجود لأحيا ... وحياتي هي البلى والفناء

ويصفها كذلك في قصيدة اخرى بقوله : (٣)

يا على من كان مثلي ... لو رأى الهيدباء بحرا
فهو في لجج حياة ... تنحر المسكين نحرا
تصرخ الفاقة فيها ... فترى صفعا وقهرا

---

١) الديوان ، الطياف واغاريد ص: ٩
٢) الديوان ، الطياف واغاريد ص: ٢٣
٣) الديوان ، الطياف واغاريد ص: ٢٣

وكل ما استطاع ان يرد به على حاله تلك هو قوله : (١)

كم غـــني من دم الشمـــ ـــب بـــني الـــدور وأثـــرى
مـدّ كالطاؤوس عنقـــا وهـو بالصفعة احـــرى
فاذا اتخـــم بطنـــا وانتشى في الحـــان سكـــرا
لمن الفقر واهليـــ ـــه وجـرّ الذيـــل جـــرا

ولعله اراد ان يعلل بؤسه و "سلبيته" باختلال موازين مجتمعه وفساد انظمته في قوله (٢) :

والعيش فن فان اتقنتـه نصبـت لك الموائد اكبارا وتفضيـــلا
وقدمتك سراة القوم وانبسطـــت لك الاسارير ترحيبا وتأهيـــلا
وصرت فيهم اديبا عالما لسنـــا وان تكن في بطون الكتب مجهولا
فابن القصور وانشي من حدائقهـا ظلاّ بانداء هذا العيش مطلولا
في "بهلوانية" والحان يقفزهـــا من مد حبلا الى الجوزاء مفتـولا

ومع ذلك ففي شعر حسني ،عامة ،قوة في النسج ،ومتانة في البناء ،مع رقة وعذوبة وخاصة في شعره الوجداني الذي ينفعل بموضوعه انفعالا صادقا اصيلا .

مختارات من شعره :

الفـــــلاح (٣)

نبهـّك الشعـرور في وكـــره يا انبل الناس على فقـــره
تقلب الارض ولا تأتلـــي كراهب يبحث في سفـــره
تمشي على كنز الدنى متعبـــا وانت محسود علـى تعبـــره
ان لم تهش الناس في وجهـــه هش له المشب بمخضـــره
الا تراه حول اقدامـــه في عفة الحسن وفي طهـــره
يبني قصور الناس من كوخـــه ولا ينال المتن من أجـــره
فلاحنا اثمن كنز لنـــا فكل ما نجنيه من خـــيره

الزيتونـة الخضـــراء (٤)

حملت من الاثمار حب زبرجد فانظر بدائع صنع ربك واشهـد
طوت السنين كما ترى وتخلفـت عنها بقلب الواله المتوجـد
قد عاصرت موسى الكليم وخادنت عيسى الطهور وآمنت بمحمـد

---

١) الديوان ،اطياف واغاريد ، ص : ٦٢
٢) الديوان ،اطياف واغاريد ، ص : ٢٥
٣) الديوان ، ص : ٢٠
٤) الديوان ، ص : ٢١-٢٢

واتى الكتاب محدثا عن زيتها ... وهو المضيء بلا سنى وتوقد
شاخت وما برحت وضاءة حسنها ... تشجي المغرد فوق غصن املد
محسودة ابدا على ايراقها ... في كل فصل عابس متربد

. . . . . .

في عضنها ولد الجلال وانني ... لأظنه من قبلها لم يولد
لو حدثتك وفي السكوت بلاغة ... لكتبت الف مجلد ومجلد
كم ظافر قاد الجيوش وروعت ... انباؤه ما غاب عن وعي الغد
صنعوا له الاكليل من زيتونة ... وشوا اليه فكان اروع مشهد
فاعجب لاكليل اعز جلاله ... من تاج كسرى بل وارفع سؤدد
ولذاك مجدّت العصور وباركت ... في روحها رمز السلام الأمجد

عيسى الناعوري (١)

أديب ذو نشاط ادبي متعدد الجوانب فقد صدرت له بضعة كتب عن شعر المهجر وشعرائه، وطبعت له مجموعتان قصصيتان تضمان طائفة من قصصه، (٢) ونشر كثيرا من الابحاث والمقالات والقصص، وله ديوان شعر مطبوع يشتمل على بعض ما نظم، وانشأ مجلة ادبية هي "القلم الجديد" كان لها اثرها في الحياة الادبية في الأردن وبعض البلاد العربية ظلت تصدر عاما (٣) ثم احتجبت، وشارك في الحياة التعليمية: معلما ومؤلفا لبعض الكتب المدرسية ثم موظفا في وزارة المعارف.

---

١) عيسى الناعوري:
ولد في بلدة ناعور سنة ١٩١٨م كان مولعا بالادب محبا له، تثقف بثقافة عصره في ذلك الوقت، ولكنه في الواقع انكب يدرس الادب بنفسه واضطلع على معظم الادب الذي عاصره وللشاعر هوايه خاصة في اللغات الاجنبية، حيث يجيد اللغة الايطالية ويكتب في الادب الايطالي.
وقد منحته احدى الجامعات الايطالية درجة الدكتوراة الفخرية، وذلك تقديرا لجهوده العظيمة في الادب الايطالي.
ويجيد الناعوري اللغة الانجليزية، ويكتب ويترجم عن الادب الانجليزي. ونستطيع القول ان الناعوري لم يقصر جهوده على انتاج واحد من الادب بل نظم في الشعر، وكتب القصة والرواية، فيكون قد بعثر جهوده بين الشعر والقصة والمقالة والتراجم.

٢) انظر الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والأردن: ٧٠، ١٠٣-١٠٤، ١٣٤-١٣٥.
٣) من ايلول ١٩٥٢ حتى آب ١٩٥٣.

والشعر اقل بضاعة الناعوري ، وهكذا يبدو لنا من نتاجه المطبوع مجموعته الشعرية " أنا شيدى " (١) تشتمل على احدى وثلاثين قصيدة .

وعلى قلة هذا الشعر فان فيه اقباسا فنية اصيلة تبدو خلالها طاقة شاعرنا الاستلهامية . وصفاء روحه ، ورقة حسه ، وتفتح نفسه للاستيحاء من كل شيء مهما كان صغيرا وقد يراه غيره فلا يثير في نفسه الا مشاعر عابرة .

فهو يرى صورة فتاة يهودية مجندة تحمل بندقيتها على رأس رابية ، ومن خلفها احدى المستعمرات اليهودية . . . .) فيقف امامها طويلا وتجيش نفسه بما تحمله الصورة من معان ، فيذكر حال امته وتخاذل " رجالها " امام " بنات " العدو ، ويتلهف على الوطن السليب ، ويختمها بقوله : (٢)

هواء فردوسنا الجميل
وظل اشجاره الظليل
وصدح اواجه الحبيب
جميعها في يد العدى
اسيرة تطلب الفدى
كم استجارت ولا مجيب
فهل ترى لفنا الردى
ام اثقلت سمعنا الخطوب؟

ويرى صورة " نداء العودة " لاحد الرسامين ، فتوحي له القصيدة " عودة اللاجي " فيقول (٣) :

من ذلك الرائع في صمته ... على حدود الوطن الغالي
يرنو الى الغرب وفي قلبه ... وناظريه عزم رئبال ؟
اشاعر ، خياله يجتلي ... سحر الذي خلف الغيوم الرقاق
ام عاشق : لم يسل محبوبة ... رغم المدى ورغم طول الفراق
كلاهما . . فشاعر صامت ... والشعر في لهفة وجدان
وعاشق . . في قلبه لوعة ... محرقة من فقد اوطان

---

١) منشورات الرائد العربي بحماة سنة ١٩٥٦ .
٢) ص : ١٣-١٥ .
٣) ص : ١٧-٢١ .

ثم يمضي مع ذكرياته عن فلسطين، وعن مفاتن الطبيعة فيها الى ان يتحدث عن الفلسطيني اللاجيء فيقول :

في كل فصل همسة حلوة ... في اذنه ، تدعو: متى يرجع؟
من كل شهر دعوة عذبة ... الى متى تدعو ولا يسمع؟
وخلفه . . ماذا ترى خلفه ... الخيمة العارية الباردة
ولقمة الاحسان جادت بها ... الايدي التي تسلبه العافية

ويقرأ في الصحف ان ضابطا فلسطينيا بكى في إحدى المناسبات ، فيثير الموقف شاعرنا وينظم قصيدة طويلة يقول في مستهلها : (١)

يا دمعة الاخلاص لا تنضبي ... أنت بقايا العزة الضائعة
الحب والثورة قد جمعا ... فكونك جمرة لا ذعة
كم دمعة مثلك قد اهرقت ... من مقلة مقروحة جازعة

. . . . . .

وكم معان فيك مكتومة ... يا دمعة من بطل ثائر
ما كنت للابطال مخلوقة ... فالدمع للمستضعف الحائر
لكنها الايام - يالؤمها ! ... ساوتهم في حكمها الجائر

. . . . . .

وان النفس الشاعرة وحدها هي التي تقف هذه الوقفات المتأنية العميقة امام مثل هذه "الاشياء الصغيرة" في ظاهرها ، فتغوص في اعماقها وتمتد مع ابعادها ، في انفعال صادق وتجاوب مخلص ، حتى تستشف منها هذه "الدلالات الكبيرة" ثم تؤدي هذا المضمون النفسي بادائها الفني يتفق مع المضمون في صدقه وحرارته وعمقه و"بساطته" .

حتى هذه "المناسبات الكبيرة" التي تستوقف الشعراء عادة ، فينظمون فيها كلاما طويلا اكثره استجابة للدواعي الخارجية التي تقتضيها المناسبة ، فيحفل كلامهم بالاساليب المستعارة والعبارات المكررة والاحاسيس المفتعلة ، حتى هذه المناسبات يقف امامها شاعرنا الناعوري وقفته الاصيلة التي تتفق مع طبيعة نفسه وخصائص فنه فلا ينظم لمجرد "المناسبة" نفسها بل لأنه "انفعل" بها انفعالا صادقا ، ولذلك يجيء تعبيره عن انفعاله بعيدا عن الخطابية الزائفة والتقريرات الجازمة والتهويلات والمبالغة ، استمع اليه يقول من قصيدة "عيد الأمل" وقد نظمها بمناسبة عيد الميلاد سنة ١٩٥٤ : (٢)

نعاود اعيادنا كل حين
ونحن نعاني صنوف المحن

---

١) ص : ٦٩-٧٠
٢) اناشيدي : ٣٩-٤١ .

وفي كل قلب جناح الحنين
يرف ويخفق نحو الوطن
ولسنا نرى من جديد بأيامنا
فحتام تبقى القيود باقدامنا ؟
سنذخر افراح اعيادنا
الى يوم عودتنا للديار
واذ ذاك نشدو بأمجادنا
ونملأ ايامنا بالفخار
وفي كل صبح جديد سيشرق عيد
ويطلع يوم سعيد فيحلو النشيد

وشاعرنا شديد النقمة على تخاذل امته . ولكن نقمته ابعد ما تكون عن اليأس والاستسلام وانما هي نقمة الساخط على الواقع المرّ الذى يسعى الى تغييره باثارة عزائم قومه . قال من قصيدة بعنوان " ثورة روح " نظمها بعد ست سنوات من النكبة (١)

دعني من الاحلام يا صاحبي
وأسل الثارات والنصر
فليس في قومي ذو عزة
تدفعه العزة للثأر
قادتنا ثاراتهم بينهم ... ليس لهم عند العدى ثار
فان دعا المجد لساحاته ... كلهم يوم الوغى العار
نحن ؟ ومن نحن سوام فما
ندرك معنى العزة السامية
نشغل راعينا وجارنا
بنغمة واحدة راضية
الوعي . . وكل الشعب . كذب فما ... في شعبنا وعي واحرار
نجد الطاغي ونمنوا اذا ... ما ساقنا للذل سمسار
ستة اعوام تقضت على
مأساتنا الكبرى وتشريدنا
لا " اللد " و" الرملة " قد عادتا
لتسمعا وقع اغاريدنا

---

(١) ص: ٥٧-٥٩

ولا ضواحي القدس عادت لنـــا والكرمل الغالي وعكـــاء
وشط يافا لم يعـــد عهـــدهم فما يحييـنـيا به المـــاء

خيامنـــا تملأ رحب الفضـــاء
وقوتنـــا لقمـــة احســـان
اذلـة نحن ، واوطانـنـــا
يسرح فيها خصمنـا الجانـي

دعني من الاحـلام يا صاحـبي وأمل العـودة للـــديار
ما دام يرعى امـرنـا قيـــادة تمشي قيد الذل والعـار

ان شعر الناعوري في جملته ، هو شعر النفحة العميقة الصادقة ، ولذلك نحس به يتسلل الى نفوسنا تسللا هامسا هادئا دون ان يقرع آذاننا بعظمته وصخبه .

كمال عبد الرحيم رشيد (١)

نماذج من شعره :

من قصيدة له بعنوان " الكون والانسان " (٢)

يا من بكيت على الحياة طويـلا وقعدت تشكو اهلها والجيـلا
لا تقطع العمر القصير تأوهـا لا تقض عيشك في الحياة عليـلا
قل ما تشاء عن الحياة واهلهـا كل الذى ستقوله قد قيـلا
كم فيها سيد ذو حـدة ولكم اقامت خاملا وذليـلا
لكما طيب الحياة مرهـا وكثيرهـا فيما يكـون قليـلا
قم وانظر الى الدنيا بقلب مؤمن تجد الوجود لدى الجميل جميلا
فالشمس والقمر المنير حولـه الافلاك تجرى لا تطيق ملـولا
والطير فوق الغصن يبعث صوتـه لحنه ندا بكـرة واصيـلا
والروح في الانسان تزخر بالمـن ترتاد كونا رائعـا مجهـولا

---

١) كمال عبد الرحيم رشيد :
ولد في قرية الخيرية عام ١٩٤١م ، اكمل دراسته الثانوية والجامعية ، وتخرج من جامعة دمشق - كلية الاداب - وكان له ميول من سنة الطفولة الى نظم الشعر حتى تبلغ فيه ، عمل الشاعر في التربية والتعليم ، ثم في قسم المناهج والكتب المدرسية ثم عمل في قسم الاذاعة المدرسية وله نشاط ادبي في الصحافة والاذاعة مؤلفاته : ديوان شعر مطبوع " شدو الغربة " .

٢) ديوان أغاريد ، ص : ٤٠ .

هذا لعمري بعض ما وهب الـذي ... صنع الوجود وأحكم التنزيـلا
فالله ابدع صنعه فيما تـرى ... واراد منك الود والتـأميـلا
يا روعة الكون المظيم وحسنـه ... كوني لروحـي هاديا ودليـلا

في هذه الابيات التي يدعو بها الشاعر الانسان الى التفاؤل وترك التشاؤم ونبذه . نراه في قصيدته يقلد الشاعر ايليا ابو ماضي في قصيدتـه :

ايهذا الشاكي وما بك داء ... كيف تغـدو اذا غدوت عليـلا (١)

ومن قصيدة بعنوان " يا ايها الانسان" (٢)

يا أخي في الوجود فيما تمانـي ... وتمنى الفؤاد كـل امـانـي
وتظن الحياة عـلا طويـلا ... يستخف الابداع في الحسبـان
انت حرف من الحروف اللواتـي ... سطرتها أصابـع الرحمـن
غير اني اصبحت اراك نهبـا ... فاقد الرأي ضائـع الوجـدان
فيم يشكو وانت بالغ علـم ... واختراع وكاشـف الاكـوان
فيم تسعى الى انتحـار وقتـل ... وحياة تجـر للخسـران
ضائع الروح خاويا والأمانـي ... خائبات وكم تخيب الامانـي
لم تنلك ما بلغـت مـن ... الابناء والمال والوجـود الحسان
يا صديقي لا تستقيم حيـاة ... دون نهج مشت الاركـان
اى عيش يليق بالمرء ان لـم ... تتحقق كرامـة الانسـان
نرقب العيش تغيـر طيفـا ... وشفيقا كسمة الوجـدان
" تعب كلها الحيـاة" ولكـن ... هي روح في عالـم الايمـان

في هذه القصيدة صيحة من الشاعر الى بني الانسان يدعوه فيها الى ترك سبل الشر وانتهاج طرق الخير والدعوة الى السلام ، ونلاحظ ان الشاعر في شعره الفلسفي يتأثر بشعر ابي العلاء المعري .

---

١) ديوان ايليا ابو ماضي .
٢) ديوان الشاعر : " شدو الغرباء " .

الباب الثالث

الفصل الثالث

مدرسة الشعراء المجددين

مدرسة الشعراء المجددين

تكلمنا في الفصل الاول في هذا الباب عن مدرسة الشعراء التقليدية، وذكرت خصائص هذه المدرسة ثم بينت اغراض شعرها، وترجمة لحياة اشهر اعلامها مع ذكر نموذج من اشعارهم.

اما في هذا الفصل فسوف نتحدث عن المدرسة المجددة، والتي ثارت على عمود الشعر القديم ومزقته، ثم حطمت الاوزان والقوافي مطالبة بالتحرر من كل قديم والتحرر من القيود والشكل للقصيدة العربية القديمة.

ومن خلال الاحداث التي تدور في مجتمعنا العربي، نستطيع ان نعرف سبب ثورة هذا الجيل الغاضب والرافض لكل تقليد.

وكما نستطيع ان نطلق على شعراء المنتصف الاخير من هذا القرن شعراء النكبة لانهم عاشوا احداث النكبة وسجلوا تاريخها بدمائهم ودماء ابائهم واجدادهم.

فهم مشردون ونازحون ولاجئون كما يطلق الناس عليهم من تسميات سخيفة، خرجوا من ارض ابائهم واجدادهم من قصورهم الشاهقة، وساتينهم من جنات الخلد، ليعيشوا في الصحارى القاحلة، يفترشون الارض ويلتحفون السماء ويلتهمون التراب.

خرجوا واخرجتهم يد الانسان الطاغية، لتقيم على ارضهم وطن المغتصبين، سلبهم الحرية والكرامة باسم الانسانية، تراهم معذبين في سائر الارض يسعون من اجل الحصول على الرغيف الاسود.

لماذا هجروا التربة التي حررها اجدادهم الفاتحون بدمائهم ....؟

كل هذه التساؤلات التي يلقيها الابناء على الاباء، فمن هنا نرى ثورة الشباب العارمة، وعبروا عن هذه الثورة باشعارهم الوطنية الصادقة، لانهم جيل الحروب، جيل النكسة، جيل النكبة.

نشاهد ثورتهم ملتهبة لتعبر عن سخطها الشديد واستنكارها لما حصل بامتهم من قهر وذل وغلبة ويأس.

نلاحظ هذه الضجة الشعرية تنبع من الارض المحتلة، والتي تتمثل بشعراء الأرض المحتلة (١) والذين اطلقوها حربا باشعارهم وبدون استسلام، عندما فشلت جهود الأمة العربية من تحقيق احلامهم.

لذلك نشاهد على اشعار هذا الجيل الصفة الوطنية الصادقة وكثيرا ما نشاهد استعمال شعراء هذه المدرسة الشعر الرمزي للتعبير عن خلجات نفوسهم.

---

(١) ادب المقاومة للدكتور عبد الرحمن ياغي. يتحدث فيه عن شعراء المقاومة في الارض المحتلة منهم محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، فدوى طوقان، وغيرهم.

فهذا الشاعر علي البتيري في ديوانه لوحات تحت المطر (١) يغني اغنية حب متدفقة غزيرة للوطن المحتل ، الذى اغتصبه الاعداء فهو يرمز لهذا الوطن برموز مختلفة .

فلنقرأ ابياته لنتعرف على هذه الثورة :-

قالوا بانك في الخليل حبيبتي
زيتونة حمقاء دائمة الفروع
بقيت ملفأة الشموع بابهجة الحب الدفين

الاغراض الشعرية :

ان شعراء هذه المدرسة عاصروا نكبة فلسطين وكانوا ضحيتها ، وشربوا كؤوس الموت، وعاشوا مشردين ، فكان شعرهم صوره لاحوالهم البائسة .

فكثر الشعر الوطني ، والشعر الغنائي ، والشعر المسرحي ، والشعر القصصي .

ومن الاغراض الشعرية لهذه المدرسة :-

الشعر الوطني

يقول عبد الرحيم عمر في قصيدته لمن تقرع الاجراس (٢) :-

وتقرع الاجراس امام البوابة (٣)
وتبدأ الحكاية الجديدة
ويصعد الدعاء للسماء
وتملأ المدينة السعيدة
اغنية قديمة قديمة
ظلت في شفاهنا يتيمة
تشيع كالمساء
يجلل المسارب البعيده
المجد في العلاء !
يا واهب الاعياد والهناء !
يا خالق الامجاد في العلاء !
انا هنا في كل عام نقرع الاجراس
وندفع النذور والصلاة

---

١) ديوان لوحات تحت المطر .
٢) اغنيات للصمت ، ص : ١١٣ .
٣) بوابة في القدس المحتلة ، كانت تفتح في اعياد الميلاد ، ليتصل الناس بذويهم في القدس العربية قبل احتلالها .

وليس من جديد
فاسكتوا الأجراس.

. . . . . .

اما الشاعر نزيه القسوس فهو يصف اليوم الخامس من حزيران بأنه يوم مشؤوم لطخ جبين العرب بالعار ويقول في قصيدته :-

وقفينا . . . . . (١)
نضفها الكلمات
ببلادي
نضفها الكلمات
نجتر قشور النظريات
لنسبني
ابراجا عاجية
وتخوض حروبا وهمية
بسيوف الشعر الخشبية
نتساقى القهوة العربية
وسجائر كيف
تركية
ونهيذا
مشهور النكهة
بسري
برؤوس منتشية
بعصور الفتح الاموية
الخامس عشر من حزيران
رقم محفور في الوجدان
ببلادي
يحترق الانسان
للذكرى المرة . . . للخذلان

. . . . . .

يا عام السابع والستين (٢)

---

١) ديوان يوميات حزيران ص ١٥
٢) نفس المرجع ص ١٦

لوحت شهيدا . . . بفلسطين
نسينـــا
انا مهزومـــون
في العقد الرابع للعشرين
" يا قرنا أسود في التقويم "
ولقلنـــا
كان وياما كان
وبقينا من خلف الجدران
نستمطي من جهد الرحمن
نقتـــل
ألاف الانـــذال
بسيوف الشعر الخشبية
ويشب بلا أرض
اطفال
بخيام سيظل الاطفال
لكن السابع والستين
منقوش فوق الطين
عمـــان
اعيشـــي اشعاري
بغـــداد
هيـــني افكاري
يا مصـــر
ســـلام الاحـــرار
يا تونس ام الابطال
يا سوريـــا
بلـــد الثوار
يا ارض محمـــد

اما الشاعر عاهد شاكر يصف لنا ثورة الاحرار المتأججة في كافة اقطار العالم في القـــدس وفي المرقوب ، في اريتريا في كل مكـان .

يا قلب ايا وطن الجراح . . . . (١)
اليوم . . ماذا بعـــد ؟

---

(١) قصائد منشورات رابطة الكتاب الاردنيين ص ٤٧ .

لماذا " الاشـــرم " المأفـــون .. يا وطـــني ؟
يطوف حول كعبتنـــا
وفي القدس العتيقة في شوارع السمرة
يهدم ما يشاء من البيوت
وفي القدس بيت حزين
وطفل حزين
واسمرة الموت والدم
في القدس كل العصافير كانت تبدل اصواتها
واز يز الرصاص
صدمة وارتطام
نقرة في جدار
اصيح .. اصيح من خوفي ومن الم
يا اخوتي العرب ناديتكم
ناديتكم .. بح صوتي
ولا مجيب
والان في المرقوب في " اريتريا "
هل تسمعون الجلجلـــة
في العراق والشام

. . . . . .

في ارض يثرب ضجة صحراء
آه واحملوا بارودتـــي
فطفل اليوم العمومة يدركون الثأر

اما الشاعر عبد الله الشحام فينظم قصيدته بعنـــوان " معلقـــة الدم والرصاص والمطر " (١) ويهديها الى شهداء العرب في كل مكان في هذه الابيـــات :

في ذلك المســـاء . . .
انتفض النهر مع النهـــور
وغنت الرعـــود
وهلل البارود .. للبارود
تهللا بالشوق والشـــرر

---

١) مجلـــة افكـــار عدد ٣٤ ص ١٦٥ .

والنور والنـــدى
لنحمي حوافر الغزاة
من رجمة الرشاش . . . والصلاة
مخضبا بالدم والسواد
حط على المقابر المهجورة
فعام في حمى الفصول والظلام هائجا .
إن القتيل في هزيمة الأخـــير
كالمعزون قد أصابه الدوار
وحين طار
اخضوضرت جدائل الليمون والتفاح
شع وجه النار
برعت زنـــودهـــــم
وفتحت نوارس الرضى .

لقد عرضنا عدة قصائد لمجموعة من الشعراء ، لمسنا في هذه القصائد الروح الوطنية لـــــدى هؤلاء الشعراء ولقد اطلق عليهم لقب شعراء النكسة ، لأنهم عاشوا النكبة ورضوا بها وعبروا عنها باشعارهم لذلك نرى الشعر الوطني المعبر عن غضبة الجماهير هو الغرض الذي طرقه الشعراء سيما بعد نكبـــة حزيران .

الشعر القصصـــي :

نلاحظ هذا اللون من الشعر عند بعض الشعراء فالشاعر عبد الرحيم عمر ينظم لنا قصيـــــدة بعنوان " من حكايا سندبـــاد " : (١)

كانت الاعين ترنـــو
ما الذي عاد به يوم المعـــاد . . . ؟
من كنوز الارض هذا السندباد ؟
وتهادى الرخ فوق الافق مزهو الجناح
ساخرا من عزة الجـــو ، ومن هوج الريـــاح
ثم اهوى بجناحية ، والقى ببقايا سندباد
كان مشـــدود المحيـــا
مثل قديس يعاني رعب رؤيـــــا
يتلـــوى تحت اسواط الســـؤال
اترى ما كان كـــان

---

١) ديوان اغنيات للصمت ، ص: ٦٣-٦٤

الشعر الغنائـــي

قليل من الشعراء طرق هذا الباب من الشعر ،لانهم يعيشون في محنة وشقاء ،فجاء شعرهم صورة صادقة معبره عن حياتهم بحياة التشرد والضياع.

فكان الشعر الوطني هو المادة الوحيدة التي يعبر بها الشاعر عن احاسيسه وعواطفه الملتهبة وتصوير مأساتـه .

وقليل من الشعراء من نظم في هذا الغرض فالشاعر حيدر محمود ينظم قصيدته بعنـــوان " الحب يبدأ من أول السطـــر " .

الحـــب . . . .
يبدأ من اول السطـــر
بيننـــا خطوتـان
آه يا لحظـة الوصول آه
والهوى . . .منذ كان
هجمة القلب في القلب . مثل هجيع الحمامة في عشها
والهديل صلاة
والهوى - منـــذ كـان
فروح الروح . اذ تلتقي - بعد غربتها - بالامـان
بيننـا خطوتـــان
آه يا رفة العين اذ يفجأ النور بؤبؤهـــا
تنطفي لحظـــة وتضيء
تنطفيء . . . وتضيء
والذي لم يكن ممكنا ان تراه - تراه
والهوى . . منـــذ كـان
أســـر واســـير
يستوي وجع القيد عندها - فرح وحبـــور
والهوى قدر النفس لتصبح مثل عزيـــز
يا حبيبتي انا الان عندك لفظ يعانق معناه في اول السطر :-
اول كل الحروف انا ، وانا الاخـــر . . . .
وانا العشق والعاشق ، والشعر والشاعر . . . .
وحبيبي لـــه في الحمى ،منزل عامـــر . . . . .
يا حبيبتي انا وانت ، وجدنا الحب، وهي وروحـــك
يا اســـرى توأمـــان
والهوى - منـــذ كـــان

هجمة في حماك
كهجيع الحمامة في عشها
وأنا الان عندك ، تعلم ان في النفس الاهوال
يا حبيبتي ، تعلم ان لم تضم الحنايا سواك .

فيما سبق تعرضنا لاشهر الاغراض الشعرية التي نظمها الشعراء من شعر قصصي وشعر وطني ، ورأينا ان الشعر الوطني احتل المرتبة الاولى لدى الشعراء المجددين لانهم تأثروا بنكبة فلسطين وعاصروا احداثها .

اشهر شعراء هذه المرحلة

سوف نتناول بالدراسة والتحليل اشهر شعراء هذه المرحلة ونذكر اهم خصائص هؤلاء الشعراء :

عبد الرحيم عمر

صورة من شخصية عبد الرحيم عمر في شعره (١)

في شعر عبد الرحيم عمر تلتقي مدرستان من مدارس الشعر الحديثة : المدرسة الرومانسية والمدرسة الواقعية الجديدة ، تلتقيان منفصلتين انا بحيث تستأثر كل مدرسة بمجموعة من هذه القصائد كما في (ليالي بنيلوب ، من حكايا سندباد ، وانتظار ، ورسالة الى صديقة مجهولة ، وعائدون يا تشرين ، واغنيات للصمت ، واني مسافرة ، وعلى سفينة نوح ، وضائع على الدرب ، وهارب من حلمه ، والى عمان ، وشيئان) فهذه اثنتا عشرة قصيدة من المدرسة الواقعية الجديدة ، في حين ترى الرومانسية تنتظم قصائد (زائره في العيد ، وفي الليل ، وبعد اعوام ، والشاعر) . ونرى هاتين المدرستين تقتربان انا اخر بحيث تمتزجان في اللقاء ، امتزاجا يكاد يكون متكافئا ، ولكنه شذّ على اي حال في بعض هذه القصائد كما في (الرحيل ولمن تدق الاجراس ، وفرار ، ولن يجيء) ففيها تمتزج الرومانسية بالواقعية الجديدة ، وهما يتيحان لنفسيهما بان تستأثر احداهما ببعض مقطوعات هذه المجموعة ، لكن في استعانة بقليل من رذاذ تستمطره من الاخرى كما في (رؤيا ، ودون جدوى) فهما من الواقعية الجديدة مع رذاذ من رومانسية .

ومن هنا كان مولد هذه المجموعة طريفا ، طريفا بهذا اللقاء بألوانه الثلاثة المشار اليها قبل .

---

(١) ولد في قرية جيوس عام ١٩٢٩م ، انهى دراسته الثانوية والجامعية شغل عدة مناصب في الدولة في وزارة التربية والتعليم ، والاذاعة أصدر ديوانه الاول اغنيات للصمت ثم اصدر ديوانه الثاني من قبل ومن بعد .

قليل ، وطريفا باستكمال المدرسة الواقعية الجديدة فيها : الكثير من خصائص العافية والحياة الجميلة ، وهي بهذا الاستكمال تنضم الى هذه المجموعات القليلة الشعرية ، التي استطاعت في السنوات القريبة الماضية ان تقف وضاء الجبين ، ناصعة الملامح ، تملن في صدق ، واصالة مولد مدرسة جديدة من المدارس الشعرية الحديثة في عالمنا الادبي الاردني .

ولعل هذا التمايز بين هاتين المدرستين بالشكل الذى اشرت اليه اشارة خاطفة سابقة ، هو الذى لعب دورا هاما في تصوير المرأة هذه الصور التي نراها في هذه المجموعة الشعرية . فنحن اذا استثنينا اولا هذه الاشارات الخاطفة التي تشير الى صور عامة في نفس الشاعر لأمة في قصيدة بعنوان " ضائع على الدرب " وابنته أمل في قصيدة " هارب من حلمه " دون ان ترسم لهن صورا خاصة تميزهن عن سائر الامهات والبنات ، واذا استثنينا ثانية هذه الايماءات لارتقاب فتاة فلسطينية فيالق الفرسان الذين سيعيدون يافا والفردوس المفقود ، دونما تصوير لملامح هذه الفتاة وشخصيتها في قصيدة " عائدون يا تشرين " ، اذا استثنينا هذا وذاك فاننا سنمضي الى بعض صور المرأة في شعر هذه المجموعة الشعرية وموقف الشاعر منها .

واول ما نلاحظه ان الشاعر يجنح في بعض الاحيان الى مجرد مناداة المرأة ، وتسميتها بعد ذلك ما يود ان يقوله من شعره كانما ليس لديه الصبر على رسم صورة المرأة رسما يؤدى بطريق غير مباشر الى الذى يود ان يقوله في شعره ، ويسمعه من فم المرأة كما في قصائد " الرحيل ، ورؤيا ، ورسالة الى صديقة مجهولة " . غير اننا بعد هذا كله ، نجد للمرأة صورا في هذه المجموعة الشعرية ، وصورها في القصائد التي جاءت من نطاق المدرسة الواقعية الجديدة صور كثيرة الى حد ما وفيها من الخصب والعظمة قدر لا فت . وهذه صوره بثلوب مثل هي رائع خصب على وفاء الزوجة ، وحبها ، واخلاصها ، ومثابرتها ، وقدرة الامل العظيم في نفسها على مصارعة الحوادث والخطوب ومكائد الكائدين وحبائل الخادعين .

أترى يعـــود ؟
بحارك المعبود مرفوع الجبين
ام لا يعـــود ؟
اتراه يأتي في الظلام
ولا يضل طريقه عـبر البحـار؟
هو في الطريق الى يالليلي الطويل
اني اكاد أرى محياه الجميـــل
قد اعجز الانواء والمـوج المثـــار
واطل يبســـم في انتصـــار

وكذلك نجد صورة المرأة في قصيدة : (على سفينة نوح) صوره غنية الدلالات كريمة الاثر في نفس الشاعر والحياة معا :

عيناك حلوتـــان

وكالربيع فيهما تفاؤل حبيب
وخضرة ساحرة تفيض بالحنان

. . . . . .

وانت يا رفيقتي الحزينة
تغالبين الخوف، تزرعين حولك الأمان

. . . . . .

يا حلوة العينين في
عينيك أبراق الغد الحلو النضير
والشوق والاشواق والامان
عيناك حلوتان

وفي مثل هذه القمم التي تفيض خصبا نجد صورة صديقه الشاعر في قصيدة " هارب من حلمه" :

تلك القصيدة
تطل عليك ، تناديك ، تفرش دربك وردا
وحبا
تمنيك بالغد مستحيلا
وفي مقلتيها حكاية حب من الشوق خصبه
سفحت عليها مزاميرك الشاجيات العتيقة

اما صور المرأة في القصائد التي جاءت من دنيا المدرسة الرومانسية فصور فيها اضواء هذه المدرسة وطموحها ، وظلالها في الوقت نفسه ، ولعل المرأة في هذه الصور تبدو اقل نضجا منها في تلك القصائد السابقة التي اشرنا اليها من المدرسة الواقعية الجديدة.

فهذه " زائرة الشاعر في العيد" تبدو في تردد الرومنسيات فلا تبت في مجيئها وزيارتها في العيد للشاعر ، لان ارادتها المتأرجحة ارادة رومانسية لا تعرف الحسم والبت . وحين يتصورها الشاعر آتيه في الطريق لا يطاوعه خياله في رسم صوره حازمة لها . وانما هي حلوة " كطائر غريب يمشي بلا دليل محيرا تقوده شوارع المدينة " في سلبية الرومانسيين المعروفة :

اما رأيت حلوتي ؟
كطائر غريب
يمشي بلا دليل
محيرا تقوده شوارع المدينة؟
ومرت الدقائق اللعينة
وكان ما خشيت ان يكون
وقيل لي "لعلاك لن تجي"
يا خيبة الامال في لقائنا البريء !. . . . . .

ومع هذا الاثر العميق الذى كان في هذه المرحلة الصاخبة في نفس الشاعر، فانه ما زال اثرا فرديا محدود النطاق لم يبلغ ذاك الذى اشرنا اليه من اثر صاحبته في قصيدة " على سفينة نوح " اما الأميرة في قصيدة " الشاعر " فليس لها الا اسمها ، فقد اعجل الشاعر عن رسم صورة بينة الملامح والسمات لها .

والذى يتتبع صورة المرأة في قصيدتي " الرحيل " و " لن يجيء " وهما من القصائد التي امتزجت فيها المدرستان الرومانسية والواقعية الجديدة يجد ان اثر المرأة في الشاعر كبير ولكنه لا يكاد يتجاوز حدود الشاعر الا قليلا ، ويجد صورة المرأة المكابرة التي تود ان تخضع صاحبها لارادتها ، في هذا اللون من الصراع الذى الفه الرومانسيون والرومانسيات، يقاوم الشاعر هذه النزعة مع ما لصاحبته المترددة المكابرة هذه ، من اثر كبير في نفسه .

واحسب ان جاء اوان الاشارة الى جانب هام يملأ كثرة من قصائد هذه المجموعة جمالا وروعة هو جانب الرمز واستثمار القصص والاسطورة استثمارا جميلا خصبا .

وقد رافق هذه العناصر الثلاثة ، عامل الخيال المجنح الذى يرتاد ابعد الافاق واعلى القمم دون ان يفلت منه خيط الفن الشعرى الجميل .

واحب ان انبه الى ان الرمز هنا وسيلة ايجابية بناءة في فن الكثير من قصائد هذه المجموعة ، وهو مخالف لرمزية المدرسة الشعرية الحديثة في الاداب العالمية والادب العربي الحديث، فالرمزية تجنح للسلبية المسرفة ، في حين ان الرمز هنا ليس الا وسيلة تعمد الى الطريق غير المباشر ، في بناء جانب من قصائد هذه المجموعة الشعرية ، وهو الطريق الذى تميل اليه الفنون الجميلة الناجحة . حتى بعض صور المرأة في هذه القصائد استطاع الشاعر ان يتخذ منها رمزا جميلا موفقا ، ولقد كان لاعتماد الشاعر على الطريق الفني غير المباشر ، الاثر الكبير في الافادة القصوى من الاسطورة ومن بعض جوانب القصة واسطورة بروميثيوس واسطورة بنيلوب واسطورة السندباد ، من ابرع الامثلة الحية التي استطاع الشاعر هنا ان يفيد منها .

وقد جاءت الرقعة البشرية فسيحة بل فسيحة جدا في كثرة من هذه القصائد ، واستطاع الشاعر في هذه الرقعة ان يجيء بالرمز الدقيق الذى يكاد طائر الشعر المجنح ان يغير لونه واستطاع كذلك ان يجيء ببعض الاضداد الوردية ، واهداء الاشواق وبالاضواء المتلألئة التي تلوح لأعين المتعبين .

ولعل الشاعر ان يمضي في الافادة من الاسطورة والقصة اللتين ملأتا قصائده الجميلة هنا بالحركة والحيوية وينبع فيائض من الجمال ، ولعه كذلك ان يتحفنا بين الحين والحين بجملة اوباقة من روائعه .

اما بعد فان من يقرأ هذه المجموعة الشعرية الفذه ، لا بد له من ان يعني اكبر العناية بجانبي الرمز والمرأة اللذين اشرت اليهما لتتفتح امامه هذه الافاق الخصبة الفسيحة من خيال الشاعر المجنح الرائع الذى يجد مضامين شعرية في موسيقى نضرة غنية .

وان كنا قد حاولنا ان نبلور السمة البارزة في شخصية الشعر عند مصطفى وهبي التل ، فان

السمة البارزة الساطعة في شخصية الشعر عند عبد الرحيم عمر فيها يخيل الى ان شعره يحمل هموم قومه بجميع ابعادها السا رة ، والثقيلة ، وان صوت هذا الشعر ليس الا صوت قومه الا دنيين والبعيدين !

وربما كان استغراق نفس الشا عر بجميع ابعادها واعماقها هموم قومه القريبين والبعيدين ، هو السبب في ورود المرأة بهذه الصور التي المحنا لها في شعره ، وفي ورود الرمز كذلك بهذا الرواء والشكل ، وفي غنى هذه الموسيقى المغنية الهامسة همسا يكاد يجعلها صوء الصمت .

واذا كنا قد لحظنا ان صوت الجماعة هو الذى غنى من خلاله مصطفى وهبي التل ، فان صوت الجماعة الذى يغني من خلاله عبد الرحيم عمر ، مع فرق واحد بينهما هو الفارق بين المدرستين الرومانسية والواقعية الجديدة .

ولعل ايراد بعض الا مثلة من شعر عبد الرحيم عمر في هذه المجموعة ان يقرب بين وجهتي النظر عند الكاتب والقارىء : يقول عبد الرحيم عمر في قصيدة : " من حكايا سندباد " (١)

كانت الاعين ترنو :
ما الذى عاد به يوم المعاد
من كنوز الارض هذا السندباد ؟
وتهادى الرخ فوق الافق مزهو الجناح
ساخرا من عزة الجو ، ومن هوج الرياح
ثم اهوى بجناحيه ، والقى ببقايا سندباد
كان مشدود المحيا
مثل قديس يعاني رعب رؤيا
يتلوى تحت اسواط السؤال
اترى ما كان كان
ام تراه كان مما ينسج الغيب ، وما يوحي الخيال
لم يكن في جعبة العائد للصحب هدية
وتهامسنا : ترى هل خابت الرحلة ، خاب السندباد
عاد لا يحمل الا ذكريات ورماد
خاب يا ضيعة ، يا رحلة الشؤم الشقية
وتوافدنا نحييه ، طرقنا بابه السمح الجواد
وجلسنا صامتين

---

(١) اغنيات للصمت ٦٣-٦٨ ورد هذا الشعر في الرسالة وذكر في اهم الاغراض الشعرية في الشعر القصصي .

نرمق العائد باليأس من الدنيا القصيّة
صمتنا امتد صحاري بيننا
ما لـه؟ ويل له هل ملنـا ؟
كل شيء من حنـايـاه يثـور
ورأينا عالما ملء حناياه يمـور
فهو لولا الصمت ما حب السفر
واعتذرنا : اننا عشنا قرونا صامتين
ورجوناه ، فما ضن علينـا
كان في جعبته دنيا حكايا وحكايا

. . . . .

هبطت قافلة القوم على واد خصيب
ساحر الخضرة موفور العذوبـة
دافيء الشمس ، تراه نبع خير وخصوبـة
غير انا لم نجد فيـه بشـر
لم يكن فيـه لا نسـي اثر
وزرعنا ارضـه حبا . . ورحنا نتغنى بالحصاد
آه ايام الحصـاد

. . . . . .

رب ظل الموت هذا
رب ما هذا؟ انضج ام شحوب
جلل الارض فلا نيسان نيسان
ملأ الجو اطيار أرهيبات تجوب؟
رب ما هذا ؟ اشدو ام نعـيب؟
وصعقنا حين ابصرنا السماء
تمطر الوادي نعيـا ولهيب
وذعرنا ، وافترقنا ، وانطلقنا للنجاة
وجنى الايدي من الوادي لهات
وادكارات واطراف حكايه
واقلتنا دروب ودروب
واذا بي بين اسوار مدينـة
كل ما فيها غريب وعجيب

ناسها بعض التماثيل بلا حس،
ولا رجع ارادة
كنت فيها كنبي راح وسط التيه يدعو للعبادة
وعلى اسوارها الف ضياء ، ونور
وهي لا فرق لديها بين صبح ومساء
وهي لا قيمة للاحداث فيها
كل ما كان يكون
كل ما كان سواء
قيل لي ليس هنا اي مجال للتجارة
غير اني كغريب في المدينة
سلعة مطلوبة مستملحة
وبدت لي كأسرار المدينة
واذا كان الصباح
قلت قد حان الرحيل
يا بلادي ! يا مطل النور في سود الليالي
ها انا قد عدت من هول مسيرى
وعثارات الاسى تدمي مصيرى
واعتلى الرخ معاريج الفضاء
يتهادى من سماء لسماء
. . . . . .

ويقول عبد الرحيم عمر في قصيدة (بعد اعوام) (١)
وعد لقاء اثنين مؤتلفين مهما طال بينهما البعاد
قد رعلى كفيهما يدعوهما
كحنين زاجلتين تحترقان شوقا للمعاد
انا في انتظارك منذ ارضعت الحروف رحيق عمري
ووهبتها نبضات ايام غنيّات جميلة
كم مرة غنى لطيفك في الدجى قيثار شعري
يا حبي الموعود يا زاد الطواف المر اعواما طويلة
ما زلت اذكر يوم أن ودعت أهلي من سنين

---

١) أغنيات للصمت ، ص : ٩٩- ١٠١

ووصيـة من والدي

" ابني عشت العمر مستورا فحاذر يا بني

النفس مطمعها عدوك يا بني

والزاد اشرفه القليل

والعيش يا ولداه ان تحيا على ذكر جميل

ما زلت اذكر كيف ودعني الجميع

ورجاء والدتي تقول مع السلامة يا بني

اذكر كلام ابيك انا بانتظار رسائلك

وحملت في كفي الوصية

ودموع اخوتي الصغار

ودموع امي في مآقي السخية

لم ادر كيف مشيت ودعت الحدود النازفـة

والاهل والمأساة والموتى واشباح المنايا الزاحفة

وطويت في قلبي فجيعة جيلي المطعون كلـة

ورحلت احمل جرحنا الدامي ، ولم اصرخ

فغول الصمت قد القى على الدنيا بظلـه

ما زلت اذكر يا حبيبـه

كل الذى لاقيت من قدرى العنيـد

هذى يدى يا نجمتي الغراء ، يا قدرى السعيد

اترى اعود اطوف الدنيا الغريبة

ام ان لي قدرا جديد ؟

من منبئي ؟ يا نجمتي الغراء ! يا قدرى السعيد !

ويقول عبد الرحيم عمر في قصيدة " لمن تقرع الاجراس " (١)

وقد اهداها الى الاخوة الذين يعبرون بوابة مندلهوم في كل عيد ميلاد :

وتقرع الاجراس

وتبدأ الحكاية الجديدة

ويصعد الدعـاء للسماء

مرنمـا منسـاب

---

١) أغنيات للصمت ، ص : ١١٣-١١٧ وردت هذه القصيدة في الرسالة في باب الشعر الوطـني ص :

وتنتشي القبـــاب
وتمـــلأ الدنيا السعيدة
اغنية قديمة قديمـــة
ظلت على شفاهنا يتيمـــة
تشيع كالمساء
يجلل المسارب البعيدة
(المجد في العلاء)
يا واهب الاعياد والهناء
يا خالق الامجاد في العلاء
انا هنا في كل عام نقرع الاجراس
وندفع النذور والصلاة
شفاهنا تصلبت على الدعاء والرجاء
ولا نزال كل عام نحصد الاســـى
كانما بحاره الجوال قد رسا
في دارنا بقية العمر
لمن تدق هذه الاجراس يا رفيق ؟
فبيتنا لا يعرف الفرح
كانما في قبـــوه العتيق
مآذن التتار من جماجم الرجـــال
ولا يزال ليلـــه وشاحه الردى
ورهبة الاشباح لا تزال
ولا يزال ساحه ملاعب العدا
ولا يزال يا اخي ... ولا يزال ؟
سدى تهب رنة الاجراس في مشارف الذرى
فالفارس الغيور في صحرائنا توسد الحسام
والتحف العباءة
وراح في غفوته الهنيئة
يغط في قوافل النيسام
كأنما قد صدأت اجفانه من الكرى
فلم يعـــد يرى
ولم يعد يحس بالرياح
من كل صوب تلطم العباءة

قضى ولما تعـــرف الجراح
خيوله الهزيلـــــه
وراحت الذئاب والرياح
تعيث في المضارب الذليلـة

. . . . . .

لمن تدق هذه الاجراس يا رفيق
وحارس البوابة اللعين احكم الرتـاج
وليس من سلاحنا الا النشيج
ولم يعد يهـــزه النشيج
فاحكم السيـاج
والفارس الهمام لا يزال
يغط في مهاجع الرمال
وطال يا رفيقي انتظارنا العنيد
وليس من جديد
فاسكتوا الاجراس

ويقول عبد الرحيم عمر في قصيدة " رؤيـا " : (١)

ولا حت بعيدة
تداعب أنفسنـا المجهدات
فما رف جفن ، وما رق قلـب
السنا اضعنا السنين ، نصارع
ذل اسانا ، ونصبـو
الى نمؤ نجمـة
لعل بها مرفأ للحيارى
وكم لمعت نجمـة خادعـة
فسرنا اليها سكارى
تحت قوافلنا الخانعـة
وعدنا نلوك اسى الفاجعـة
فيا خيبة الانفس الضائعة
فنجمتنا نيزك تائـه

---

١) اغنيات للصمت ، ص : ٦٠ - ٦٢

تلألأ ثم تـــوارى . . . .
فيا حلوتي لم اعد شاعر الابيات
انا جرحتني المآسي رمتـــني وراء الحياة
ويا حلوتي ان تراءت امان جديدة
وغردت ،لكن صمت ، وبح نشيـــدي
وما من قصيدة
فلا تفجعي ،لم تعد تستثير الاماني
لحونـــي انا للجراح ، لآلامها الكاويـــة
ولست نبيا
يصدق رؤيـــا
فيرمي باسحق للهاويـــة

فـــدوى طوقـــــــان (١)

صدرت لفدوى مجموعتان : اولاهما بعنوان " وحدى مع الايام " (دار مصر للطباعة ،لجنة النشر للجامعيين) (٢) ، وثانيهما بعنوان " وجدتها " (منشورات دار الآداب ببيروت) . ولعـــل الشاعرة ارادت بهاتين المجموعتين ان تسجل مرحلتين مختلفتين من مراحل حياتها الوجدانية الفنية ، فرمزت الى ذلك بهذين العنوانين اللذين يمثل أولهما الوحدة والحيرة ، ويمثـــل ثانيهما الطمأنينة والهدوء ،بل قد أكدت اختلاف حالتين المرحلتين حين اثبتت في مجموعتها الثانية بضع قصائد افردتها بعنوان خاص هو " قصائد من رواسب : وحدى مع الايام" . ولكننا حين نمضي مع الشاعرة في مجموعتيها لا نكاد نحس بما ارادت ان توحي الينا به حين اختارت هذين العنوانين ، فالجو النفسي الذي يسود قصائد المجموعة الاولى هو نفسه الذي يسود قصائد المجموعة الثانية ، وخصائص الاداء النفسي في المجموعتين واحدة . وكل ما بينهما من فروق تنحصر في الشكل وحده ، فقد جعلت " البيت " في المجموعة الاولى وحدة متكاملة ، والتزمت

---

١) فدوى طوقان : ولدت في مدينة نابلس بعد الحرب العالمية الاولى في بيت يسار وأدب وتعهدها اخوها ابراهيم فكان لها الاخ والمعلم ، بدأت تشتهر في الاوساط الادبية حين رثت اخاها ابراهيم طوقان ، وتفتحت مواهبها بعد ذلك ونظمت في اكثر اغـــراض الشعر ، كالغزل والوصف والشعر الوطني ، وواصلت طريقها الى ان اعتبرت من ابرز شعـــراء العصر الحديث . ظهر لها من الدواوين (وحدى مع الايام ، وجدتها ، امام الباب المغلق ، الليل والفرسان ، واخيرا أخي ابراهيم) .

٢) الطبعة الثانية ، اما الطبعة الاولى فقد صدرت بالقاهرة سنة ١٩٥٢ ، وانظر ما كتبتـــه الاديبة المعروفة السيدة وداد السكاكيني عن فدوى طوقان في كتاب " نساء شهيـــرات من الشرق والغرب) من مطبوعات فرانكلين ، مطبعة الحلبي سنة ١٩٥٩ ، ص: ٧٣-٨٢ .

قافية واحدة او عدة قوافٍ على نظام خاص، وجعلت في المجموعة الثانية " التفعيلة" وحدة القصيدة واختارت لكل قصيدة نظاما للقافية لا يلتزم نمطا واحدا .

أما الجو النفسي الذي يلف المجموعتين معا ، ويسود شعر فدوى عامة ، فيتألف من عناصر متداخلة مردها الى عنصر واحد كبير، يتمثل في هذا القلق النفسي الصاخب بما يدفعه ويغذيه من جوع عاطفي وظمأ وجداني من حرمان وجفاء ، وما يواكبه من حيرة واضطراب ولهفة وتشوق ، ان هذا الصراع الذي يصطخب في نفس فدوى وفي فكرها صراع بين أسر القيد وانطلاق الحرية . وكم من أسير مقيد لا تثور في نفسه نوازع الانطلاق والتحرر لانه لا يعي امره ، ولا يدرك أسره ولا نرى عيناه أسوار سجنه ، فيألف ما هو فيه ولا ينكر منه شيئا أما حين تتفتح النفس، ويرهف الحس، وينطلق الوجدان ، ويستنير العقل ، فحينئذ تخوض النفس تجربتها الكبرى لتحقيق " انسانيتها" . ومن هنا كان قلق فدوى قلقا ايجابيا سليما : تتمثل " ايجابيته" في الثورة على قيودها التي لوقها بها مجتمعها ، دون ان تتردى في مهاوي اليأس وظلمات التشاؤم وكآبة الاستسلام انها تحس بما هي فيه وتحس بما تصبو اليه احساسا مدركا واعيا ، وفي هذا الاحساس المدرك الواعي تتمثل الصفة الثانية من صفتي قلقها وهي " سلامة" هذا القلق . انها تعبر عنه تعبيرا اصيلا واضحا ، لا تتوارى فيه وراء الصور البيانية المغرقة في الخيال المستغلق والوهم المستبهم ، ولا تهيل عليه حجب " الرمز" الخفي الذي يحيله ضربا من الاحاجي والالغاز ولم تحاول ان تفتعل لثورتها نظاما شكلية تحطم في طريقها اصول الجرس وموسيقى النغم ، ان مشاعر فدوى التي تعاني من قيود مجتمعها وتقاسي من الوحدة والوحشة وتصارع الفراغ والضياع - تتنفس في شعر فدوى تنفسا فنيا طبيعيا بريء من الانحراف وسلم من الشذوذ ، في المضمون والشكل معا .

وتكاملت لفدوى عناصر الاداء النفسي ، فكانت قصيدتها نتاج تجربة توافر لها الصدق والاخلاص الفنيان ، وجاءت الفاظها وصورها وموسيقاها ذات ظلال والوان وايحاءات ، ذات آماد وابعاد واعماق نفسية يعيش معها من يقرأها ، فتغمر وجدانه ، وتعمر حسه ، وتملأ نفسه ، وتدخله في جو الشاعرة ، وتجعله يخوض معها تجربتها .. ان فدوى تبدأ بتصوير وحدتها وما تعاني من وحشة وما تدفعها اليه من حيرة وقلق واضطراب، فتقول (١)

حياتي ، حياتي أسى كلها
اذا ما تلاشى غدا ظلها
سيبقى على الارض منه صدى
يردد صوتي هنا منشدا
حياتي دموع
وقلب ولوع
وشوق وديوان شعر ، وعود

---

(١) وحدي مع الايام ، ص : ٣٩ - ٤٤

وهـذا شبابـــب

أمـان كـــوابـــي

شباب ، سقـاه الاســـــى ورواه

اذا ما دعتـه اليهـــا الحيـــاة

واشواقها ، شـده الـــف غـــلّ

وطوقـه الف طـوق مـــــذل

شباب عـــذاب

رهـين اغـــتراب

يضيـع شـذاه بأسـر القيـــود

.....

وأطـرق رأســـي

بوحشـة يأســـي

وفي الروح تصخـــب اشواقهـــا

وفي النفس ترعـــد آفاقهـــا

وأنـزع للشعر سلـــوة روحـــي

أصـور اشـواق عمـر ذبيـــح

فيهـــدأ حســـي

وتخشـع نفســـي

وتسكن لهفـة روحـي الشـريـــد

.....

وأجـذب عـــودي

لقلـبي الوحيـــد

فتخفـق اوتـاره باللحـــــون

تهـد قلـبي وتجلـو شجونـــي

بغنى وشعـرى والحـان عـــودي

أصـارع الام عمـر شهيـــد

وهـذا نشيـــدي

نشيـد وجـــودي

سيبقـى ورائـي صـداه يعيـــد

حياتـي دمـــوع

وقلـــب ولـــوع

وشوق ، وديوان شعـــر ، وعـــود

ويخيم هذا القلق على فدوى فتنفثه في كثير من قصائدها ، فتقول : (١)

الفضاء الخالد ابتدّ وغشاه السحاب
وبنفسي ، مثله يجثم غيم وضباب
وظلال عكستها في اشباح المساء

.....

الخريف الجهم ، والريح ، واشجان الغروب
ووداع الطير للنور وللروض الكئيب
كلها تمثل في نفسي رمزا لانتهائي
رمز عمر يتهاوى غاربا نحو الفناء
فترة ، ثم تلف العمر أستار المغيب
حيرة حائرة كم خالطت لحني وجسي
عكست ألوانها السود على فكري وحسي
كم تطلعت وكم سائلت : من اين ابتدائي
وكم ناديت بالغيب : الى اين انتهائي
تلك شوّش في نفسي طمأنينة نفسي

وهي تفهم نفسها وتحسن البيان عنها ووصفها في قولها : (٢)

هناك فوق الربوة العالية ... هناك في الاصائل الساجية
فتاة احلام خيالية ... تسبح في اجوائها النائية
الصمت والظلّ وافكارها ... رفاقها والسرحة الحانية

.....

حياتها قصيدة فذّة ... منبعها الحس ونيرانه
وحلم محير تائه ... من تلك اللهفة الوانه
حياتها بحر نأى غوره ... وان بدت للعين شطآنه

ولكن فيم هذه الحيرة ؟ ولأى شيء هذا الشوق ؟ ان فدوى في بداية الطريق تختبيء وراء الطبيعة ، وتستر اشواقها خلف مظاهرها الفاتنة ، فتراها في قصائدها الاولى تناجي : المروج والخريف والمساء والفراشة ، وشجرة الزيتون ، وسنابل القمح ، وتحاول ان توهم مجتمعها ان ما يستغرق مشاعرها انما هو هذا الكون وسحره واسراره فتقول : (٣)

هذي فتاتك يا مروج ، فهل عرفت صدى خطاها

---

١) وحدى مع الايام ، ص : ١٢-١٦
٢) وحدى مع الايام ، ص : ١٧
٣) المصدر السابق : ٩-١١

عـادت اليك مع الربيع الحلو يا مشوى صبـاها
عادت اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاهـا
كالامس، كالغـد ، ثـرة الاشـواق : مشبوبا حواها

. . . . .

قد جئت ، ها أنا ، فافتحي القلب الرحيب وعانقيـني
قد جئت أسند هنا رأسي الى الصـدر الحنـون
وأظل انهل من ثقاء الصمت، من نبع السكـون
فهنا بحضنك أستريح ، أغيب، أغرق في حنيـني

. . . . . .

وهنا ، هنا في جـوّك المسحور ، جو الشاعريـة
كم رحت استوحي الصفاء رؤى خيالاتي النقيـة
فتضمني في نفسـه الالهام أجنحة خفيـة
تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الادميـة

. . . . . .

أواه ، لو افنى هنا في السفح ، في السفح المديد
في العشب، في تلك الصخور البيض، في الشفق البعيد
في كوكب الراعي يشع هناك ، في القمر الوحيـد
أواه ، لو افنى ، كما اشتاق - في كـل الوجـود

وتقـول : (١)

ودّت وفيها لهـف كاسـح — لو تأخذ الكون الى صدرها
تحضنه وتشبع الـروح مـن — آياتـه الكبرى ومن سحرهـا
تعانق الارض . تضم السمـا — تقبل الغيوم في سيرهـا

. . . . . .

ودفعت بعينها في المـدى — تنهب بالنظرة الواغلـة
ما أجمل الوجود ! واستغرقت — في نشوة فائضة شاملـة
تلتهم الكون باحساسهـا — بقلبها ، بروحها الذاهلـة

---

(١) وحدى مع الايام ، ص : ١٨

وتحس فدوى بايامها تمر وشبابها يذوي ، فتشتد عليها وطأة الوحده ، وينهش القلق نفسها ولكنها لا تملك الشكوى الصريحة ، فتتستر كذلك وراء "الرمز" الغنى الذى يكاد يفضح مشاعرها اكثر من التصريح ، فتوهم مجتمعها ان ما يشغل نفسها انما هو مشكلة الحياة والموت والخلود والفناء .

فتقول : (١)

آه يا موت ! ترى ما أنت ؟ قاس أم حنـــون
أبشوش انت ام جهم ؟ وفظّ ام خـــــؤون
يا ترى ما كنـه كأسك سوف تزجيها إليّـــه
يا ترى من اي افاق ستنقض عليـــــه
قل ، أين ، ما لونها ؟؟ ما طعمها كيف تكون

. . . . . .

ذاك جسمي تأكل الأيـام منـه والليالـــي
وغدا تلقى الى القبر بقايا الغوالـــي
وي ! كأني المح الدود وقد غشى رفاتـــي
ساعيا فوق حطام كان يوما بعض ذاتـــي
عائشا في الهيكل الناخر ، يا تعس مآلـــي

وتقول (٢) :

واضطربت اعماقها مثلمـــا دوم اعصار بقلب الخضـــم
وانتفضت مذعورة في أســـى وارتمدت مرعوبة في ألـــم
فلم يكن يصدم احلامهـــا الا رؤى الموت وطيف العـدم
يا مبدع الوجود ، لو صنتـه من عبث الموت وطيش الفنـاء

وتسائل الزيتونـة : (٣)

يا ليت شعرى ان مضت بي غدا عنك يد الموت الى حفـرتـي
تراك تنسين مقامي هنـا وانت تحنّين على مهجـتي

وتتمثل خصائص هذه المرحلة الاولى من حيرتها وقلقها في قصيدتها " أشواق حائرة" ونحب ان نوردها كاملة حتى تتبين لنا وحدة الجو النفسي وعناصر ادائها الفني . (٤)

---

١) وحدى مع الايام ، ص : ١٤
٢) المصدر السابق ، ص : ٢٠
٣) وحدى مع الايام ، ص: ٢٣
٤) المصدر السابق ، ص: ٣٢-٣٤

ماذا أحس؟ هنا بأعماقي ... تربيح اهوائي واشواقي
بي الف احساس يعرّقني ... مترافح التيار ، دفاق
الف انفصال ، الف عالقة ... محمومة بدمي بأعراقي
ماذا أحس؟ احس بي لهفا ... حيران يغمر كل آفاقي

.....

نفسي موزعة ، معذبة ... بحنينها ، بغموض لهفتها
شوق الى المجهول يدفعها ... متقحما جدران عزلتها
شوق الى ما لست افهمه ... يدعو بها في صمت وحدتها
اهي الطبيعة صاح هاتفها ... اهي الحياة تهيب بابنتها ؟
ماذا أحس؟ شعور تائهة ... عن نفسها ، تشقى بحيرتها

.....

قلبي تثور به الحياة وقد ... عمقت ومدت فيه كالامد
فتهز أغواري نوازعه ... سحابة ، دفاقة المدد
ويظل منتظرا على شغف ... ويظل مرتقبا على وقد
ويود لو تمضي الحياة به ... للحب ، مصدر فيضها الابدى

.....

وهناك تومئ لي السماء بي ... شوق اليها لا هف عارم
فاحس احساس الغريب طغى ... ظمأ الحنين بروحه الهائم
واري كواكبها تعانقني ... بضبابها المترجرج الحالم
تهمي على روحي أشعتها ... وتلفه بجناحها الناعم
فأود لو افنى وادمج في ... عمق السماء ونورها الباسم

.....

مالي يزعزعني ويعصف بي ... قلق عتى جائح الالم
تتضارب الاشواق حائرة ... في غور روحي ، في شعاب دمي
الارض تعلق بي وتغبرني ... وتشد قبضتها على قدمي
وهناك روحي هائم شغف ... بالنور فوق رفارف السدم
مستحقر للارض تفزعه ... دنيا التراب ، وهوه العدم

.....

روحي يلوب بدار غربته ... عطشا الى ينبوعه السامي
فهناك أصداء يسلسلها ... صوت السماء بروحي الظامي
وهنا ، هنا في الارض يهتف بي ... صوت يقيد خطو أقدامي

صورتان . . كم لجلجتبينهمـــا يتنازعان شـــراع اياميـــي
وانا كيان تائه قلـــــق يلوي الوجود حنينـــه الدامـي

. . . . . .

ولكنها لا تلبث ان تضيق بأشواقها المكبوته ومشاعرها المكتومة، ولا تلبث ان تضيق بتستـــرها وتخفيها وراء الطبيعة ومفاتنها حينا ووراء مشكلة الموت والحياة حينا آخر، فتلقى عنها الحجب والاستار وتنطلق تعلن حقيقة اشواقها وتصرح بعد طول همجمة، فاذا خوفها من المـــوت والفناء هو في حقيقته خوف من الحرمان والجفاف ومن الوحدة والوحشة.
قالـــت: (١)

وكأن أقســى ما اشجى نفسهـا وابتعث الراعـب من همجسهـــا
تدفق الظلمـــة في يومهـــا في غدها المحروم . . في امسهـا
ظلمه عمر كـل اياميـــه ليل ترجى في مدى همسهـــا
النور اين النور؟ هل قلـــرة تسيل منه في دجى يأسهـــا
من اين؟ والاقذار قد جفـفـت منابـع الاضـواء من نفسهـــا

واذا باشواقها الى الطبيعة هي في حقيقتها اشواق الى ابن الطبيعة، الى حبيب تمنتـــه فجسمه لها خيالها، وان عز عليها - في البدء ان تجـده في الواقع، قالت: (٢)

واهـا، هنا يهفو على مجلسـي في عالم الاشواق روح حبيـــب
لم تره عينـاي، لكـــنـني أحسه مني قريبـا قريـــب
اكاد بالوهم اراه معـــي يغمر قلبي بالحنان الرفيـــع
يمضي به نحو "سماء الهـوى على جناح من شعـاع طليـــق

ثم ما لبثت ان رأته . . . وجدتـه (٣)

والتقينا . . لم ادر اى قوى ســا قتك حتى عبرت درب حياتـــي
كيف كان اللقاء؟ من ذا هدى خطـ ـوك؟ كيف انبعثت في طرقاتـــي
لست ادري ولكن رأيتك روحـــا يوقد الشوق في مسـارب ذاتـي
ويذري الرماد عن روحي الخفـــا بي، ويذكي نارا ويحيـى مواتـي

. . . . .

حدقت مقلتاك فـــيّ، والا مي يغشى ضبابها مقلتيـــه
لست ادري ما استجلتاه ولا مـا رأتا خلف وعدتي الابديـــه

---

١) وحدى مع الايام، ص: ٤٧
٢) المصدر السابق، ص: ٢٢
٣) المصدر السابق، ص: ٥٤-٥٧

غير اني ابصرت روحك تهتز (م) انعطافا في رقة علوية
وهنا خلتني شعرت بروح (م) الله رفتمن السماء عليه

. . . . . .

يا لعينيك اى نفضة بعث اوجدتها عيناك في اعماقي
فاذا بالحياة عارمة النبض بفيض الحنين ، بالاشواق
واذا بالجمال يعكس الوانا رؤاة على مدى آفاق
واذا بي في ظل حب عظيم معجز السحر مبدع خلاق

. . . . . .

نظرة فتحت لقلبي ابواب السماوات والجنان العلية
وجلت لي افقا يموج به الوحي وتستملن الرؤى القدسية
فيه سحر الالوان فيه صدى الالحـ ان فيه منابع الشاعرية
نظرة خلف عمقها رحت استشرف عمق الخلود والابدية

. . . . . .

ومضت بي الايام لا انا صرحت ولا لهفتي الحبيبة تبدو
كم وكم راح يحتوينا مكان وانا صبوة توارت . . . ووجد
كم حديث حدثتني كم قصيد همز روحي وأنت ترون وتشدو
وبقلبي السعيد شيء كعنف ال موج يطغى تياره ويمد

. . . . . .

ومضت بي الايام والزمن العجلان يجري كالهارب المجنون
وسكوني ما انفك يرخي سدولا فوق رعشات قلبي المضنون
وتلفت بغتة وبعمقي نشوة السحر والهوى المفتون
واذا قلبي المرنح اشلاء على راحة الوداع الحزين

. . . . . .

وافترقنا وطي النفس لو تدري اعاصيس هائمات حيارى
وهواك الكبوت يجهش في صمت وتهمس دموعه أشعارا
كم شجاني وداعك المر كم سا لت قلبي الممزق المستطارا
كيف كان الفراق كيف انزوى وجهك عني في لحظه وتوارى

. . . . . .

وافترقنا وبين كفي رسم لم يزل كل زاد روحه المتيم
كم تلمست عمن عينيك فيه وبعيني ادمع تتضرم

يا لقلبي كم راح بين يديـــــه يهتك الحجب عن هـــواه الملثم

اصغ تسمع عبر الصحارى صـــداه يترامي اليك شعـــرا مرنـــــم

وتدفق شعر فدوى في هذا الحديث، الشاعر ابن الصحارى في قربـه وبعده وفي وصاله وهجره ثم ما لبث ان غاب عنها ، ابتلعته آفة الصحراء فصارت فدوى وحيدة الا من الياف الذكـــرى والا من صبابة انداء ترطب جفاف عمرها ، فتفننت في القول ما شاءت لها شاعريتها الخصبـــة وحلقت في عالم من الفن لا تسموا اليها غير اجنحة فدوى ، فنظمت فيه قصائدها : غب النـــوى الى صورة الصدى الباكي سمو في محراب الاشواق ، قصة موعد قلب، يتعذب نارونار، اندلاق ، ثم في ديوانها الثاني قصائدها ذكريات ، وانتظرني ، لا انفصال ، هل كان صدفة ، العـــودة ، في الكون المسحور ، هل تذكر، كلما ناديتني ، حتى اكون معه ، القيود الغاليات ، تشـــك بحبي ، ساعة في الجزيرة ، انا والسر الضائع، لن ابيع حبـــه ، لقد اخذ عليها هذا الحبيب افكار نفسها ، وملك قلبها فلم يتسع لغيره حتى أنها التقت في استكهولم بالشاعر الايطالـــي سلفاتور كوازيمودو وتودد اليها فخاطبته بقولها :

قلت في عينيـك عمـــــق

انـــت حلـــــوة

قلتها في رغبـة مهموسـة الجرس

فما كنّا بخلـــوة

وبعينيك نـــداء

وباعماقي نشـــوة

انا انثى فاغتفر للقلب زمـــنـــوة

كلما دغدغه همسك، في عينيك عمـــق

انت حلـــــوة

. . . . . .

انا يا شاعر لي في وطني الغالي

حبيب ينتظـــر

انه ابن بلادي لن اضيـــع

قلبـــه

انه ابن بلادي ، لن ابيـــع

حبـــه

بكنـــوز الأرض

بالانجم زهـــرا

بالقمـــر

غير اني تحتري قلبي نشـــوة

حينما تطفو ظلال الحب في عينيك

او تومض دعـــوة

انا انثى فاغتفر للقلب زهـــوة

كلما دغدغـــة همسك في عينيك عمـــق

انت حلـــــوه (١)

وتدفق شعر فدوى ، وما زال القلق النفسي يهز كيان فدوى ويلفّ وجودها في ديوانها الثاني - وجدتها - وما زالت الحيرة والتيه والضياع ، والصمت ، والفراغ ، والحرمان ، . . . . هـــــي الانغام التي توقعها فدوى في ديوانها الثاني كما وقعتها في ديوانها الاول ، وان ارادت ان توهم نفسها شأن الحائر التائه دائما انها قد فاءت الى السكينة والهدوء ، ووجدت نفسها فقالت : (٢)

وجدتها ياعاصفات اعصفي

وتنعمي بالسحب وجه السماء

ما شئت

يا ايام دوري كما

قدر لي

مشرقة ضاحكة

او جهمة حالكـــه

فان انوارك لا تتخلفي

وكل ما قد كان من ظـل

يمتد مسودا على عمري

مضى ، ثوى في هوة الامس

يوم اهتدت نفسي الى نفسي

ولفدوى قصائد في نكبة امتها في فلسطين ، منها في ديوانها الأول : بعد الكارثة ، مـــــع لاجئـــة في العيد ، رقيـــــة ، ثم قصيدتها المطولة نداء الأرض في ديوانها الثاني .

---

١) وجـــدتها ، ص : ١٢٠ - ١٢١

٢) وجـــدتها ، ص : ٤٠ - ٤١

أمين شنار (١)

يعرض امين شنار رأيه في الشعر في مقدمته التي كتبها لمجموعته الشعرية " المشعل الخالد " (٢) فيقول : " القصيدة - او القطعة الشعرية - لوحة ينتزعها الشاعر من اعماقه ويلونها بدم قلبه فهي قطعة من ذاته ، تحمل لابع شخصيته ، فانه قد يستوحيها من مشهد عابر او حادثة معينة ، فهو بعيد عن فكره ، يعبر عن شعوره . قبل ان يقصد محاكاة الطبيعة والنقل عن الواقع ، لانه الى النفس اقرب ، وفي التعبير عنها اصدق . " ويقول كذلك : " والشاعر فرد في امة : فلا بد له من ان يعيش في شعره قضية امته . " ثم يقول " هذا هو المضمون الشعري عندي : تصوير صادق هادف . اما الشكل وهو الاطار الفني للقصيدة - فيقوم عندي على الكلمة والسبك والموسيقى . فالكلمة الشعرية مؤثرة مشرقة ، والسبك الشعري يستمد من طاقة اللغة حياة وقوة . والموسيقى الشعرية هي الاحساس الذي يبنى عليه هيكل القصيدة : سواء اعتمدت هذه الموسيقى على البحور المألوفة او على وزن التفعيلة الواحدة . " ثم يخاطب القارئ بقوله " فاذا ما حملت هذا الرأي ، وعشت معي ، خلال قصائدي - التجربة الشعرية التي تصور كفاح امتي في سبيل نهضتها وعزتها فاني اكون قد حققت قصدي من نشر هذه المجموعة الشعرية . "

وقصائد الديوان يكاد ينظمها جميعا - على اختلافها - جو نفسي واحد تضيء جوانبه اشراقات الايمان ، وتشيع في حناياه آثار الدين ، فالقصيدة الواحدة تجمع في الغالب بين التأمل الروحي والابتذال والمناجاة ، والاعتزاز بمآثر الاسلام في تاريخه الحافل منذ ان اشرق نوره فلمس ظلام الشرك وحطم الاصنام ، ثم دعوة واضحة الى ان سبيل النهوض والقوة والعزة انما هو هذا الدين . كل ذلك في لفظ مشرق ..... محكم ، وموسيقى منغمة فجاء شعره في هذا مطابقا لما ذكر في مقدمته عن الكلمة والسبك والموسيقى .

فليلة القدر تذكرنا بغار حراء ونزول الوحي وانتشار الاسلام فيقول : (٣)

في ارتعاش الليل ، في نجوى النجوم
في سكون الغار ، في همس النسيم

---

١) ولد في مدينة رام الله سنة ١٩٣٤ ، اتم دراسته الثانوية والجامعية . عمل في وزارة التربية والتعليم والصحافة . اصدر مجلة الافق الجديد في مدينة القدس وكانت هذه المجلة تعتني بالادب ولكن ما لبثت هذه المجلة ان توقفت في بدايتها .
اصدر ديوان شعر بعنوان المشعل الخالد
٢) مطبعة الشرق - البيرة ، رام الله ، سنة ١٩٥٧
٣) المشعل الخالد ، ص : ٩-١٣

في فؤاد الكون ، في قلب اليتيم

في القفار

اي شوق ؟ اي توق ؟ اي ثورة
في الدجى الصادى الذى يرقب فجره
يتمنى ان يزور النور ثغرة

والنهار

وينادي ، فهو بوح ، وهو دعوة
انا فجرا خالدا يرجو دنوة
انه ميلاد عز ونبوة

وانتصار

ليلة القدر وانوار .. تلوح
من بعيد .. ثم تغدو وتروح
في فؤاد هزه شعر طموح

مستثار

ايهذا الساهر الجائر حسبك
روع الافاق والانجم قلبك
مدك نجوى ، جاد بالرحمة ربك

ويعد ان يتدرج فيها يختمها بقوله واصف حال امته :

ليلة القدر ، لقد عاد الظلام
يغمر الارض وقد عاث اللئام
في بلاد الدجى ، والموت الزؤام

والدمار

باسط فوق رؤوس الناس ظله
ناثر في اعين الباكين ويله
وهم يدعون : يا لحرم ليلة

في صفار

ان تكوني مشعلا للحائرينا
نعمة خيّرة للظامئينا
عزّه للمؤمنين التائبينا

وانتصار

ليلة القدر باعماقي رجاء

ان يرى نورك عمي وظماء
ليسود الارض خير وهناء

وفي قصيدته الاخيرة في الديوان- وهي من مائة وخمسة وسبعين بيتا يخاطب امة الاسلام بقوله : (١)

امة الاسلام ،بالله افيقي ... فلقد لاحت تباشير الشروق
اى فجر شعشعت انواره ... من بعيد ،صادق ،زاه ،انيق
لعلمي اضواءه كي تستنيري ... بسناها في دجنات الطريق
وانفضي عن رائع المجد ركاما ... حطه الجهل على الماضي السحيق

ثم يخاطب المسلمين قائلا :

انقذوا الحائر من حيرته ... واسير الليل من ظلمته
حطموا الشر ولا يرهبكم ... فكركم اصلب من قوته
ولئن ثار عدو فارفعوا ... صوتكم يطفي على ثورته
اننا لا البطش يثنينا ولا ... عزمنا يرتد عن غايته
في سبيل الله بعنا انفسنا ... واشترينا الخلد في جنته

بل انه حينما يلقى فتاته لا يلقاها الا في مثل هذا الجو (٢)

في طريق الكفاح كان لقانا ... عندما لاح فجره ودعانا
فمشينا ومشعل الحق هاد ... نا ،وايماننا نير سرانا

.....

يا لها ساعة على العمر عزت ... تعدل العمر كله والزمانا
هي ميلادنا الجديد .. وفيها ... ضمنا الدرب، والتقت وجهتانا

.....

كنت فيما مضى حليف ليال ... حائرات ،مصفيات، حزانى
والتقينا على مواثيق صدق ... وكفاح يذوب فيه هوانا
ومضينا معا وفي خافقينا ... مشعل منه ترتدي مقلتانا

---

١) المشعل الخالد ،ص: ٩٤-٩٥
٢) المشعل الخالد ،ص: ٣٤-٣٥

الباب الرابع

الفنون النثرية

تمهيد

الفصل الأول

المرحلة الأولى من مراحل تطور القصة القصيرة في الأردن

الفصل الاول

الفنون النثرية المستحدثة في الأردن

تمهيد :-

كان ظهور النثر متأخرا بالنسبة للاقطار العربية الشقيقة ويرجع السبب في ذلك تخلف الاردن في الفكر والثقافة ، ولم تقم للادب قائمة الا بدخول الأمير عبد الله الى الاردن ، وكان يصطحب معه حاشيته التي تتألف من الادباء والشعراء .

بدأت الحياة الادبية تنمو في البلاد بدخول الأمير ، حيث دفع عجلة الادب الى الامام وساعد على انتشاره وسائل التعليم سواء كانت هذه الوسائل تنحصر في فتح المدارس والمكتبات العامة والمطابع وغيرها من بواعث النهضة الفكرية .

ويذكر الدكتور ناصر الدين الاسد في كتابه (١) ان الامير عبد الله اراد ان ينشأ مجمعا لغويا ومكتبة في شرقي الاردن .

ثم اخذت الصحف في الظهور وظهرت اول صحيفة في البلاد تحمل اسم الشرق العربي سنة ١٩٢٣ ، وتبعتها في الظهور جريدة الاردن ، ثم ظهرت بعض المجلات الفكرية والادبية كالجزيرة لصاحبها تيسير ظبيان ، والرائد لامين ابو الشعر .

فنون النثر الاردني :

١) القصة القصيرة
٢) القصة الطويلة
٣) الخاطرة
٤) المسرحية
٥) الرسالة
٦) البحث
٧) السيرة
٨) المناظرة
٩) المقالة
١٠) الخطابة

تعريف عام لبعض الفنون النثرية :

المسرحية :-

فن يرمي الى تفسير او عرض امر من امور الحياة عن طريق ممثلين يتقمصون الشخوص.

عناصر المسرحية :

المكان ، الزمان ، الشخوص ، الحدث ، الحوار .

للمسرحية شكلان ، شكل يمثل المظاهر الجدية في الحياة ، ويعتمد على شخوص ومكانه وعلى نهاية حزينة ويسمى المأساة او (التراجيديا) والشكل الثاني يمثل الجوانب السارة التي تهدف الى نقد المجتمع عن طريق الإضحاك ، ويعتمد على شخوص عاديين وعلى نهاية سعيدة ويسمى الملهاة او الكوميديا .

---

١) الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن . ص ٢٥٢ .

الخاطرة والمقـــال :

الخاطرة : هي التعبير عما يتحرك في القلب عند مشاهدة امر مألوف .

عناصر الخاطرة : الايجاز ، والموقف، والفكرة الدالة ، المقالة تتكون من عنصر موضـــوع عـــام، وعنصر ذاتي يغلب ان يكون للمقالة بداية وعرض .

الرسائـــل :

الرسائل قسمان :

١) رسائل ديوانيـــة ٢) رسائل اخوانيـــة

الرسائل الديوانية تكون بين الدول بشكل رسمي وتتسم بالايجاز والوضوح والرصانـــة .

الرسائل الاخوانية تكون بين الاخوان وتتسم بالبساطة وعدم التصنـــع .

الســـيرة :-

هي ترجمـــة لحياة شخصية انسانية مشهورة ذات ميزة وتكون سيرة ذاتية وسيرة غيريـــة .

البحـــث :-

هو العرض الكتابي الواعي لموضوع ما هدفه السعي لمعرفة الحقيقة وكتابتها .

الخطابة :-

تقوم الخطابة على الخطبة والخطيب والجمهور وعنصرها الاستمالة والاقناع .

اساليب النثـــر :-

الاسلوب، طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور ونقل هذا التفكير والشعور في صـــورة لغوية خاصـــة .

والاسلوب الادبي يقسم الى اسلوبين ، الاسلوب التعبيري والتقريري .

الاسلوب التعبيري :-

يقوم على العاطفة والخيال واللفظ ذي الدلالة والتركيب الخاص الذي يلائم فن الادب .

المعنى في الاسلوب التعبيري يكون مختفيا وراء الخيال والاسلوب التقريري : يبنى هـــذا الاسلوب على الفكرة والعاطفة والخيال يكونان وراء الفكرة .

الاسلوب العلمي : للاسلوب العلمي شكلان

١) الاسلوب العلمي التجريبي يعتمد على الرمز

٢) الاسلوب العلمي الوصفي يقوم على الفكرة ويخلو الاسلوب العلمي باقسامه من العاطفة والخيال .

عناصر العمل الادبـــي :

١- الافكـــار : وهي العنصر الاساسي في العمل الادبي وقد تكون صحيحة وقد تكـــون خاطئه وتكون عميقة وتكون سطحيـــة .

٢- العاطفة : هي الاستعداد والشعور النفسي الذي يتكون عند الانسان من مجموعـــة

التجارب التي تمر بها ، العاطفة من العناصر التي تخلد العمل الأدبي على مدى الاجيال

٣- الخيال : هو تجسيم العواطف والافكار بواسطة الصور الموحية التي تقربها للقارئ او الصور الادبية هي العنصر الرئيسي للخيال .

المذاهب الادبية في الادب الاردني الحديث:

الكلاسيكية : يطلق هذا المصطلح على الادب الاوروبي من اواسط القرن السابع عشر حتى اواسط القرن الثامن عشر. فمنذ مطلع النهضة الاوروبية اخذ ادباء اوروبا يدرسون الاثار الادبية اليونانية واللاتينية ويجدون فيها نموذجا يستحق ان يحاكى واخذوا يبنون ادبهم على نماذج تلك الاثار ويحتكمون الى النظريات اليونانية القديمة.

خصائص المذهب الكلاسيكي :

أ- التوازن بين الفكر والعاطفة ، فالأدب الجيد في هذا المذهب هو الادب الذى تحركه العاطفة ويمسك بزمامه العقل

ب - غلبت الخير على الشر أو الواجب على الحب او الاخلاق على العواطف.

جـ - وضوح التعبير وجودته بحيث لا يستعمل الاديب الالفاظ الفصيحة بدون تكلف او تصنع او زخرفة في الكلام

د - اهتمام المذهب الكلاسيكي بالادب التمثيلي لانه ، يقوم على الوضوح وغلبة الارادة، لذلك ركز انصار هذا المذهب قواعد انطلاقهم بثلاث وحدات وهي وحدة الموضوع ووحدة المكان ووحدة الزمان .

يكاد الادب الاردني وحتى الادب العربي يخلو من هذا المذهب لان الادب العربي متصل الحلقات من العصر الجاهلي حتى اليوم وهذه التسمية اطلقت على الآداب - اليونانية والاداب الغربية . لذا من الصعب ان نطلق على الادب العربي القديم او ادب بدء النهضة لفظة كلاسيكية ، وان كان فيه وجه للمشابهة من خصائص هذا المذهب لان هذه المشابهة لا تتناول جوهر الادب العربي .

المذهب الرومانسي :

الرومانسية مشتقة من كلمة رومانيوس ، هي الكلمة التي اطلقت على اللغات التي تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة ، وقد قصد الرومانسيون بذلك المعارضه بين لغتهم وادبهم ، وبين اللغة والادب اليوناني ، الذى اختاره الكلاسيكيون هاديا لهم . اي انهم قصدوا بذلك رفض القيود التي يفرضها الادب الكلاسيكي . بحيث ينطلق الى التعبير الحر.

فاذا كانت الكلاسيكية تنظر الى الادب على انه محاكاة للحياة او الطبقية ، فان الرومانسية تنظر اليه على انه خلق وابداع ، لا يعتمد بالدرجة الاولى على العقل وانما على الخيال .

خصائص المذهب الرومانسي :

١- الانصراف الى الطبقية والانصراف عن المدنية لانها رمز الشر في نظرهم.

٢- لم يتحدثوا عن اشياء الطبقية من الخارج وانما افاضوا عليها من مشاعرهم.

٣- التركيز على الفرد وعواطفه

٤- اظهار اللون المحلي في اعمالهم.

٥- الادب عندهم خلق وابداع وليس محاكاة.

٦- يعتبرون الخيال ركيزة اولى في انشاء الأدب الجيد.

٧- ركزوا اهتمامهم في مجال الشعر الغنائي وقل اهتمامهم في مجال الشعر التمثيلي والقصصي.

٨- عدم تكلف الالفاظ والتعبير والصناعة الفنية.

٩- كانت الرومانسية ثورة على معظم القيود ، التي كانت تراها الكلاسيكية ضرورية للأدب الجيد.

الرومانسية في الادب الأردني :

امتد هذا المذهب من الادب الغربي الى الأدب العربي في مطلع القرن العشرين ونستطيع القول ان بداية نهضة الادب في العالم العربي اعتمدت كل الاعتماد على المذهب الرومانسي. وكان معظم الادباء في الاردن في بداية النهضة يعتمدون على المذهب الرومانسي ولا سيما الادباء الذين هم قادة الفكر في الاردن كالايراني والناعوري.

المذهب الرمزي :

ظهر هذا المذهب كرد فعل على المذهب الرومانسي ، لان الرومانسيين حاولوا ان يصفوا العواطف الفردية كما يحسون بها بينما الرمزيون يرون ان يعبروا عن وقع هذه العواطف في النفس صونا لها من الكشف والابتذال.

فالرومانسية تؤمن بالتصريح والرمزية تؤمن بالتلميح.

خصائص المذهب الرمزي :

١- اتخذت الرمزية الرمز وسيلة التعبير عن العالم الخارجي والداخلي.

٢- الاهتمام بالتعبير عن اثر الاشياء ووقعها في النفس ، لا عن صور هذه الاشياء التي لا يمكن تحديدها بدقة.

٣- التبادل بين معطيات الحواس في التعبير عن وقع الاشياء في النفس.

٤- يلجأ الرمزيون احيانا الى الرموز الغامضة التي تشبه رموز الحل ، والتي لا تقوم على منطق ظاهري.

الرمزية في الادب الاردني الحديث :-

كثر اتباع هذا المذهب في العالم العربي وكثر انصاره لا سيما الذين ينظمون الشعر وكتبوا الشعر الرمزي على غرار الشعراء في الغرب.

وفي الادب الاردني وجد انصار لهذا المذهب منهم الكاتب اديب عباسي في كتابه عود قلقمان والكاتب فايز محمود (المبوريدون جدوى) والكاتب جمال ابو حمدان (احزان كثيرة وثلاثة غزلان) .

المذهب الواقعي :

ليس للواقعية مفهوم واحد تستقر عليه وانما لها عدة مفاهيم فبعض رجالها يرون ان الواقعية هي تسجيل الواقع، كما هو بخيره وشره، وكل ما في الامر هو تبصير الانسان بالواقع الذي يعيش فيه .

وبعضهم يرون ان الواقعية تقوم على استقاء مادة الأدب من حياة عامة الشعب وتبني مشكلاته وطرحها على الجماهير .

وتهتم الواقعية بالنثر اكثر من الشعر، فجاء اكثر انتاجها في مجال القصة والمسرحية .

خصائص المذهب الواقعي :

١ـ ليس للواقعية مفهوم واحد وانما لها عدة مفاهيم .

٢ـ تقوم الواقعية على استقاء مادة الادب من حياة عامة الشعب .

٣ـ مجال الواقعية في القصة والرواية والمسرح اكثر من مجالها في الشعر .

٤ـ خففت الواقعية من دور الفرد واعلت من دور الجماعة وذلك في القصة والمسرحية .

٥ـ لغة الادب في الواقعية تقترب من واقع الاستعمال اليومي .

الواقعية في الادب الاردني :

للواقعية في البلاد العربية دعاتها وكتابها وانصارها، بحيث تغلب هذا المذهب على معظم الانتاج القصصي والروائي والمسرحي، خاصة في هذه الايام وفي ادب الشباب الناشيء .

اما في الاردن فهناك عدد كبير من الادباء ممن يتخذون هذا المذهب طريقا لهم سيما الادباء في هذه الايام ومن هؤلاء الادباء : محمود شقير، نمر سرحان، خليل السواحري، انور ابو مغلي، يوسف الغزو، فخري قعوار، احمد عودة .

المرحلة الاولى من مراحل القصة الاردنية :

تمهيد : تعتبر هذه المرحلة مرحلة البناء والتأسيس من حياة القصة الاردنية، وقد تأثر كتاب هذه المرحلة بمدرسة خليل بيدس القصصية . (١)

وتأثرت هذه المرحلة بالنكبة الفلسطينية، ووعت احداثها، وانعكست صورتها على الأدب العربي .

كانت القصة في هذه الفترة رومنسية بحته، وقد اتخذت من المذهب الرومانسي مذهبا لها .

---

١) الدكتور عبد الرحمن ياغي، ادبنا الفلسطيني الحديث، ص : ١٥٠

وقليل من كان يكتب في الادب الرمزى والواقعي كأمين فارس ملحس ووجد لون آخر من القصة وهو يمثل الاتجاه نحو الحكم والامثال ، كما جاء في كتاب (عودة لقمان[١]) للكاتب اديب عباس، وهذا الاديب يقلد ابن المقفع في كتابه كليلة ودمنة .

وهناك من نقل قصصا عن البداوة ، كما فعل الكاتب روكس العزيزى (٢) وقد الف كتابا بعنوان (وطنية خالدة وازاهير الصحراء) جمع في هذا الكتاب حكايات عن البادية من حيث العادات والتقاليد ونستطيع ان نقول بان هذه المرحلة والتي تعتبر المدرسة الاولى للقصة الاردنية هي من اهم مراحل تطور القصة الاردنية .

وقد لمع عدد كبير من القصاصين في هذه الفترة منهم : محمود سيف الدين الايراني ، وروكس العزيزي ، وعيسى الناعوري ، ومحمد اديب العامري ، يوسف العظم ، اديب عباس، امين ملحس) .

هؤلاء هم رواد المرحلة الأولى للقصة الاردنية ، وهم الذين ارسوا جذور القصة الأردنية الحديثة سوف ندرس حياة هؤلاء الرواد بالتفصيل محللين ادبهم وآثارهم القصصية ومدى تأثير هذه القصص في المجتمع .

المرحلة الثانية : (١٩٦٠-١٩٧٥)

بدأت هذه المرحلة بتأثير من المرحلة الاولى في بدايتها حيث كانت تتبع رواد القصة في المرحلة السابقة ، واتخذوا المذهب الرومانسي مذهبا لهم .

وبعد نكسة عام ١٩٦٧ وهزيمة العرب ، واحتلال الضفة الغربية ، لجأ قسم من ادباء الضفة الى الاردن .

واصطبغ الادب في هذه الفترة بالأدب الثورى ، يصور مأساة فلسطين ، وتشريد أهلها وضياعهم وتشتتهم .

ونرى الكتاب في هذه الفترة يهتمون بالمجتمع ، يعبرون عن أحوال هذا المجتمع وعن طبقات المجتمع وهمومه ومشاكله .

اما بالنسبة للمذاهب الادبية المتبعة في هذه الفترة ، فكانت مذاهب متعددة فهناك طائفة من الكتاب ساروا على نهج رواد المدرسة السابقة متخذين الطابع الرومانسي مذهبا لادبهم ثم هناك طائفة من الكتاب اتخذوا المذهب الرمزي مذهبا لهم في الكتابة ، ثم هناك من كتب في الادب الواقعي والواقعي الاشتراكي وغيرها من المذاهب .

ومن اشهر رواد هذه الفترة : خليل السواحري ، فخري قعوار ، جمال ابو حمدان ، محمود شقير ، احمد عودة ، خليل قنديل ، مفيد نحلة ، يوسف ضمره ، ابراهيم العبسي ، ابراهيم الخطيب ،

---

١) أديب عباس : (عودة لقمان) كتاب على لسان الحيوان .
٢) روكس العزيزى : وطنية خالدة وازاهير الصحراء .

نمر سرحان ، مصطفى صالح ، انور ابو مغلي ، فايز محمود ، عصام موسى ، محمد عدس .

اعلام المرحلة الاولى :

١) محمود سيف الدين الايراني : (١)

آثاره الادبية :

١ - اول الشوط مجموعة قصصية - مطبعة الفجر - يافا .

٢ - مع الناس، مجموعة قصصية - نشر دار النشر والتوزيع - عمان .

٣ - ما اقل الثمن ، مجموعة قصصية - نشر دار النشر والتوزيع - عمان .

٤ - حتى ينتهي الليل ، مجموعة قصصية ، نشر دار الكاتب المصري .

٥ - الاردن واليونسكو .

٦ - اقاصيص من الشرق والغرب .

٧ - اصابع في الظلام ، مجموعة قصصية .

مع الايراني في قصصه :

المجموعة الاولى من انتاجه القصصي (اول الشوط) وكانت باكورة اعماله ، تضم هذه المجموعة سبع قصص وتتسم هذه القصص بالطابع الرومانسي ، وهذه القصص هي (سحابة سوت) (نداء البدن) ، (حياة انسان) ، (احتمال الحياة) ، (جراثيم) ، (رغيف خبز) . ولطابع هذه القصص جميعها طابعه رومانسي بحيث يجنح فيها الى الافكار اكثر من جنوحه الى ابراز الشخوص واما مجموعته مع الناس فتضم اثنتى عشرة اقصوصة رومانسية ومعظمها تتناول الاحداث الفلسطينية المؤلمة ومن هذه القصص (حذاؤه الحديد) (ابو جسار ورجل رهيب) (هذاء) (الارض الطيبة) (الخروج من الجنة) (الظمأ) (قصة لم تتم) (شعره بيضاء) (ابو خميس) ولا تختلف هذه المجموعة عن المجموعة الاولى من حيث طابعها الرومانسي من حيث اهتمامها بالافكار على حساب اظهار الشخوص .

---

١) حياته ونشأته : ولد في يافا عام ١٩١٤م ، واتم تعليمه الابتدائي والثانوى في كلية الفرير بيافا واتقن اللغة الانجليزية والفرنسية بالاضافة الى اللغة العربية .
واصدر في حياته مجلة الفجر وكانت مجلة ادبية بحتة ، ولما حدثت نكبة ١٩٤٨ هاجر مع اسرته الى عمان واقام هناك حتى توفاه الله في شهر آيار عام ١٩٧٤ .
شغل في الاردن مناصب عدة ، منها مديرا وموجها في وزارة التربية والتعليم ، ثم مديرا للتعليم الخاص في الوزارة ، ثم مديرا لليونسكو ، ثم انتقل الى وزارة الاعلام ، وترأس مجلة افكار الادبية .

اما المجموعة الثالثة (ما اقل الثمن) فتضم هذه ست عشرة قصة وهي (قطار منتصف الليل) (الحب الاول) (الاعرج) (ملك الزجاج) (نحو النور) (ما اقل الثمن) (المرأة) (انسان لا جديد له) (كانت حلم حياته) (لماذا يغضب البحر) (الحاج مصطفى) نلاحظ على هذه المجموعة نضوج الكاتب واكتماله في الفن القصصي ولكنه لم ينحرف عن المذهب الرومانسي .

اما مجموعته (حتى ينتهي الليل) القصصية فتضم ست عشرة اقصوصة ، ويقول الدكتور هاشم ياغي (١) ان من يقرأ هذه المجموعة ، كمن صعد السلم الى قصر جميل ، فاول مجموعاته اول الشوط كانت بداية السلم والمجموعة الثانية مع الناس قد صعدت من السلم درجات عدة واما المجموعة الثالثة (ما اقل الثمن) تصعد بقية الدرجات ، ومن قصص هذه المجموعة (قيود) (ضباب) (مجنون بلدنا) (شاويش حارتنا) (نذير من السماء) (حتى ينتهي الليل) (زينة) (عيد الام) (اقوى من الموت) (اضرب رصاص) (جريمة قتل) (الاعرج) (جماعة الشياطين الصغار) يكتمل نمو الكاتب القصصي ويصل في هذه المجموعة الى النضوج فتراه يتجه الى ابراز الخواطر الشخصية واحلام اليقظة في القصة .

نموذج من قصصه ، (قصة ملك الزجاج لمحمود سيف الدين الايراني :

أجير فرن . هكذا نشأ عبد المعطي اول ما نشأ ، ثقوا باني اقول الصدق . ولماذا اكذب واخفي الحقيقة؟ ان عبد المعطي نفسه ، اذا سئل لا يمكن ان ينكر .

لقد كان اجيرا في فرن وكان زميلي . كنا نعمل معا منذ الفجر . . واحيانا قبل ان يصيح الديك . . ونظل نعمل النهار كله وبعض ساعات الليل . . واين كنا ننام ؟ في الفرن نفسه في ركن منه على قش الوقود . وهذا ايضا صحيح . لم يكن لنا مأوى في المدينة الكبيرة وكيف يكون لنا مأوى ونحن نائمان في هذه الدنيا . . كنا نلقي بجسدينا المنهوكين على قش الوقود وسرعان ما نغفو واحيانا كنا نتحدث في الظلام . . قبل ان نستسلم لسلطان النوم .

قال لي مرة وهو يغالب النعاس: (انت احمق) . . و(فاقد البهمة) وقلت انا له : وماذا يمكنني ان افعل لكي لا اكون فاقد البهمة؟ وقال هو: (لا تعد الارغفة كلها للمعلم) انت تحمل العجنات من بيوت الحي الى الفرن وتخبز العجنات فتعيدها الى اصحابها ، وكل بيت يعطي لك رغيفا ، وهذا الرغيف لك . . ولكنك تطيع المعلم وتعطيه الارغفة كلها . . يكفي ان يأخذ بعضها ويعطيك بعضها . . (وقلت) : كيف يرضى المعلم؟ (فقال) : يجب ان يرضى . . انا افعل ذلك . . اقول له نصف الارغفة لك ونصفها لي . . هذا حق . . ويصيح المعلم . . ويلعنني ويبصق في وجهي . . نار الفرن الذى يقف امام فوهته دائما تجعله يتصبب عرقا . . وتجعل دماءه تغلي في عروقه . . ولكنني لا أخاف . ولماذا أخاف؟ نصف الارغفة لي . . .

---

١) الدكتور عبد الرحمن ياغي ، أدبنا الفلسطيني الحديث ، ص ١٦٢ .

هذا حق . . ومرة آخذ نصف الارغفة . . فامسح بصاقه بطرف كمي . . ومرة لا أنال شيئا . .
ولكني لا أتراجع . . انت أحمق كما قلت لك . وفاقد الهمة . . خذ سيكارة . . .
وكنت امد يدى في الظلام فأتناول السيكارة . . وأروح أدخنها وكلمات عبد المعطي تطن في أذني : (أحمق . . وفاقد الهمة) وكنت أرى في الظلام بصيص لفافتة وافزع ايما فزع اذ يتوهج هذا البصيص بقوة ، فجأة فقد كان يخيل الي انه يستل مع انفاس سيكارته روح المعلم صاحب الفرن . وينفثهما مع الدخان .
وكان عبد المعطي فتى نحيلا ، أعجف ، وشاحب اللون . . ولكن عينية كانتا تومضان لم يكن سمينا مكتنز اللحم ، كثير الشحم كما هو الان . . ثقوا بأني اقول الصدق . . ولماذا أكذب واخفي الحقيقة هل كنت اخشى عبد المعطي ؟ ربما . ولكني بكل تأكيد كنت أعجب به . لا بد اني كنت احاببه غير اني كنت اتمنى ان اكون مثله ، ذلك اني كنت احس بأني ذليل مهين وان جسدى يرتعد وعظامي تتخلخل ولساني ينعقد في حلقي اذا انتهرني المعلم . شعرت يوما بأني مريض ، الا تمرضون انتم ابدا ؟ انا اعرف اني مريض اذا فقدت شهيتي ورحت أتقيأ . وناداني المعلم وقال : (قبل ان تنام امسح القرن جيدا . . ونظف الجورة . . لقد آن لك ان تتعلم) وتنحنحت ونظرت اليه بعينين ضارعتين وقلت : (انا مريض . مريض جدا) وحدجني المعلم بنظرة غاضبة كاوية كنار الفرن ، وقال : (يا ولد . . يا كلب يا هامل . . متى كنت تخالفني ؟) .
واحسست الارض تميد تحت قدمي ، وتضب العرق البارد من أطرافي ، وأطرقت وامتثلت لارادته وذهب هو . . ومسحت انا الفرن ، ونظفت الجورة وكنت احس كأن عينه لا تزال تحملق في وجهي وصوته الاجش يقول : يا ولد . . يا هامل .
هذا ما حدث ، وما كان يحدث دائما . . وترك عبد المعطي الفرن . . وبقيت انا . . قال لي وهو يلم أشياءه واطماره البالية : (أنا اعرفك . . جيدا . . لن تغادر هذا الفرن اللعين ابدا ، ستعيش وتموت فيه . . لانك فاقد الهمة ، ثم مضى . وشعرت انا بالارتياح . . شعرت كأن شيئا ثقيلا يجثم فوق صدرى قد أزيل او تلاشى . . ولم يعد يضغط على قلبي . . صدقوني هذه هي الحقيقة ارجو الا يساوركم ريب في قولي . . اني ارى في عيونكم انكم لا تصدقون . . ولماذا ؟ ألاني بقيت أجير فرن . . واصبح هو عبد المعطي ، يدعو نفسه ، ويدعوه الناس (ملك الزجاج) سأروي لكم قصته ، قصته وقصتي انا واحدة . وقد كان ممكنا ان اكون انا ملك الزجاج ، ان اكون ذلك الرجل الذى يتأفف اذ يسير ويضع في اصابعه الخواتم الذهبية ، ويميل طربوشه ويحييه الناس باحترام . . كان هذا ممكنا ، لولا اني كنت كما قال هو : (فاقد الهمة) . .
اين ذهب عبد المعطي بعد ان ترك الفرن ؟ . . رأيته مرة يحمل حمالا . كان يصعد في طريق الجبل وكتفاه مثقلتان بسلة كبيرة فيها خضر وفاكهة شتى ولحم وبطيخ . وضحك اذ رآني وقال وعلى شفتيه ابتسامة باهته كانت تناقض توامض عينيه الضائرتين : (مازلت أجير فرن ، أنا

اعرف ذلك . . لانك فاقد البهمة) ومضى ينهكه حمله الثقيل . ومرت ايام ربما كانت اسابيع او شهورا ، لا أدري ورأيته يبيع المثلجات والمرطبات . . في الصيف . كان يقف مزهوا السي جانب الاوعية الزجاجية الممتلئة بماء الليمون المثلوج وعصارة اللوز . . بدا لي رشيقا ، خفيف الحركة يسقي الناس وهو يضحك وخيل الى انه لم يعد أعجف نحيلا متزايل الخطى ، كان جسمه قد اخذ يمتلئ وفارقه شحوب وجهه .

ولمحني من بعيد ، فقد ساعده وصرخ ينادي بملء فمه : (تعال . . تعال) ولم يسعني ان اتجاهل نداءه . حاولت ان امضي في سبيلي . . وكأنني لم اسمعه . . ولكن صوته كان امرا ملحا وكان لا بد ان البي نداءه وما كان في مقدوري ان افعل غير ذلك فهل كنت أخشاه ؟ ربما ولكني كنت بكل تأكيد معجبا به ، واثمنى لو كنت مثله . صدقوني لا يخامرني في ذلك شك . قبض عبد المعطي على يدي وهزني بعنف وقال : (والله سلامات) وملأكوبا كاملا من عصارة اللوز البيضاء المثلوجة وقدمه لي وقال : اشرب . اشرب والله سلامات . . ما زلت في السفرن انا اعرف تماما . لن تتركه . لانك فاقد البهمة و شربت عصارة اللوز ومضيت ، . وبدأت احس ان عبد المعطي اني لست كما يتوهم فاقد البهمة . . وحاولت مخلصا ان اغادر الفرن . وكان ذلك عبثا وقلت في نفسي مرة اخرى : (ليذهب عبد المعطي الى جهنم) وعلى الايام اصبحت ابن صنعة . . وغدوت فرانا ماهرا وأمكن للمعلم ان يستريح ، كنت اصف الرغفان على (المطرحة) الواحد وراء الاخر بسرعة وخفة والقيها في داخل الفرن المتوهج ببراعة فلا يحيد رغيف . . . ويمتلئ الفرن بالرغفان صفوفا متوازية . . ويؤج اللهب ويروح ينضجها فتنضج رويدا رويدا ثم يحمر سطحها فاسحبها بالمطرحة دائما وبخفة بارعة دائما من الفجر حتى بعد الغروب ، لا استريح ابدا . اجل لم اعد اجيرا يحمل العجنات . غدوت مساعدا للمعلم وكنت اتركه في ركن ما هادئا ، بعد سماله الشديد وبصاقه الكثير ، وذات يوم ارتديت سروالي الجديد ، ووضعت طربوشي على رأسي وأملته الى اليمين قليلا وانطلقت لارى عبد المعطي . . ولكني لم اجده يبيع المرطبات في منعطف حارة (الدباغين) وقال لي جاره الفوال : (عبد المعطي اصبح بائع زجاج في السوق الكبير ، ابحث عنه وبلغه سلامي) وانطلقت الى السوق الكبير . . . ووجدت عبد المعطي . . .

كان واقفا بجانب دكانه الواسع ، وكان الزجاج من كل شكل وطراز مركوما من الارض حتى السقف وكان عبد المعطي يرتدي بدلة ثمينة ، وفي اصابعه خواتم براقة من ذهب وطربوشة مائل جدا على رأسه ومنديله الحرير يتدلى من جيب سترته وحذاؤه اسود لامع . . وكدت انكره . كان ممتلئ الجسم نفرت له كرش كبيرة وانتفخ خداه واستقام له شاربان لا ينفك يبرمهما باصبعيه ولما رآني مقبلا أشاح بوجهه ثم تشاغل بأمر ما بدا لي كانه يريد ان يتجاهلني من اكسون ،

انا ؟ انني زميله القديم أجير الفرن وقد كان هو اجير ايضا ، اجير مثلي تماما . . فلماذا يشيح بوجهه عني . . لماذا يريد ان يهرب ، الا يراني ؟ غير اني تقدمت بسرعة لم اتح له فرصة الهرب . . واضطر ان يقف وان يلتفت وان يتكلف الابتسام كانت ابتسامة ثقيلة ، باردة كريهة ، وقال بلهجة فاترة : (هذا انت الا تزال اجيرا في الفرن انك أجير ولا شك) واحسست هذه المره انه اهانني اهانة بالغة جارحة ، اهانة بلغت قرارة نفسي ، ورحت اتفحصه من اخمص قدميه حتى قمة رأسه ، ومن قمة رأسه حتى اخمص قدميه . . اهذا هو عبد المعطي زميلي القديم الاجير ؟ وارتجفت . . ارتعد بدني كله . . شتان ما بيني وبينه . لقد كان اجيرا لا ريب في ذلك البتة الا انه يخيل الي ان ذلك كان في حلم ، حلم بعيد ، قديم لا أكاد اتذكره الا بجهد جهيد . . وبحركة عفوية رفعت رأسي الى السماء ولكن اللافتة الحمراء التي تزين اعلى دكانه صدمت عيني . . كان الخط كبيرا ضخما اسود ، على ارضية حمراء زاهية اللقب اولا " ملك الزجاج " ويليه الاسم : " عبد المعطي رجب " اجل هكذا بالخط العريض لا يمكن ان اخطيء وهل ممكن ان اخطيء ؟ كانت الحروف العريضة ، عريضة جدا وقد استطعت ان اقرأها بسهولة وانا في العادة اقرأ الكلمات والعبارات في كثير من العسر . . ويعود الفضل في هذه الرواسب التي لا تزال عالقة في ذهني للكتاب ، كتاب قريتنا ، قراءة متعسرة كما ترون ولقد نسيت اشياء كثيرة من ذلك الزمن ، الشيخ بركات نفسه لا يلوح في خيالي الا صورة باهتة ولكني لا أزال اراه يحمل سبحته ولا ينفك يدير حباتها باستمرار ويسعل ثم يمد يده الى جيبه ويخرج علبة (السعوط) ويفتحها برفق ويأخذ شيئا منها بين انملتيه ويروح ينشق في المنخر هذا مرة وفي ذلك مرة ، ويعد هذا يسوي عمامته ، ويتنحنح ويقول لاحدنا : " اقرأ يا ولد . . اقرأ في لوحك " هكذا دائما . . . حتى قريتنا نفسها فقدت الكثير من معالمها في ذهني . . بعد ان ارتحلت الى المدينة الكبيرة ولكني اذكر تماما حوش الدار التي كنا نسكنها . كانت جدرانها من اللبن الترابي المتداعي ، وكان الحوش موحلا دائما وفيه بضع دجاجات هزيلات قزعات وجدى مربوط الى خشبه الباب ، وحول دارنا ازقة ضيقة ودروب متعرجة وعرة تسير فيها صاعدا مرة وهابطا مرة . . وتملأ الجو روائح (الطوابين) وروث البقر واوحال الأزقة . انكم تدركون هذا تماما ، وتستطيعون ان تتصوروا الطفل الهزيل القذر الحافي القدمين الذي لا يستر جسده غير قميص مهلهل . . لقد كنت انا ذلك الطفل لا ريب في انكم تصدقون انني اقول الحقيقة كاملة لا اخفي منها شيئا . وقرأت اللافتة الحمراء الضخمة ووجدتني اسير كالنائم لقد تركته ومضيت . سرت طويلا في غير اتجاه . سرت في الازقة والدروب والحارات والشوارع الكبيرة المائجة بالخلق . وكنت كمن يحلم . سرت وسرت ساعات طويلة وكلت قدماي واخيرا رأيتني عند باب الفرن فدخلت واطفأت السراج ونمت .

لقد مارس عبد المعطي تجارة الزجاج وغش وخادع وتفاهم مع وكلاء شركة التأمين ، وكان يتقاضى مبالغ بسيطة عن خسائر وهمية من زجاج كثير يتحطم . . وزجاج كثير يفقد . . . وكان المال ينصب في جيوبه . الناس كلها قالوا ذلك ، الم تسمعوا انتم به ؟ وأصبح عبد المعطي معروفا ، وأصبح وجيها وصار يبدل الخواتم الذهبيه على هواه ، وينقلها بين أصابع يديه الاثنتين . كل من في البلد غدا يعرف عبد المعطي ، وكل من في البلد كان يقول " ملك الزجاج " وكان هو يضحك ، يغرق في الضحك ويهتز كرشه من الضحك ثم يبرم شاربيه ، ويطلق في النهاية قهقهة طويلة ، عريضة عميقة جدا كأن لا نهاية لها . . هل كان عبد المعطي أجير فرن . . . هل كان عبد المعطي أجيرا مثلي أنا . . . وينام على القش ، ويأبى الا أن ينال نصف الارغفة . . . ويبصق المعلم في وجهه فيمسح البصاق بطرف كمه البالي . . الان افهم لماذا لا تصدقون . . . لماذا تنظرون ألي بعيون ترميني بالكذب والبهتان ، وتكاد تضحك من سذاجتي . . . وغفلتي . . ولكن ثقوا بأني اقول الصدق . ولماذا أكذب واخفي الحقيقة .

مهلا بقيت حقيقة واحدة لم اقلها لكم ، وستصدقون الآن دون ريب . لقد استفقت ذات يوم فوجدتني زوجا لمحاسن ابنة المعلم . . . صاحب الفرن . . محاسن . . الحولاء . . . ذات الأنف الأجدر ، واللسان الذى يدور في حلقها ، ويدور دون انقطاع ، ويكاد يعريني امام عيني ، وامام الناس لشدة غرامها بتجريحي واهانتي . . انها في ساعات غضبها الكثيرة تبصق في وجهي كما كان والدها يفعل تماما . . انها ابنته . . على كل حال هكذا اكملني المعلم الى الابد واحكم وثاقي بالفرن . . وبالبيت معا ، وغدا هو يجلس بالباب على كرسيه الصغير المصنوع سطحه من القش المجدول ، ويدخن شيشته ، ويحادث المارة يروى فكاهات وقحة . . . ويسعل بشدة ، وأنا في الجورة وأمام وجهي فوهة الفرن ، حيث تتراقص ألسنة اللهب ، وانصبب عرقا يسيل من رأسي ووجهي وأطرافي ، والمطرحة بيدي . . والرغفان تدخل وتخرج ، دائما أبدا دون وناء . . صدقوني انها الحقيقة كاملة . . بجميع حذافيرها .

التحليل :

انظر في قصة الأيراني ، تجد أن خيوطها مستمدة من المجتمع ، ففي المجتمع عمال أفران وبائعون متجولون ودكاكين زجاج .

وعلى الرغم من ان خيوط القصة مستمدة من المجتمع ، فان القصة في تأليفها يمكن ان تكون في المجتمع ويمكن الا تكون ، فخيال الكاتب هو الذى ربط تلك الخيوط وهو الذى ركب أحداث القصة حتى بلغت ما بلغته .

وفي القصة عاطفة ، وفيها افكار ، والعاطفة والافكار تتوارى وراء احداثها وخلف الحـــوار ، فالكاتب لم يشهر شخوص قصته عنا ، ولم يجعل بطليها من عمال الافران عنا ، ولم يجعل عبـد المعطي متجرا في الزجاج عنا ايضا .

راوي القصة وعبد المعطي عاملان في مخبز ، وهذا يعني انهما يعملان في قوت الشعب ، وما داما يعملان في قوت الشعب فان من حقهما ان يعيشا عيشا رضيا .

وعبد المعطي يتجر في الزجاج ، والزجاج اذا ما وزن بالخبز يعد ترفا ، ومع انه يعمل في مادة المترفين ، فانه يحيا موسعا عليه في الرزق ، هذه مفارقـة .

وصاحب الفرن يحرم راوي القصة وعبد المعطي من العيش الكريم ، فيقوم صراع يمثل الصراع بين العامل وصاحب العمل .

ويشق عبد المعطي طريقة فيصبح ملك الزجاج ، ويفتني بالغش والتحايل على شركات التأمين ، ويظل راوي القصة مقيدا بالفرن ، ويبقى نكره ، ولذا لم يذكر الكاتب اسمه وجعله يردد بـين الفينة والاخرى : صدقوني : فالناس لا يصدقون الفقراء .

ويربط الكاتب بين حياة راوي القصة في القرية وحياته في المدينة ، وهو في هذا الربط يعطي صورتين قائمتين للمدينة والقرية (العامل والفلاح) .

(ولكنني اذكر تماما حوش الدار التي كنا نسكنها ، كانت جدرانها من اللبن الترابي المتداعي وكان الحوش موحلا دائما وفيه بضع دجاجات هزيلات وفزعات وجدي مربوط الى خشبة الباب ، وحول دارنا أزقة ضيقة ودروب مفتوحة متعرجة وعرة تسير فيها صاعدا مرة وهابطا مرة . . . . وتملأ الجو رائحة الطوابين وروث البقر واوحال الازقة) .

في القرية فقر ، والفلاح فيها يعيش عيشة ضنكا . وفي المدينة فقر وصراع طبقي ، ووصولية ، والوصولية تكون بالغش والخداع . وفي القرية والمدينة نظام رأسمالي .

فالكاتب يقول اشياء كثيرة ، وهو لا يقولها صراحة ، فالقول الصريح ليس من اسلوب القصـة ، ولا من الاسلوب التعبيري .

وما دام شخوص القصة يتحركون في عالم الواقع ، فان اللغة التي يتخاطبون بها لا ترتفع كثيرا عن الواقع اللغوي ، وهذه سمه اسلوبية غلبت على قصص الكاتب : فشخوص قصصه تتكلم بلغة تقترب من لغتها في الواقع ، ويقوى القارئ على قراءتها معربة ، فصيحة دون ان يحس بنبوّ ويقدر على قراءتها مسكنة عامية دون ان ينأى عن لغة التخاطب الواقعية .

وتلحظ ان جمل القصة القصيرة تلائم الحديث المألوف ، وتوفر للقصة حركة سريعة غير ان الحركة التي توفرها الجمل الطوال .

وتلحظ استغلال الكاتب لاسلوب الايجاز بالحذف، كقوله : (نصف الارغفة لي . . هذا حق . . ومرة آخذ نصف الارغفة . . وامسح بصاقة بطرفي كمي . . ومرة لا انال شيئا . . . ولكني لا اتراجع . . انت احمق . .) كما قلت لك وفاقد الهمة . خذ سيكارة .

ولو ان الكاتب وضع الجمل المحذوفة، فقال : ومد عبد المعطي يده في جيبه واخرج علبة السجائر، واخرج منها سيجارتين وضع احداهما بين شفتيه، ومد يده بالاخرى قائلا : خذ سيكارة، لضاعت المفارقة بين قوله : (انت احمق . . وفاقد الهمة، وقوله خذ سيكارة .) .

عيسى الناعوري :(١)

لقد بدأ عيسى الناعوري جهوده الادبية، فهو شاعر ينظم الشعر، وكاتب يكتب القصص وروائي يكتب الرواية، وناقد ومترجم للادب الايطالي والفرنسي والانجليزي .

ولكن لا نستطيع ان ننكر بان له الباع الطويل في مجال القصة .

ع الناعوري في قصصه : مجموعة طريق الشوك (٢) تضم هذه المجموعة اربع عشرة قصة اطلق على آخر واحدة منها اسم طريق الشوك وهذه المجموعة هي : (تمثال الضحية) (طفولة معذبة) (بائع الصحف) (عيد الطفولة) (مجاهد قديم) (الشيخ سعد الله) (يوم الوقفة) (حمال) (رسالة من بعيد) (مأتم العريس) (الشاعر الاعمى) (ليلة في باب الحرم) (طريق الشوك) جميع هذه القصص تعالج القضية الفلسطينية ووضع الفلسطينيين وما حل بهم من آلام واحزان ما عدا قصة (الشاعر الاعمى) فانها تتناول احداثا من بادية الاردن .

واما طابع الكاتب فهو رومانسي بحت .

اما مجموعته القصصية (خلي السيف يقول) (٣)

فهذه المجموعة تتألف من تسع اقاصيص ومعظمها يتناول احداث النكبة الفلسطينية وهي (فلاح القرية) (المحاضرة الاولى) (خلي السيف يقول) (اعز من حياته) (انها يهودية) (نهاية) .

وتختلف هذه المجموعة عن سابقتها الاولى فالكاتب يكتب في الاتجاه الرومانسي كغيره من كتاب هذه الفترة .

---

١) سبقت ترجمة حياته وذكر مؤلفاته في صفحات هذه الرسالة .
٢) مجموعة طريق الشوك ، نشر مكتبة الاستقلال - عمان .
٣) عيسى الناعوري ، خلي السيف يقول ، نشر مكتبة الاندلس .

مجموعته (عائد الى الميدان) :

تضم تسع اقاصيص منها (عائد الى الميدان) (فدوى) (مذكرات والد) (وصفة طبية) (منصور بيك) (فارس عربي) (استغراق) (توميولا) (سقطة في حلبة الرقص) هذه القصص متنوعة الاهداف ، منها ما يخص النكبة الفلسطينية ، ومنها القضايا العربية المعاصرة ، ومنها قضايا انسانية ، وكانت هذه كغيرها من المجموعات الاولى رومانسية بحتة .

حكايا جديدة - وتتألف من القصص التالية :

الى آخر العمر - ليلة العيد - المخمن - أقزام - ليالي البيادر - الحطب الادمي - الحقل القاتل) - اليتيم - المعلم المدني - الجنية - معمر بوابير الكاز - عدوة القمر - اكبر من الالم - كريستينا - كأس النبيذ - المرضة - في المستشفى - ثورة مفاجئة - جمال تحت الانقاض - القرية الصامتة .

مختارات من قصصه " أكبر من الألم "

سأحكي لك الحكاية كما وقعت : لا أزور الحوادث ولا اخترعها ولماذا بالله ازور واخترع ، وفي الحقيقة احيانا ، ما هو اقوى من الخيال واروع من كل اختراع؟ !

المراسلات بين لمياء وصديقتها السويدية برتنيفر متواصلة منذ مدة طويلة ، في كل شهر تتلقى رسالتين او اكثر من الاخرى ومع الرسائل تتبادلان الهدايا الصغيرة بالبريد ، ولم يتح لهما ان تتلاقيا ، فاحداهما في عمان والثانية في السويد ، انها صداقة قلم ، وقد جاءت صدفة : برتينفر بعثت رسالة من السويد الى احد البنوك المحلية تبحث عن فتاة او فتى من الاردن لمراسلتها . علمت لمياء بالامر من احدى موظفات البنك فاخذت العنوان واجابت عليه . شيئا فشيئا تطورت المراسلة الطارئة ، وتحولت الى ثقة متبادلة ، محمودة ، استمرت تنمو مع استمرار المراسلة .

سنتان او نحو ذلك مرتا على بدء المراسلة . ثم فجأة انقطعت رسائل برتينفر دون سبب تعرفه لمياء . وكتبت اليها لمياء اربع رسائل خلال ثلاثة اشهر ، فلم يصل اليها اي جواب .

عجيب : ايكون في احدى رسائل لمياء ما ساء صديقتها السويدية دون ان تعلم؟ ام ترى الصديقة غادرت السويد في جولة طويلة لم تصدفها بعد ؟ .

ولكن حتى لو صح الامر الثاني ، فليس في السفر ما يمنع من ان تبعث ببطاقة من احد الاماكن التي تزورها : اشارة قصيرة تنبيء بانها في رحلة . ان الاسفار فرصة ممتازة لمواصلة ارسال البطاقات الجميلة من اماكن متعددة تحمل عبارة تحية ، او تعبير عن الغبطة برؤية اماكن جديدة ، او بالاحلام الى الراحة في مصيف جميل او مشتى بهيج .

لم يحدث شيء من هذا . فداخل لمياء القلق الذي لا تعرف له تفسيرا ، انها تود ان تعرف

السبب في انقطاع رسائل صديقتها :- قد تكون مريضة . . . ولكن المرض ليس عائقا من كتابة سطرين على بطاقة ، الا ان يكون . . . . لا سمح الله . . . . .

وفجأة بعد اكثر من ثلاثة اشهر ، تلقت لمياء طردا صغيرا بالبريد انه من السويد ، من برتينفر . . . فأسرعت تفتحه قبل ان تغادر مكتب الطرود وكانت دهشتها كبيرة حين رأت في داخلة شريطا صغيرا فقط ، ليس معه اى كلمة مكتوبة تدل على ما فيه . وفي البيت وضعت لمياء الشريط على المسجل وادارته :-

كان الشريط مفاجأة لا تدور في خيال . . . كان صوت برتينفر نفسها يتحدث بهدوء واطمئنان غريبين وبعبارة قوية مشجعة - وهذا أغرب ما فيه :- على الرغم من ان ما يرويه كان يمزق القلب الما . . في نصف ساعة كاملة . على وجهي الشريط ، روت برتينفر الحادث الاليم الذي وقع لها .

" عزيزتي لمياء !

معذرة اذا لم اكتب اليك منذ شهور . . . انا لم اعد استطع الكتابة ، فقد فقدت عيني الاثنتين . . . وانا الان احدثك من المستشفى على هذا الشريط ، ورأسي غراقة كلها باللفائف والاربطة ، بعد ثلاث عمليات جراحية اجريت لي في العينين في محاولة لرد البصر . . . يقول الاطباء انني سأستعيد نظري بعد عملية اخرى او عمليتين . وانا الان انتظر ".

الصوت المتحدث هادىء هدوءا عجيبا . . فتاة في عمر الورد . . . عشرون ربيعا فقط . . . . تفقد العينين معا ، . ورأسها غارق كله في الاربطة واللفائف ، ومن سرير المستشفى تسجل رسالة غريبة الى صديقتها العربية ، البعيدة عنها آلاف الاميال ، لتعتذر اليها عن التأخر في مراسلتها ، واكثر من ذلك ، لتشجعها . . نعم ، تشجعها . وتبعث في نفسها الامل . . . تنقل اليها الاطمئنان النفسي الغريب المدهش الذى يتحدث به ، هما مصدر البكاء اكثر من المأساة المفجعة نفسها . . . .

ويستمر الصوت يقول بهدوئه العجيب ، وبثقة نفسية مذهلة :-

" لقد وقع الحادث اذ كنت مع خطيبي في رحلة للصيد بعيدا عن مدينتنا ، ونحن نحب الصيد ونمارسه بشغف . وقفز امامنا ثعلب ، فحاول خطيبي ان يأخذ البندقية بسرعة ويطلق عليه النار ، ولكنه بدلا من ان يصيد الثعلب انطلقت ناره في وجهي ، فحطمت نظاراتي " داخل عيني " وملأت وجهي بالرش المحترق كل زجاج النظارتين تحطم داخل عيني ، ان خطيبي يعبدني . وانا كذلك اعبده ، وقد اصيبت يداه هو ايضا بحروق الرش . . . ومنذ ثلاثة اشهر وانا اخضع للعملية تلو العملية والاطباء يؤلمونني . . . .

وعيناى في ظلام دامس مستمر ورأسي كله في الأربطة واللفائف البيضاء . واما تسليتي الوحيدة فهي الاستماع الى الموسيقى التي تحطني الى عواصم مضيئة لا تراها عيناي . . . .

الرسالة المسجلة لا تزال ماضية في الحديث بصوت هادئ غريب، ليس فيه حزن ولا امتعاض ولا شكوى . . . والدموع تنهمر من عيني لمياء وعيون من يستمعون معها الى الرسالة الاليمة نصف ساعة من الحديث المسجل على وجهي الشريط، ومن دموع المستمعين . وتتمثل الخيالات بعيدا بعيدا، الى السويد، وتتخيل الجلسة الحلوة بين الخليجيين، وتلاحق قفزة الثعلب السريعة، وحركة الصياد الخائب التي اصطادت وردة يانعة جميلة بدلا من ان تصطاد الثعلب ثم اذا العينان الجميلتان تمتلئان بالزجاج المحدب، ثم يختفي النظر، وتصبح الدنيا سوداء في العينين اللتين كانتا الى ما قبل لحظات تفيضان نورا ومرحا وحيوية . . . ما اشد فظاعة المنظر !!!

وتمضي الرسالة المسجلة :

" لقد وصلتني رسائل متعددة خلال مدة اقامتي في المستشفى، كلها حملها الي والداي من مدينتنا . . ولا شك قلقة من جراء عدم ردي عليها كل هذه المدة . الواقع ان رسائلك كلها قد قرأت عليّ، وكنت أتألم لانني لم اكن استطيع ان اكتب اليك، ولا ان ادعك تعرفين ما وقع لي لقد كان يضايقني جدا ان تكتبي وتكتبي وتكتبي وانا لا اجيب، حتى اشارت عليّ احدى الممرضات الطيبات باللجوء الى هذه الطريقة :- الرسالة المسجلة على شريط . . وقد وجدتها فكرة ممتازة . انها الوسيلة الوحيدة التي استطيع بواسطتها ان اتصل بك، واحكي لك قصتي كلها، راجية ان تعذريني . . . ايتها العزيزة . . . وتغفر لي ! . . .

واسرعت لمياء تكتب اليها من بين دموعها الحارة، تواسيها وتتمنى لها الشفاء العاجل، وتعرب لها عن تأثرها الشديد لهذه الحكاية المفجعة .

وجاءها جواب مكتوب بعد ايام . الرسالة بخط احدى الممرضات تطلب من برتينغر . ولكن الممرضة اضافت اشياء لم تكن لمياء تعرفها عن صديقتها .

تقول الممرضة ان اكثر ما يشغل بال برتينغر انها لم تعد تستطيع ممارسة الرسم . فهي من اشهر الرسامين في السويد، ممن تكتب عنهم الصحف باعجاب وبكثير من الثناء . هذا ما لم تشر اليه برتينغر قط في رسائلها الى لمياء .

ورسالة اخرى جاءت بعد مدة قصيرة، وقد كتبتها مريضة زميلة لبرتينغر في المستشفى كانت قد تماثلت الى الشفاء، وتوشك ان تغادر المستشفى .

اما الرسالة الثالثة بعد ايام اخرى، فقد كانت مكتوبة بخط برتينغر نفسها، وقد بدأتها بقولها : " وخرجنا من جديد يا لمياء " ثم تقول " سأكتب اليك رسالة قصيرة فقط هذه المرة لان الضوء يتعب عيني كثيرا . منذ ثلاثة ايام فقط استرجعت من اللفائف . انني ارى جيدا، ولكنني لا استطيع التعرض وقتا طويلا للضوء مهما يكن نوعه، ولهذا تغطي عيني نظارتان كثيفتا السواد، قد

يكون منظري الان غريبا ، ان الوقت متأخر الان واشعر بنعاس شديد ، واحس بان افضل مكان في الدنيا هو السرير . سأستريح الان واستسلم الى النوم العميق ....."

ثم تضيف الرسالة سأسافر خلال الصيف القادم الى اسبانيا لقد تعبت من طول الاقامة في المستشفى ، واشعر بحاجتي الى الشمس والى هواء جديد في مكان آخر ... ساكتب اليك في فرصة اخرى متى اعتادت عيناى الضوء اكثر قليلا ...."

ما اجمل هذه الرسالة المفاجأة !! انها بخط برتينفر نفسها هذه المرة ، الخط الدقيق الناعم الذى اعتادته لمياء طوال عامين تقريبا ... صحيح انها رسالة قصيرة جدا .

روكس العزيزى (١)

مختارات من قصصه :

ما اسهل القتل :

قال محدثي : "كانت الساعة الحادية عشرة ليلا ، واذا بالحارس يقرع الباب بعنف.

فتحت الباب ، واذا الرجل يرتجف ، ويتواقع علي متوسلا أن أعيره مسدسي ! ... قلت :

- ما تصنع بالمسدس؟

- ادافع به عن نفسي ، لاني اخشى القتل . هذا ما اجابني به الحارس!

ابتسمت ، وقلت : "اتظن القتل سهلا الى هذا الحد ؟".

اجاب الرجل باضطراب عميق :

" القتل وأي شيء أسهل من القتل ، يا سيدي؟ والى أي شيء يحتاج القتل؟ ساعة غفلة ، حماقة لحظة ، كافيه للقتل .

أسمع ، لا خبرك قصتي : "كنت في السابعة عشرمن عمري ، يوم احببت ابنة عم لي ، في مثل عمرى كنت اراها فاشعر بان قلبي يضطرب في حنايا ضلوعي ، ووجهي يحمر ، ولساني يتلعثم ، وكانت تغيب ، فلا ارى الا خيالها ، ولا افكر الا فيها ، كانما الدنيا كلها قد تقمصت في شخصها ، او

---

(١) ولد في مدينة مادبا سنة ١٩٠٣ ، وهو من عشيرة (العزيزات) المعروفة بمساندتها للفتح الاسلامي .
امضى في تعليم اللغة العربية وآدابها ستا وخمسين سنه في الضفتين .
عصامي ثقف نفسه بنفسه . له مؤلفات عديدة وقيمة تزيد على ثلاثين مؤلفا اهمها : المنهل في تاريخ الادب العربي وقاموس العادات واللهجات والادب الاردنية .
عضو مراسل لمركز الابحاث الاتنولوجيه في باريس . من اعضاء رابطة الادب الحديث في القاهرة .
عضو في جمعية التقارب المسيحي الاسلامي

كأنما هي نفسها قد اصبحت الدنيا بأسرها .

اراها في خيالي باسمة ، فافرح وابتسم ، واتوهم ان الدنيا كلها ، سهلها وجبلها قد ابتسمت لي . واتخيل انها عبست ، فاشعر بان الدنيا كلها قد تجهمت ، وعبست في وجهي . احاول ان ابعد خيالها عن فكري بالنوم ، فلا انام ، الا اذا تصورت ان انامل تداعب شعرها الذى يكاد يلامس الارض ، بجدائله السود .

كل مكان وقفت فيه ، اجده حبيبا الى نفسي ، عالقا بقلبي . احببت كل شيء احبته ، وكرهت كل الذى كرهت ، وكنت اتخيل انها لو كرهتني لكرهت نفسي ، لعلمي انها لو فعلت ذلك ، لسلبت حياتي كل معنى من معانيها ! . . .

يوم كنت امر في الحي وأراها ، اشعر بان نساء الحي قد اضمحل وجودهن ، كأنهن غصن في قصور ، وطمس وجودهن ، وكأنها قد انتصبت تمثالا من الفتنة والجمال ، يسير بين الارض و السماء ، فلا ابصر سواها ، ولا احس بوجود غيرها .

اذا غابت ، فكرت في كيفية لقائها ، وفي ما يجب على ان اصنع ، وما يجب ان اقول ، فاذا حضرت ، جف الكلام على شفتي ، وغاب عني كل فكر ، ونسيت كل كلام ، ولم أعد أسمع سوى دقات قلبي ، ولا احس الا باندفاع الدم في كل خلية من خلايا جسمي بعنف ، وباحتقان في وجنتي . فاذا غابت ، لمت نفسي على اني نسيت كل ما قدرت اني اريد ان اقول لها ، وابوح به عند لقائها . استغفر الله ، يا اخي ! ان كل ما وصفت لك ، لم يكن سوى عرض مما كنت احس به نحو تلك الفتاة . اذا لم يكن من جمال الا جمالها - وفي رأيي - وقد كنت اتوهم ان لا حياة لي بدونها ، وان الدنيا لا تستحق ان توجد لولاها . وان الحياة لا تستحق ان تعاش اذا خلت منها ، وكنت اشعر يوم القاها اني اعظم من كل الرجال ، واسعد من كل بني آدم . ويوم كانت تضع يدها في يدى ، كنت احس بنشوة ، دونها نشوة المدمنين على الخمر ، اذا شربوا . لذا حرصت على ذلك الرسيس الذى يكاد يحرق شغاف قلبي . ورأيت انه الموت والحياة ، وانه السعادة والشقاء ، وانه الضحك والبكاء !

كان هذا موقفي من الحياة ، ومن نفسي . وفي احد الايام سمعت فتاتي تقول : انه يجب على ان اسعى للحصول على المال الذى يرضي شح والدها ، ونهمه .

فصح عزمي على ان انخرط في سلك الجندية . وقد فعلت . وقد اقسمت لها ان لا اعود الى قريتي ، الا ومعي المال الكافي لمطاليب ابيها . وعرف الناس قاصيهم ودانيهم - في القرية - قصتنا .

مضت الأيام ، ودقائقها تحرق قلبي ، وتحول دمي رمادا في عروقي ، شوقا اليها . لكني كنت استعذب كل عذاب ، لانه السبيل الى الحصول عليها .

وتحولت مخلوقا غريبا . قترت على نفسي في النفقة ، وعدت في حياتي صنمين :

أ- فتاتي تلك .

ب- والمال - لانه الموصل الا وحد الى قلب ابيها ، وبالتالي ، الموصل اليها .

ثلاث سنوات مرت، وانا اجمع رواتبي ، الى ان اصبحت اعد من الاثرياء بالنسبة الى مفهوم الثروة في قريتي .

وفي عطلةعيد من الاعياد مررت بالمدينة، فاشتريت جهاز العرس للتي احبها ، وركبت مع الراكبين في السيارة ، فكنت اشعر ببطء سيرها . ولعلك تضحك اذا قلت لك ان نفسي راودتني - مرارا - ان اترك السيارة التي تعطلت عطلا بسيطا طارئا ، واقطع المسافة سيرا على قدمي . وفجأة تنبهت ان عملي حماقة .

وصلت الى قريتي - وفي حدود الساعة الثانية بعد الظهر، وكانت النساء قد عدن بعد ان استقين الماء من الابار. منهن من حملت قربتها على ظهرها ، ومنهن من حملتها على حمارها وكان كثير من النساء ينسجن بسطهن المزخرفة . . . وهن يتحدثن احاديث مختلفة ، تتناول كل موضوع في القرية. وكان هنالك جماعات من النساء يفزلن منطلقات على سجيتهن ، بلا تحفظ، وقد كشفن عن سيقانهن ، تسهيلا لحركة المغازل ، وعشاب المزروعات عادوا باحمال العشب لمواشيهم، والرجال قد تمطحوا كلهم على الارض ، الالعاب التي الفتها ، ومارستها في طفولتي . لكن ، لشدة ما كانت دهشتي يوم سمعت بعض العجائز - وانا مار - يذكرن اسم امي بحزن ، مشفوع بالتنهد . والشبان يستقبلونني بابتسامات مثقلة بالهزء والسخرية ، على نقيض ما كان القوم يستقبلون المنجندين الغائبين من ابناء القرية .

سخطت يا سيدى ! وثار الدم في عروقي ، ولمح احد رفاقي الثوب الذى أحضرته للعروس، فابتسم قائلا : - فصّل الثوب والبسه ، اشرف لك ! " .

اسرعت الى الدار ، فرأيت رعاة يوردون اغنامهم ارسالا ، فهزوا رؤوسهم يوم رأوني . أدركت حالا ان امرا يخصني قد حدث . فدخلت الدار ، وقبلت يد أمي بلهفة ، وقبلتني بحنان الأم التي تعيش من اجل ابنها ، وبلّ دمعها خدى . لقد قالت لي : ان يوم موت والدى ، كان اخف وقعا على قلبها من اليوم الذى فجعوني فيه بالتي احبها .

لم اتكلم بعد ذلك ، لان الكلام جمد في حنجرتي ، خلعت ثيابي ولبست مدرقة أمي ، ذلك الثوب الذى تلبسه القرويات والبدويات عند العمل . واقسمت بالله ان لا أخلعها الا بعد ان انحر الذى انتزع حبيبتي مني ، واقطع كبده برصاصة من بندقيتي . كان هذا القسم، على مسمع من امي .

كم بكت ، وتوسلت ان انسى الفتاة ، وانسى الرجل الذى تزوجها ، لانه اب لثلاث بنات صغيرات ولطفل صغير . توسلت الى ان انسى عمي المجرم الاساسي في القضية . ولكن ، كيف انسى ، او اتناسى ، وقد وصفت لك موقفي وحبي ؟ ! .

حقا ، يا سيدى ، اني انا نفسي لم اكن لا تصور ان القتل سهل جدا . سمعت غريمي يطلب من جار له مسدسا عارية ، لانه يشعر بان حياته في خطر . استعار المسدس ، وحشاه بالطلقات وانا ارى ، وانصرف الى داره القروية المؤلفة من ثلاث قناطر ، يحيط بها حوش واسع تزيد مساحته على الدونم . فيه فرسه الصقلاوية ، وابقاره وغنمه ، وجمل وحمار . وبين مذاود البقر انطويت بمدرقة امي ، وعباءة والدي السوداء . وكانت بارودتي الانجليزية القصيرة محشوة بالعيارات النارية ، وشبريتي الهوسانية الدقيقة الى جنبي . ورأيت غريمي يضع المسدس تحت وسادته . وكان اقاربه قد بكروا في السهرة عنده ، لانه لم يمض على زواجه سوى خمس ليال هي ليالي الحشمة - في ديارنا -

سمعته يطلب من العروس ان تصنع شايا للزوار ، ورأيتها تصنعه ، وتقدمه لهم ، بعد ان وضعت السكر عليه رأسا . ولشدة دهشتي ، سمعت غريمي ينادي العروس باسمها ، طالبا منها ان تضع سكرا على الشاى . فضحك الجميع ، وقالوا : " السكر زائد عن المقدار اللازم " .

فصاح قائلا : " لا تهزأ بي يا . . . ان الشاي مر ، كالملقم " .

فضحكوا منه ثانية ، وقالوا : " انت تريد أن تعقينا دبسا ، او تقتلنا بالحلو؟ " فسمعته يقول : " الملقم اخف مرارا من هذا الشاي ! " .

حقا ، لقد كنت في معركة مع نفسي ، كنت ارجف ، وانا أرى حركاتهم ! . . .

التي احبها ، تصنع الشاي لهذا الكهل ؟ ويضمها هي وغريمي منزل واحد ؟ !

هل نسيت كل ما بيننا ؟ انا لا اصدق ذلك ! . . .

لقد قالت لي امي انهم ارغموها ! . .

لكن لماذا لم تثر على التقاليد ؟ لماذا لم تثر على ارادة ابيها اللحز الشحيح ؟

ان البدويات افضل منها . اولئك عرفن طعم الحرية ، فلا تتزوج احداهن الا برضاها ، اما القروية فتباع - احيانا - كما تباع الدابة ! . . . يا للعار ! . .

لقد خطر ببالي ان اوزع رصاصات بندقيتي على كل من في الدار . وخطر ببالي أن تكون الرصاصة الاولى في قلب التي احببتها ، اذ أن اعصابي لم تعد تحتمل هذه التجربة القاسية - كاد اصبعي يضغط نابض البندقية ، لكني شعرت بان يدي قد تجمدت في اللحظة الاخيرة . لان كل احاديث الحب التي دارت بيننا مرت في مخيلتي ، في طرفة عين .

خشيت ان يراني احد ، فتفسد خلتي ، وفي كل لحظة كنت اشعر باني ازداد تصميما على الانتقام . وكنت اعد الثواني ، لا تمكن من اطفاء نار الحقد والانتقام التي تتأجج في صدري .

شرب القوم الشاى ، وخرجوا من البيت ، من غير ان يشعر احد منهم بوجودى ، فقد كان انطوائي في العتمة محكما . وتبعتهم العروس حبيبتي الراضية بالعبودية ، لاغلاق باب الحوش ، ولما

عادت تريد اغلاق باب الدار ، يسألها غريمي : - هل قيدت الفرس ؟ قالت : "بل نسيت" . فطلب منها أن تقيد الفرس ، وعند مرورها لامس ثوبها جسمي ، فاحسست باني أريد أن انقض عليها ، لكني شعرت بان حقدي يطفى على كل عاطفة ، وشعرت بان عزتي ورجولتي قد اذلتا ، اشنع إذلال ! . .

لم أعد انسانا ، لقد كنت في تلك اللحظة وحشا ، وأشد ضراوة من الوحش ! . . فما ان قيدت الفرس ، ودخلت الدار ، وأوت الى فراشها ، حتى قفزت من النافذة المفتوحة - طلبا للهواء - وعلى ضوء السراج الخافت ، قلت لغريمي : "انطح من دون روحك - اى دافع عن نفسك - فانا لا أريد أن اغدر بك غدرا ! " .

لقد كان في استطاعة الرجل ان يمزق قلبي ، لكنه لم يفعل ، لانه لم يصدق ان القتل سهل ، بهذا المقدار ، ولعله لم يصدق فتى مثلي ، يقدم على ان يدمر حياة التي احبها ، ويحكم باليتم على ثلاث بنات وطفل ، لعله لم يصدق ذلك .

فالتفت الي بهدوء مشوب بشيء غير قليل من الذعر . صورة ما زالت تطاردني ، وتصعقني ! . . وقال ونبرات صوته تكاد تختنق - ولعله كان خائفا من نفسه ، اكثر من خوفه مني - اجل لقد خاطبني قائلا : "خف من الله ! لا تقتلني ، وتقتل نفسك ، وتيتم اطفالي ، دونك هذا الصندوق فان فيه ثلثمائة ليرة عثمانية ذهبا ، خذها حلالا لك ، وشهد الله ، اني لن اذكرها لا حد ، فانا غني كما ترى ، وانت في حاجة الى المال . فخذ هذا المال ، وتزوج من تريد ، واشفق على شبابك ، وعلى هذه الفتاة التي احببتها في احد الايام . اشفق على هؤلاء الصغار اليتامى ، ولا تجعلهم لطماء بقتلي ! . . "

انا اعلم اني اعتديت عليك ، واجرمت بحقك ، واعلم ان الناس تشاءموا يوم زواجنا ، لان العروس سقطت عن الفرس مرتين ، وهي في طريقها الى المعبد ، لانها مرغمة ، فلا تصدق تشاؤمهم بقتلي ! . . " .

لقد رأيت العروس تهب من فراشها مستغيثة صارخة : "يحق عليك ، ارحم الرجل ! . . " لعل المسكينة كانت تعتقد انه بقي لها مكانة في قلبي ، تحول بيني وبين الانتقام . لعلها توهمت اني لا انفذ تهديدي ، وما علمت ان استغاثتها وسقوطها مغمى عليها قد اسقط البندقية من يدي ، وزاد من ثورة انتقامي الجنونية .

اجل بحركة جنونية ، لا أذكرها ، كانت شبريتي قد غاصت في نحر الرجل ، تقد صدره ، وتمزق قلبه ، وعلا هتافي المجنون الحاقد ، مختلطا بعويل الصغيرات ونشيج الطفل الصغير : "غسلت عاري ، وخلصت ثوب الخزية الذي البستني اياه ، باخذك التي احببتها ! " .

حملت الفتاة على كتفي ، ووضعتها في بيت خالي ، ليعتنوا بها ، وسلمت نفسي لاول مخفر لقيته .

لقد اخذت كلمات الرجل الأخيرة ترن في أذني ، وصرخات الفتاة التي أحببتها ، واستغاثاتها تمزق كبدي . اطياف الجريمة تلاحقني ، وتحرمني النوم . وادركت لاول مرة في حياتي - ان كل ما توهمته من حبي لتلك الفتاة ، لم يكن سوى انانية طاغية فضحها اغتيالي للرجل الذى تزوجها ، وارتضت بان تقطع الحياة معه . خضوعا لارادة والد غاشم . فدمرت حياتها ، وقضيت عليها بان تطوى حياتها عانسا ، فاقدة كل امل ، لان احدا لا يجرؤ على الدنو منها بعد اليوم ، وانا لا اصلح ان اكون زوجا لها ، بعد ان اصبحت مجرما اثيما .

قضيت في السجن سنوات ، كان عذاب ضميري فيها اعنف من عذاب السجن - على كل ما لقيت في السجن من اهانة واذلال ! - لقد خرجت من السجن بالعفو العام .

والان قبل ان اقرع بابكم ، كانت ضبع هائلة قد وقفت فوق رأسي ، وكادت تفترسني - وليتها فعلت ! . . لكني نجوت بأعجوبة ، ليطول في الحياة عذابي . وانصرفت الضبع عني ، بعد ان استروحتني مرارا ! .

وانا الان اخاف ان يمر بي احد قطاع الطرق فيقتلني ، لان القتل كما قلت لك يا سيدى من اسهل الامور ، وهو لا يحتاج الى اكثر من لحظة حماقة ، وتصميم ارعن ، وعدم تقدير للمسؤولية ، وقليل من الحقد ، وحب الامتلاك ! . .

فاذا رأيتني الان شبحا ، اعيش بلا ارادة وبلا هدف ، فلا تلمني ، لاني فقدت انسانيتي ، من اليوم الذي صممت فيه اذني عن توسلات أمي ، والفتاة التي توهمت أني أحبها ، والرجل الذى قضيت على بناته وابنه ليعيشوا لطماً .

ان عزائي الأوحد في اوقيانوس عذابي هذا ، ان الله يعذبني في هذه الحياة تكفيرا عن جريمتي التي لا تطهرها توبة ، ولا تغسلها دموع ! . . .

التحليل :

يصور لنا الكاتب التقاليد المسيطرة على المجتمع ، ونظرة الناس المادية والمال عندهم كل شيء في الحياة .

فبطل القصة الذى غاب السنين الطويلة بحثا عن المال حتى يفي بوعده لمحبوبته ، ويتم زواجه منها ، نراه يضحّي بكل شيء من اجل تحقيق السعادة والرفاهية الزوجية .

ولكن الامور تسير بغير ما يشتهي الانسان ، يطول غياب المحب العاشق بينما محبوبته تنتظر ساعة عودته وهي تخطط لمستقبل زاهر تغمره السعادة والمحبة .

والد الفتاة رجل جشع ينظر الى الحياة من خلال المادة فهي اغلى شيء عنده في الحياة. لا ينظر الى سعادة ابنته، ولا الى مستقبلها، ولا يرحم حبها وصبرها الطويل على غياب حبيبها، فعندما يرى ان خطيب ابنته قد طال غيابه يتذمر ويتضجر، ويزوج ابنته من رجل لا تحبه ويحرمها من ثمرة حبها من شاب تضحي من اجله، تبادله الحب والمودة مخلصة له.

ماذا تفعل الفتاة المغلوبة على امرها، اذ لا تملك من امرها شيء فالعادة في المجتمعات المتخلفة تجعل من ولي الامر سيدا مطاعا كلمته مسموعة، وأمره مطاع.

ارغمت الفتاة على الزواج من رجل تكرهه من اجل ان يحقق والدها اطماعه المادية، فاعتبر ابنته سلعة تجارية معروضة للبيع والشراء، يعود الفتى من غيابه الطويل، اذ جمع من المال الكثير ليتم به زواجه، ولكن سرعان ما خاب امله عندما سمع ان محبوبته زفت الى غيره.

يصاب الفتى بخيبة الامل وبعقدة نفسية وينظر الى هذا المجتمع الظالم الذي لا يرحم الحب بل يحرمه من ثمرة حبه.

ماذا يعمل الفتى يتهدد ويتوعد بالقتل للشخص الذي اعتدى على خطيبته غير مبال بالحياة.

عودة الى كاتب القصة الذي يصور لنا العادات السيئة في المجتمع ويرمز لها بشخصيات محلية من واقع البيئة التي يعيش فيها الكاتب.

أمين فارس ملحس : (١)

يكتب الاستاذ أمين فارس ملحس القصة منذ اكثر من عشرين عاما ، ولا يزال يكتبها الى اليوم بروح الهاوي المحب ، لا بروح المحترف، فهو اذن ، مقل لايستكثر في كتابتها . ولذلك لا ينفك يصقل القصة التي يعكف على وضعها ، ويحككها تحكيكا كما كان يقول اشياخنا القدماء عن الشاعر المقل الذي ينفق عامه في العناية بقصيدته وتحكيكها ، فعمل الصائغ المفتن بقطعته الذهب ، فلا تخرج من بين يديه الا صقيلة لماعة تبهر العين .

ولا ريب في أن الاستاذ ملحس يكتب الكثير في غير القصة ، فهو يترجم ، وينشيء المقال ، ويبحث في شؤون التربية والتعليم ، ويمارس كتابة المسرحية الاذاعية ، ولكن هوى قلبه وقلمه : مع القصة . ومن عجب انه لم ينشر حتى اليوم غير مجموعة قصصية واحدة هي " من وحي الواقع " سنة ١٩٥١ - ضمت بواكير قصصه . . . وان نشر عددا غير قليل من القصص في المجلات الاردنية والعربية الاخرى . ولهذا السبب رأت دائرة الثقافة والفنون ان تنشر له هذه المجموعة متغلبة بذلك على زهده في نشر قصصه ضمن مجموعات كما يفعل زملاؤه من القصصيين .

وأول ما يتبادر الى الذهن ، عند قراءة قصة ، انه ينزع الى الواقعية او اذا شئت ، المذهب الواقعي . ولهذا السبب تأتي قصصه حادة ، قاطعة ، تؤلمنا في ذات انفسنا لانها تهز فينا مشاعر راكدة ، تنتظر الوخز لكي تعود فتنشط وتتحفز في مجال رؤيه جديدة من الواقع المر ، كما نلاحظ ذلك في العديد من قصص هذه المجموعة التي ينتظمها اتجاه واحد اوغرض واحد هو تصوير مآسي شخوص من ابناء النكبة ، واحيانا بطولات هؤلاء الشخوص ، على نحو ما فعل في قصص: ابو مصطفى ، والاسطر الحمراء ، وهل رأيت احمد ، وطريد ، ووسط الضجيج ، وطريق الآلام وغيرها .

وهو عندما ينظر في مأساة الانسان ، من غير جانب النكبة ، نجده يتابع طريقته في الوخز المؤلم ، لا ليستدر الدمع ولكن لكي يرمينا بجمرة كاوية من واقع شخوصه وهم في اشد اوضاعهم الاجتماعية قسوة وتحدثنا بهذا قصصه : رأس على الخطب ، والسرداب .

وحتى في قصص التذكر التي يعود فيها الاستاذ ملحس الى الماضي والى دنيا الطفولة الخاصة فانه يحيي هذه الصور من الماضي ببراعة ولكن بمرارة ايضا . وقد يلفت النظر في اكثر من قصة في هذه المجموعة ان شخصية " الأم " تحتل مقاما رائعا ومؤسيا ، واحيانا مأساوية كما في قصة

---

(١) هو أحد القصاصين المعاصرين في الأردن ، عمل في سلك التعليم ، له مجموعة من القصص بعنوان " ابو مصطفى " ومنها اخذت هذه القصة .

" السرداب" و " هل رأيت احمد " و " طريق الآلام" وغيرها .

ولست ادرى العوامل النفسية السيكولوجية البعيدة والقريبة التي جعلت الاستاذ ملحس شديد الاحتفاء بشخصية الام ، غير اني اعلم انه قدم لنا اكثر من نموذج لهذه الام الغالية : فهي كنز المحبة وكنز التفاني والتضحية ، بل هي كنز الوجود .

واذا كان الاستاذ ملحس ينزع الى الواقعية الحادة فيما يكتب من قصص، فانه يستطيع عندما يريد او يريد السياق القصصي ان يرسل شفاعات باهرة من التعابير الشاعرة كما تنطق بذلك قصته " شموع العمر " :

ثم ان الاستاذ ملحس يجيد السرد ، ويجيد الحوار، ويستطيع ، بمهارة ان يمزج بين الحاضر والماضي باسلوب قصصي بارع. وهو لا يضيره ان لا ينحو منحى اولئك المجددين من كتاب القصة ، المولعين بمختلف الاشكال القصصية غير المألوفة ، ما دام قد التزم باسلوب المدرسة الواقعية ، وهي مدرسة اصيلة وحية ، ولا يزال كبار كتاب القصة في العالم ينضوون تحت لوائها . سواء كانت هي الواقعية الكلاسيكية او الواقعية الجديدة ، فان هذه من تلك على التحقيق .

مختارات من قصصه :-

الأسطر الحمراء :

على مفترق الطرق وقفت ورأسها يضج بمزيج صاخب من الأصوات والصور يكاد يذهلها عن نفسها وعن كل ما يدور حولها كأنها في حلم مرعب : فقعقعة السيارة العتيقة التي حملتها من القرية الملتهبة في حراسة نفر من خيالة القرية المسلحين ، ولهاث السيارة وهي تصعد الأنات والزفرات في الطريق الوعر . كل هذه وتلك لا تزال تتردد في سمعها وخلدها وهي واقفة على مفترق الطريق .

" تفضلي انزلي يا ست حياة بسرعة حتى تتاح لنا العودة الى القرية . فهذا الطريق الوعر هو المنفذ الوحيد الذي تركته كماشة الاعداء . . مع السلامة " .

المنفذ الوحيد ؟ يا الهي ، . لماذا لم يخبروني الا الآن ؟ وعادت السيارة ادراجها تئن وتزفر وتتلوى فوق الطريق الوعر ؛ . . .

وسرت في اوصال حياة رعدة شديدة شبيهة بتلك التي اعترتها وهي واقفة في مدرسة القرية قبل قليل تواجه التلميذات الصغيرات حينما احست بالقرية تميد من القصف، وحينما كانت البنات ينشدن :

بلادي بلادي فداك . . . . . .

وغصت حلوقهن الصغيرة بكلمة " دمي " كأنهن يشرقن بها ، واستمر النشيد يتحشرج وهب . . . ت . . . . حـ . . . يا ؛ ؛ تي فدى . . . فا . . سـ . . . لـ . . . مي تنبعث مقاطعة مبعثرة كالاشلاء من هذا الفهود الكاسر . . واغلقت الحناجر المغردة تكاد لا تقوى حتى على ابتلاع الريق . . . وشخصت عيون الطفولة البراقة المحملقة الى المعلمة . . . متشبثة بها كالغريق . . تسأل عما عساهن يفعلن . ؛ ؛ ؛

وتهدج صوتها وهي تقول : لا تتحركن . . كل واحدة في محلها . . . .

ووقع بصرها عليهن تماثيل للخشوع المشوب بالذعر الساذج متسربلات زيهن المدرسي المخطط ابيض وازرق . . وحانت من حياة التفاتة الى دفاترهن واذا بها ايضا مخططة بأبيض وازرق وقد تخللها الحبر الاحمر اعلمته يدها فيها تصليحا . . فسرت في جسدها قشعريرة مثلجة . . . " بلادي بلادي . . فداك دمي . . دمي . . . دمي . . . " ولم يعدها الى عالم الحس الخارجي الا صوت قعقعة السيارة العتيقة وتوقفها لاهثة في ساحة المدرسة .

أسرعي يا ست حياة ، . عليك ان تغادري القرية حالا . . . . " .

ولا بد ان المتكلم لمح في وجهها امارات الحيرة والتردد حين صاح :

" بأمر من عملية . . الـ ؛ ؛ . . القائد . . يجب ان " تروحي " . واحست برأسها يدور صوب المرايل المخططة ابيض وازرق . وسمندلها يرتفع الى عينيها يبحث عن الدمع فلا يجده وسمعت نفسها تقول . . . : وانتن ايضا . . هيا الى بيوتكن . . " .

وافلتت الصغيرات من مقاعدهن كتلا متراصة على الابواب مولولة مجنونة . . وانفرط عقد هن الا زينب الصغيرة ام العينين البراقتين الذكيتين . . أحست حياة بيدها الصغيرة تشد ثوبها شأن طفولتها كل يوم لتقول لها كأن شيئا لم يحدث : مع السلامة يا معلمتي . . ورأت حياة يدها تربت على شعر زينب الممشط المعقوص بشريط حريري ابيض بسيط . . " فداك دمي . . دمي . . دمي " . واسرعت الى السيارة تخفي نفسها عن الدنيا وتخفي الدنيا عن نفسها . .

على مفترق الطرق وقفت حياة . . فالطريق المؤدي الى المدينة مفتوح لها تستطيع ان تسلكه وتصل سليمة معافاة الى البيت حيث تنتظرها امها المقعدة التي فقدت كل معيل الا حياة وحيدتها . . أمها التي شيعتها صبيحة هذا اليوم . . شأنها كل يوم ، بالدعوات والصلوات والايات الكريمة تقرأها وهي تربت على رأسها تماما كما فعلت هي مع زينب اليوم قبل قليل . . . امها التي تؤمن ايمانا عميقا انها تشيد هذه الابتهالات بيدها التي تتحرك برفق فوق رأس ابنتها تشيدها سياجا يقي حياة شر كل اذى . .

وسرحت حياة الطرف من الطريق المشرف على المدينه في ابنيتها المتمطية شرقا وغربا كالعملاق المتثائب . . كأنها تستشف من وراء جدرانها واسوارها منظر امها طريحة الفراش تنتظر بصبر معهود عودة حياة الى البيت لتستقبلها بابتسامتها الصابرة الراضية . . ولكي تفرغ هي كل برها في قبلة عميقة تضعها على يد الأم الكسيح .

وأحست بالشواظ المنبعث عن القرية المضطرمة بلهيب المعركة يلفح ظهرها . . الشواظ الذى خرجت منه هي بأمر عطية الذى أطلق عليه رفيقة مترددا لقب القائد . . واضاءت وسط الحلكة المصطخبة في رأسها ابتسامة جنون لم تدر على وجه التحديد هل ارتسمت حركة على وجهها ام ومضة في غياهب نفسها . . كأنها به قد قال لصحبه الأبرار بوحي من الحمية العربية العميقة الجذور في تربة القرية " يا جماعة حياة فتاة من المدينة . . يقتضينا واجب الضيافة ان نعمل على انقاذها . . فاحملوها في السيارة الى الطريق الخلفي المؤدى الى المدينة . . وكأنها به يوصيهم ان لا يوحوا لها بالسر الرهيب كي لا يصيبها الذعر . . " اياكم ان تقولوا لها ان الطريق الوعر هو المنفذ الوحيد . . لان كماشة الاعداء تضيق الخناق على القرية من كل صوب وحدب . . وستنطبق عليها في اية لحظة . .

واحست حياة بوجيب قلبها يكاد يحطمه شطرين : شطرا يبعث به الى امها الحبيبة يخفف عنها هول معركتها مع الحياة . وشطرا يرسله الى القرية البعيدة ليمد لها يد العون في معركتها المستميتة ضد العدو الغاشم ، يا لقلب الام المعلق في صدر المرأة الكسيح . . ويا لهذه الخلجات العجيبة تحبس بها حياة في قلبها هي ايضا تضج في اعماق كيانها فتهزه هزا . . حين تعود الى مخيلتها المرابيل المخططة أبيض وأزرق والعيون المذعورة المتعلقة بها .

وحين يدغدغ راحتها ملمس رأس زينب ام العينين الذكيتين . . " مع السلامة يا معلمتي " "فداك . . دمي . . دمي . . دمي . . " وسمعت حياة رجع اصداء بعيدة الاغوار تتردد في جنبات اعماقها : " انتن ايضا بناتي " واستشعرت فيضا من الحنان يغمر قلبها ويجرفها كلها في لجاته كأنها تسبح في خضم مسحور .

وتحركت قدماها ميممة شطر السعير المتأجج تحس بالمدينة الكبيرة خلفها قد القيت برمتها على كاهلها ايضا . . وسارت تحمل عبئها الثقيل وقلبها المفعم " فداك دمي . . دمي . . دمي . . " .

ووسط ازيز الرصاص وزئير القنابل زحفت حياة تخترق الأوار . . ما هذا الذى يقع بصرها عليه في زقاق من ازقة القرية مبعثرا في جنبات الطريق ؟ انه المرايل المخططة ابيض وازرق هامدة لا حراك فيها . . وسرت في جسد حياة تلك القشعريرة التي اعترتها داخل مدرسة القرية وعند مفترق الطريق . . ومن هذه البنية الممزقة على مقربة من حياة ؟ انها الصغيرة زينب ام العينين البراقتين الذكيتين . . ان العينين لا تزالان براقتين ولكنه بريق الزجاج . . ومريول المدرسة المخطط ازرق وابيض يزدانيا قانيا كأنه اسطر دفترها الملقى الى جانبها وقد تخللها الحبر الاحمر . . والشريط الحريري الابيض الناصع قد غدا احمرا قانيا . ومدت حياة يدا وجلة الى رسغ زينب تتحسس النبض فلا تجده . وطبعت على اليد الصغيرة قبلة افرغت فيها كل احاسيس الامومة " مع السلامة يا معلمتي . . " ومضت في سبيلها صوب الخطوط الامامية .

وهناك وقع بصرها على ما كان يدور من صراع : كان اهل القرية قد حفروا خندقا عميقا طويلا واقاموا وراءه التحكيمات من البيوت واكياس الرمل . وكان العدو يحاول جاهدا ان يسد الثغرة او يلقي جسرا تعبر عليه دباباته وما ان يترجلوا حتى يسمع ازيز رشاش من القرية يحصدهم حصدا فيفرغون جام حقدهم على القرية يقصفونها بالقنابل . .

والتقت اعينهما لقاء سريعا وقع بصر حياة فيه على بندقيته وصاح في وجهها :

- ما الذى اتى بك ثانية يا ست حياة ؟

- من عاشر القوم اربعين يوما صار منهم يا عطية .

والتقت اعينهما لقاء سريعا وقع بصر حياة فيه على وجهة الاسمر الصلب ينطق بالعزيمة والاستماتة . . . .

ولكن ما الفائدة ؟

- استطيع ان اسعف الجرحى . . احمل اليكم الماء والطعام . . اى شيء .

- خذها اذن الى الشيخ سلمان فهو جريح . .

وفتح الشيخ سلمان عينيه فعرف حياة وبادر الى سؤالها بكلمات متقطعة عن ابنته زينب وهل وصلت سالمة الى البيت فلمأنته ، ونظر اليها نظرة مذعورة وقال : " ولكنني افضل لها ان

تموت على ان .. " وفارق الحياة ..

واستدعيت حياة على عجل لتسعف جريحا آخر فاقتيدت الى سطح احد المنازل وقد نصب عليه مدفع " بسرن " خرجت فوهته صامتة من بين اكياس الرمل . والى جانبه شاب . انه " محيسن " ابن الشيخ سلمان واخو زينب . ؛ وكان يعاني حشرجات النزع الاخير ويهذي مرددا : الذخيرة .. الذخيرة .. هل وصلت .. ؛ قبل ان يسلم الروح . وحانت من حياة التفاتة الى المدفع الحزين وقد خلت الصناديق المجاورة له من اية ذخيرة . وسمعت صوتا يقول :

- انه الرشاش الوحيد في القرية .. وهو الذى استطاع ان يمنع الاعداء من اقامة جسر فوق الهوة التي حفرناها في الطريق لكي لا تعبر عنه دباباته ومصفحاته .

ثم سمعت الدباب " تزأر هديرها المنتصر . وكانت الشمس ترسل الى القرية شعاعا اخيرا ما لبث أن خبا خلف القرية في قبضة ظلام يزحف إلى قلبها وئيدا لا يلتمع فيه الا وميض انصال السونكي تتحرك مجنونة باحثة في كل مكان كأنها الاقلام العطشى تسجل الهول على حلكة الليل بأسطر حمراء ؛ ؛ ؛

التحليـــل :

تصور القصة السابقة طرفا من جهاد الشعب الفلسطيني ضد الغزو الصهيوني للديار المقدسة . وقد جرت احداث هذه القصة في دير ياسين ، حيث قامت العصابات الصهيونية بجريمتها ، فلم تفرق بين الطفل والشيخ كما لم تفرق بين الرجل والمرأة . ولكن حياة بلابسي - وهي بطلة هذة القصة - تقوم بدورها في هذه المعركة حتى تستشهد ، وتسقط القرية بعد المجزرة الرهيبة في يد الاعداء .

اتقن الكاتب عملية الامتزاج بين مضمونه الايديولوجي وبين الشكل الفني . والكاتب يحسن اختيار افكاره التي يتخذها اساسا لبناء عمله الفني ، وكانت عملية البناء تتم وتظهر فيها عوامل النمو والتطور والتغيير التي تدفع الحياة الى الامام .

والكاتب يختار شخوصة القصصية من بين جماهير الناس ، اذ يجعل من الشهيدة حياة بلابسي بطلة القصة .

فحياة بلابسي تقاوم العدو الجشع بكل ما اوتيت من قوة ضاربة المثل الاعلى في النضال والتضحية

أما شخوص القصة فنرى الكاتب يختار شخوص القصة من البيئة فهناك شيوخ ونساء واطفال . العدو لا يرحم يقتل الاطفال الصغار ، ويعذب الشيوخ الكبار ولا يرحم شيخوختهم .

ويتمادى العدو في عمله الاجرامي منتهكا حرمة البشرية عندما يغتصبون النساء الحوامل ، هدفه من ذلك نشر الفزع والرهبة في نفوس الناس كي يحملهم على مفارقة ديارهم .

الباب الرابع

الفصل الثاني

المرحلة الثانية من مراحل تطور القصة القصيرة في الأردن

الفصل الثاني

تمهيد :

عرفت الحركة الادبية الشابة التي ظهرت بذورها في مطلع الستينات، على صفحات مجلة " الافق الجديد " (١) وتبلورت بعد الخامس من حزيران على صفحات الجرائد والمجلات المحلية كالرأى والدستور وعمان المساء والصباح واخبار الاسبوع وأفكار، (٢) جميع الوان الفنون النثرية، ولكن القصة القصيرة، كانت ابرزها، ربما، لانها اتخذت شكلا ناضجا يكاد يوازى ترابه في الوطن العربي، فعرفت القصة القصيرة، جميع تيارات القصة العالمية، من رومانسية تمعن في المثالية والذاتية الى واقعية مثقلة بالموضوعات العامة الى نفسية تمعن بتقصي النفس البشرية وتحليلها، وتصويرها ؛ الى سريالية تتجاوز الواقع لتحيا التوتر الشفاف الذى يفصل بين منتهى الالزام العقائدي المتعسف وبين منتهى الالزام الانساني المنبثق من خلال التجربة والمعاناة " ... وقد ظهرت مجموعات قصصية لقاصين شباب، جعلت من ملامح تلك التيارات أو المدارس ميدانا لها ؛

المذاهب الادبية : " التيارات الأدبية لأدب هذه الفترة "

الواقعية الوثائقية :

يعتبر النقاد الواقعية الوثائقية من أبرز التيارات القصصية الموجودة لدينا، وقد ظهرت بذور هذا التيار اول ما ظهرت، على صفحات مجلة " الافق الجديد " ممثلة بقصص " محمود شقير " " صبحي شحروري " و (نمر سرحان) . والاخير " يعمد على النقل الفوتوغرافي في رسم شخوصه واجواء قصصه، ويمعن في الحوار العامي، وقد يصطنع الرمز البسيط، الا انه لا يرتفع كثيرا الى المستوى المنشود في امثال هذا النوع من القصص " (٣) ... ، وقد بلور كل ذلك في قصصه المتلاحقة، المنشورة في الافق الجديد " كأشباح من الماضي " . (٤) " الرمل " (٥) " بداية الرواية " (٦) " البيت الاخير " (٧) وان كنت شخصيا لا

---

١) صدرت عن جريدة المنار المقدسية اواخر عام ١٩٦١ . تولى جمعة حماد رئاسة تحريرها ثم عهد بالرئاسة الى امين شنار ... ، واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٦٥ .

٢) صدر العدد الاول منها في حزيران عام ١٩٦٦ ولا تزال تصدر حتى الان كمجلة فصلية .

٣) ثقافتنا في خمسين عاما / محمود سيف الدين الايراني / ص ١٥٤ .

٤) نشرت في العدد الثالث عشر من السنة الاولى لعام ١٩٦١ / ص ٢٦ .

٥) نشرت في العدد السابع عشر من السنة الاولى لعام ١٩٦١ / ص ١١ .

٦) نشرت في العدد الثالث والعشرين من السنة الثانية لعام ١٩٦٢ / ص ٢١ .

٧) نشرت في العدد الثاني من السنة الثانية لعام ١٩٦٢ / ص ١٢ .

أومن يوجود مثل هذه المدرسة في الادب الواقعي الا ان " خليل السواحري " قد اصر على وجود مثل هذا التيار (١) الذي يقوم على التسجيل الوثائقي دونما اكتراث بعناصر القصة الواقعية وتكتيكها الحديث ، فتراه يفتعل الحدث في اكثر قصصه " (٢) وقد بلور القاص تيارة هذا في مجموعة قصصية مشتركة عرفت باسم " ثلاثة اصوات " (٣) حيث اشترك باربع قصص قصيرة هي على التوالي " اللعبة الاخيرة " ، " اعلان براءة " ، " نفس تمباك " و " التحديق في المرآة " . . والقارئ الفطن لهذه القصص يدرك بسهولة ان بين صاحب هذه القصص وبين الفن القصصي مرحلة تحتاج الى جهد مستمر وعمل دائم ، وذلك ان هذه المجموعة قد انزلقت في تيار التخاذل والارتماء الذي وجد له طريقا الى ساحتنا الادبية العربية عن طريق الفهم الساذج لعملية البناء الفني ، خاصة تلك التي تتعلق بالادب الواقعي . . . ، فعلى صعيد الشكل ، لم يتمكن القاص من الخروج بقصصه عن اسلوب الحكاية العادية التي لا تتمتع باي من عناصر القصة الحديثة ، وقد اعتمد في سرده الساذج على عشرات السباب والشتائم ، فانت تستطيع ان تحصي في قصتة الاولى " اللعبة الاخيرة " ما يزيد عن ثلاثين شتيمة تدخل الى النفس الاشمئزاز والتقزز ، ولا تضيف الى هو القصة شيئا ، فاذا ما علمنا بان القصة تلك لا تتجاوز الصفحات الخمس من القطع الصغير ، عرفنا مدى الصبر والجلد الذي يجب على القارئ ان يتحلى به ، خلال قراءاته ، واليك نماذج من ذلك السباب والشتائم : (٤) " ملعون وجه والدك ، يا امرأة الناس تسبح ولسانك يكنس المزابل . . . " ، " ان شاء الله طرش يلخمك " . . " والله ان لم تخرسي يا امرأة لاكسر رقبتك والمن اجدادك " ، " هذه المرأة اللعينة كالبومة العاقر " ، " الله يلعن كل من فلس من اهلك " . . . ، " ملعون ابوها قتلها البطر " . . " وانت يا سقيطة نسيت يوم نامت اختك في بقشاة البطيخ مع فلان " . . . ، " ان حسن افندي واحد منحط " . . . ، " هذه العاهرة لا تحلم مثل هذا " . . . ، " ولكن ما يدريني ان حسن افندي ابن كلب " . . . ، على ان الشتائم هذه - والحق - تنسجم مع تفاهة القصة او الحكاية ولا واقعيتها ، ذلك انها تدور حول امرأة قروية ، فلسطينية تخون زوجها ، بموافقة ومعرفة سابقة منه .

. . وعنصر " الخيانة " يسيطر على مضامين قصصه جميعها ، فمن الخيانة الزوجية في قصتة

---

١) وذلك في عدة مناسبات منها . رسالة خاصة بعثها القاص الى جريدة عمان المساء .
٢) محمود سيف الدين الايراني - ثقافتنا في خمسين عاما ، ص ١٥٤ .
٣) صدرت في عمان عام ١٩٧٢ ، واشترك فيها معه بدر عبد الحق ، فخري قعوار .
٤) جميعها من قصة " اللعبة " الاخيرة ثلاثة اصوات من ص ٧-١٦ .

السابقة الى الخيانة الوطنية في قصة لاحقة عرفت باسم " مقهى الباشورة " (١) ، اذ تأخذ تلك القصة شريحة صغيرة ، سالبة ، متخاذلة ، من الناس ، تعيش في " حي الباشورة " ، وقد ارتمت في احضان الاحتلال ، وملخص القصة ان المعلم " ابو بلطة " صاحب المقهى ، قد جعل من مقهاه بؤرة تتجمع فيها شلة منحلة من الزبائن اليهود ، وبعد فترة ، يقع المعلم فريسة لضرائب البلدية ، فيطلب المشورة من اهل الحارة ، فيقترح عليه الجميع ، المساهمة مع غيره من اصحاب المحال التجارية في تنظيم احتجاج على شكل اضراب ، ولكن المعلم - كما يريده القاص - يرفض هذا الحل ، ويجد في التعامل مع اليهود وبيع الحشيش لهم ، وتأمين راحتهم حلا افضل وينهي الكاتب قصته بقوله : " وشربوا القهوة على حسابه وتمازحوا وتضاحكوا وضرب المعلم الفتاة على فخذيها وحين غادروا المقهى كان ابو بلطة يودعهم عند الباب ، ففدا سوف يدفع للبلدية الثلاثة آلاف ليرة بأكملها ، وسوف يسهر معهم ومع فتاتهم سهرة رائعة ، وحين كان المعلم يستلقي في فراشه مرتاحا ، كانت زوجته تنظر اليه بدهشة ، وتسأله ان كان قد نسي ان عليه ان يدفع ضريبة البلدية فقال لهم : ايام الجدعنة راحت ، متى تفهمين يا امرأة معنى المراجل " (٢) . . . والمدهش في القصة هذه ، ان التخاذل والتعامل لا يقتصر على المعلم صاحب المقهى وانما يمتد الى معظم سكان الحي ، واليك نموذجا لما كانت تقوله زوجة المعلم " ايام الجدعنة راحت يا معلم ، اليهود خبطوا على رقابنا وكسروا جيوشنا ، اليوم تغيرت الاحوال ، خرجوا والا عمرهم ما خرجوا " (٣) .

. . . رائحة التخاذل هذه تشملها قصص الكاتب جميعها ، ففي قصته (نفس التنهاك) (٤) يقول سلمان معقبا على ما قالته احداهن بشأن ما فعله اليهود بطلاب المدارس الذين وضعوا في السجن :-

- : - " يا امرأة لا تكوني عبيطة الى هذا الحد ، أنا أعرف اليهود من زمان من قبل الثمانية واربعين ، اليهود مثل الحية لا يلدغون إلا من اعتدى عليهم " مررا بذلك على لسان بطله

---

١) نشرت في مجلة افكار الاردنية في العدد السابع عشر لعام ١٩٧٣ م . / ص ٨٣ ، والباشورة احد اسواق القدس القديمة ، تباع فيه الخردوات والملابس القديمة .

٢) مقهى الباشورة / افكار / العدد السابع عشر / ص ٩٠ .

٣) مقهى الباشورة / افكار / العدد السابع عشر / ص ٨٥ .

٤) ثلاثة اصوات / ص ٢٩ .

موقف اليهود من الاعتقالات المستمرة لطلبة المدارس في الضفة الغربية والمنطقة المحتلة ، واليك تكملة للحوار :-

-: وهل تظن يا سلمان إن اولاد المدارس قد اعتدوا على الجيش حتى اخذهم الى السجن؟

-: طلاب المدارس زعران ويتدخلون في السياسة .

مختارات من قصة خليل السواحرى (١)

" نفس التنباك " .. مختارات قصصية للواقعية الوثائقية

ابتسمت حليمة بحزن ونكست رأسها ثم تلفظت بصوت مسموع :

- من قتل نفسه بيديه لا احد يبكي عليه .

منذ الصباح الباكر وهذه العبارة تتردد على رأس لسانها ولكنها تظل حبيسة ، وحتى حين غابت الشمس هذا اليوم واحست بان رجليها قد سقطتا من الوقوف وراء الجبال والتطلع الى الطريق كانت بعض الشكوك الدامية تراودها في قضية تأخر سلمان كل هذه المدة ، وحين قالت لها سعدية اثناء تناولهما الطعام الغداء . ما يدريك ان ابي يتلوى الان في السجن؟ زعقت في وجه ابنتها بانفعال ، بلاء يأكل لسانك الوسخ ، يا بنت فال الله ولا فالك فانكسفت سعدية وتوقفت اللقمة في بلعومها وانقطعت انفاسها . وواصلت حليمة سيل شتائمها .

- لسانك الطويل لا ينطلق الا بسوء .

قالت سعدية وهي تبلع ريقها :

- والله ما قصدت الا الخير يا امي ، ولا افكرك اين ذهب ابي

ردت حليمة بلهجة تعمدت ان تكون وعرة وفيها اعتداء سخيف:

- ابوك معزوم عند اصحابه الافندية .

- وهل لأبي اصحاب افندية من اهل القدس ؟

- نعم يا جاهلة ، لابيك اصحاب افندية من زمان ، يوم كان يبيع الحليب في المدينة .

وتنهدت حليمة بلوعة صادقة ، يا الله على تلك الايام يوم كان سلمان يركب الحمارة الخضراء ويضع في الخرج عيارين حليب ، وكان يعود قبل الظهر ، لان صاحبه احمد صدقي كان يشترى كل الحليب دفعة واحدة ، وكان الخير علينا مثل المطر وكنا في الف نعمة .

قالت سعدية وهي تحدث في امها ببلاهة واستغراب . وهل تظنين ان ابي قد نام الليلة الماضية عند احمد صدقي ، قالت حليمة :

---

(١) خليل السواحرى : من مواليد السواحرة عام ١٩٤٠ م أنهى دراسته الثانوية والجامعية ، يعمل في الصحافة ، صدر له مجموعة قصصية بعنوان " مقهى الباشورة " .

- احمد صدقي مات من زمان ، ربما نام ابوك عند صديقة الكندرجي .

وزغرد تفرحة صغيرة في عيني سعدية . ان شاء الله يكون قد نام عندة .

ويحضر لي معة مشاية جديدة ، وقهقهت حليمة مشاية حديد

قالت سعدية باستغراب . وهل هناك احذية حديد يا امي .

وضحكت حليمة وهي تتصنع الكبرياء والرزانة . ليس هناك احذية حديد يا ابنتي ، ولكن ابـاك ذهب ذات يوم الى صاحبة الكندرجي وطلب ان يصنع له حذاء من الحديد .

- وهل صنـع ؟

- لا ، لقد ضحك منه الكندرجي ومنذ ذلك اليوم واهل البلد يتندرون على سلمان . قائلـين أين بسطار الحديد يا سلمان الهرش ؟

وانقطع الحديث مرة واحدة وبدت هذه الدعابة نكتة قديمة سئمت حليمة تكرارها بالاضافة الـى انها جاءت هذه المرة في غير موضعها ، ومن جديد امتلأ وجه حليمة بالتجهم ، فسلمان لم ينم خارج البيت طيلة حياته وهو بالتأكيد لن ينام عند اى كان في مثل هذه الظروف . فحـتى المختار الذى كان لا يؤويه بيته ليلة واحدة في الشهر اصبح بعد الاحتلال لا يجرؤ ان يفارق بيته بعد صلاة العشاء .

ورغم كل النوايا الحسنة التي حاولت ان تجعل منها مبررات لعدم عود سلمان الى البيـت فقد غلب عليها هي نفسها الفال الماطل وراحت تتكلم مع نفسها بصوت مسموع .

من قتل نفسه بيدية لا أحد يبكي عليه . فمنذ اكثر من شهرين وجلد سلمان يقرصه وهاجـس شرير يلح عليه في زيارة القدس حتى يتبرك برؤية الصخرة والحرم ويتجلى على نفس تنهاك فـي مقهى الباشورة . وحين كانت حليمة تحاول ان تبعد عنه هذه النوايا المغامرة كان يرشوها قائلا :

- يا امرأة والله لقد اشتهي الواحد ان يشم رائحة الكباب المشوى ، دعيني أذهب الى المدينة واقسم انني ساحضر لكم سفود بن كباب في رغيف من خبز الفرن ورغم ان ريق حليمة كان يتحلـب عندما تسمع الكباب الا انها كانت تظل على اصرارها في منعـه من الذهـاب الى القـدس وتقـول :

- كل همك ان تجمعي على نفس تنهـاك .

- والله يا امرأة انني مشتاق لرؤيـة القدس .

- يا سلام عليك ، نسيت ان اليهود يجمعون الناس من الشوارع نسيت ما قاله على الفار يـوم ذهب الى القدس قبل شهرين وقال ان الجنود الاسرائيليين يتجولون في الشوارع بالمدافـع ونسيت ماقالـه المختار من انهم اخذوا اولاد المدارس في السيارات الى السجن .

قال سلمان :

ـ يا امرأة لا تكوني عبيطة إلى هذا الحد ، انا اعرف اليهود من زمان من قبل الثمانينات والاربعين ، اليهود مثل الحية لا يلدغون الا من اعتدى عليهم . . .

ـ وهل تظن يا سلمان إن اولاد المدارس قد اعتدوا على الجيش حتى اخذوهم الى السجن ؟ .

ـ طلاب المدارس جماعة زعران ويتدخلون في السياسة .

والحقيقة ان حليمة وجدت نفسها عاجزة عن رد هذه الحجة فهي لا تفهم ما هي السياسة وما معنى التدخل بها ، وهي قد سمعت بنفسها المختار يتحدث عن ذلك لعلي الفار ويقول ان طلاب المدارس يتدخلون في السياسة وطاف بذهنها تصور شبه معقول تخيلت فيه ان السياسة قصر كبير محاط بالخدم والحراس ومحظور دخوله على عامة الناس وتمنت لو كان بامكانها ان تذهب الى القدس لترى هذه السياسة وكيف يتدخل بها الطلاب ولم تلبث ان قالت لسلمان :

ـ هل رأيت السياسة يا سلمان ؟

قال سلمان بابهة وغرور

ـ يا امرأة السياسة حكم البلاد يعني الحكومة ، ونحن ما لنا وما للحكومة واخيرا اقتنعت بضرورة ذهاب سلمان الى المدينة إلا انها منعته من ركوب الحمار قائلة :

اترك الحمار لعل وعسى . . . .

فقال سلمان :

ـ لا داعي لاخذ الحمار ولكن لا تتركيه مربوطا ودعي سعدية تخرج به الى الخلاء .

وحين كان سلمان يغادر البيت كانت حليمة تودعه .

ـ لا تتأخر يا سلمان فالحالة خطرة والواحد لا يعرف ماذا يحدث .

ولكن سلمان تأخر ومر اول يوم وثاني يوم وسلمان لم يعد على غير عادته ، وحليمة بدأت منذ عصر هذا اليوم تتحسب من كل قلبها عما يكون قد حدث لسلمان يمكن ان اليهود حبسوه ، ويمكن انهم قتلوه من يدري وكان يعتريها احيانا غضب شديد على سلمان لانه لم يسمع كلامها ولانه ظل يتحلم بالذهاب الى القدس ويلوب في حارات القرية مثل الدجاجة التي تريد ان تبيض ولم ينجبر خاطره الا ليلة ان هم بالذهاب الى القدس .

ورددت حليمة عبارتها المشهورة . قاتل نفسه بيديه لا أحد يبكي عليه .

وقالتها هذه المرة على مسمع من سعدية وحين همت سعدية ان تسأل امها عن مغزى هذا الكلام كان سلمان يدفع الباب ويدخل البيت يرتمي على الارض بدون كلام او سلام ، وصرخت

حليمة بلهجة فرح متهدجة يشوبها الخوف جئت يا سلمان ....

كفي الله الشـــر

وتطلع سلمان ثم قال بتوجـــع

ـ آه لو تدرين ماذا يحدث يا حليمة لقد وقعت في ستين داهية ، اليهود ملاعين اهلكـــوا بدني . وماذا عملت هل تدخلت في السياسة يا سلمان ؟

ـ ملعون ابو السياسة وابو اهلها ، طول عمرنا نمشي الحيط ونقول يا رب الستر ولكن مع اسرائيـل ما في ســتر .

ـ كيف وانت تقول ان اليهود مثل الحية لا يلدغون الا من يلدغهم .

ـ الدنيا اختلفت اليوم اسرائيل قعدت فوقنا ولعنت ابانا وتريد ان تمنعنا من الذهاب الـى القدس.

ـ وهل ممنوك من الذهاب الى القدس.

وفي هذه اللحظة كان المختار ومحمد الازعر وعلى الغار يدخلون البيت وصاح المختار باعلـى صوتـــه .

لقد عدت اخيرا يا سلمان ، اين كل هذه الغيبة أظن انك شربت عشرين نفس تمـــاك واردف محمد الازعر قائلا :- يا عمي سلمان الهرش صار شميم هواء ، ينام في القدس ، ويأكل في المطاعم ويدخن الاركيلة في الليل .

وقال على الغار :- والله انا خائف انه قد نام في بيت خالتـــه .

كان سلمان اثناء ذلك قد سلم عليهم وجلسوا وهم يتطلعون في وجه سلمان حيث البقع الـــزرق حول عينية والكدمات في وجهة ، قال المختـــار :

ـ يظهر انك قد عملت طوشة وحبسوك .

قالت حليمة : اليهود ذبحوه اهلكو بدنـــه .

قال محمد الازعر : لا بد انه قد تدخل في السياسة .

قال المختار : اسرائيل بلاء مقنطر ومن يتدخل في السياسة يحرقون انفاسه .

قال سلمان : يا جماعة ، اتقوا الله ، هل الذى يذهب الى القدس يتدخل في السياسة ؟

قال المختار : هاي ، هاي ، والله يا عمي صار ابو بسطار حديد يفهم في السياسة . يا سلمان وحد ربك . نحن جماعة كل همنا ان نعيش . ما لنا وما للبلاد ومن يحكمها .

قال سلمان الهرش في انفعال وحدة . يا رجل الا تستحي ان تقل هذا الكلام ؟

والا لان اسرائيل تدفع لك مائة ليرة ثمن مخترة .

ورد علية المختار بغضب وشتيمـــه

ـ صرت يا مصدى ولعنيا في يوم وليلة وصرت تحكي في السياسة .

- معلوم لقد صرت وطنيا ويجب إن أصبر يا رجل ليلة ويوم وأنا تحت الضرب في السجن بدون ذنب.

قال محمد الازعر وهو يضحك - إظن ان السجن والضرب كان فقط لله تعالى

قال سلمان : كل ما حدث إنني بعد صلاة الجمعة خرجت مع الناس من الحرم وكنت اقصد مقهى الباشورة ...

وقاطعه محمد الازعر قائلا :-

والا يا عمي حتى تشرب نفس تنباك

وتابع سلمان : وفي الطريق القي احد الناس اوراق مطبوعة ملأت الاسواق فقلت لنفسي سآخذ ورقة نقرأها في القرية ونرى ماذا فيها .

وما كدت اضع الورقة في جيبي حتى رأيت الشرطة تفتش الناس وتسوقهم الى السيارات. واخذوني الى السجن هناك واهلكوا بدني وقالوا انني اوزع المنشورات .

قال المختار: يارجل الله يهديك ولماذا تأخذ الورقة الا تدري ان هذه الاوراق منشورات ؟

قال سلمان : افرض انها منشورات هل يستحق رجل مثلي لا يعرف القراءة والكتابة كل هذا الضرب والسجن لانه يحمل منشورا ثم انهم هم الذين جاءوا الى القدس ولسنا نحن الذين اخذنا بلادهم .

قال المختار بسخرية :

- مستقبلك ان تصبح زعيما وطنيا لكن يا خسارة لوانك تستطيع ان تلبس بسطار حديد.

قال سلمان : والله يا مختار ان اشكالك حرام ان يعيشوا يا رجل اذهب الى القدس وانظر الى السجون المليئة بالناس.

وحين احضرت حليمة الشاي كان المختار يتحدث عن ايام العز حين كان يفطر ويتغدى ويتعشى على المناسف مع الفرسان وينام ستة ايام في الاسبوع عند اجاويد القرية.

اما علي الفار ومحمد الازعر فقد كانا ساهمين يفكران في اللهجة الجديدة، التي بدأت بها سلمان حديثه . واما حليمة فقد ادركت لاول مرة ان اولاد المدارس ليسوا زعرانا كما يقول المختار .

الواقعيـــة الفنيـــة :

تقوم الواقعية الفنية على اساس من اختيار الصورة وتلوينها وفق أطر من الالتزام الكامل الواعـــي ، ويقدر المتتبع اليقظ لهذا اللون ان يلمس توجهاته في نتاج بعض الادباء الشباب مثـل أنـــور ابو مغلـــي (١) و" يوسف الغزو " (٢) و" خليل قنديل " (٣) ولكن توجهاتهم هذه لا تأخذ شكلا متكاملا ، ملتزما كالذي نجده عند " فخري قعوار " (٤) ، رأس هذا التيار وفـــق قعوار في قصصة المتواجدة في مجموعته المشتركة " ثلاثة اصوات " ، في بلورة هذا التيار ، فهـو لا يكتفي بقص ما حدث ، بل يتابع الصورة فيقص ما يجب ان يحدث ، وصور قعوار المتواجدة فـــي مجموعته تلك ، صورا ملتزمة تنم عن وعي واضح لعملية البناء القصصي ، فقارئ قصصه يلمس بسهولة ويسر واقع مجتمعه ، مصورا عبر هاية معينة ، اجتزأها الكاتب من صورة كبيرة ، واعمل فيها فنـــه وذوقـــه ، فزاد في حجمها وبلورتها ، ووضع لها اطارا خاصا يتميز في شكل ابدعت زركشتـــــه ومضمون جهده في بنائه ، على ان تركيزه الشديد على دور العامل الاقتصادي يقتل في بعض الاحيان ميزة التنامي الواقعي في قصصة ، فهو ، مثلا ، في قصة " المشي بهدوء في الطين (٥) انما ينقل صورة ناتج رغب في تغيير واقعه الى واقع اقتصادي افضل عن طريق اقامة مقهـــى ،

---

١) أنظر قصصه : * ابنة ذوات / عمان المساء / ٢٤/٣/١٩٧٣م .
* جذار من لوسي / عمان المساء / ١٢/٤/١٩٧٤م .
* فرحة العيد / رسالة الطالب / العدد الاول / ١٩٧٢ / السنة العاشرة .

٢) أنظر قصصة : * غصن الزيتون / عمان المساء / العدد ٦٣٩ ، ٥/٨/١٩٧٤م .
* المشروع الكبير / افكار / العدد ٢١ ، ص ١٠٠ .
* اكره الشمس واجها / الوان من القصة الاردنية / ص ٣٩٧ .

) في الثلاثين من عمره بدء يكتب القصة القصيرة منذ ان كان طالبا في المرحلة الثانوية ، ونشر بعضا من قصصه في تلك الفترة في مجلة "الرقيب" ومجلة" الاثنين" ثم واصل كتابته في "الاديب" و"الافق الجديد" ، " المنار " ، " الجهاد " ، " فلسطين " ، " القدس " ، " عمان المساء " ، "مجلة القصص القاهرية" ، " مجلة الاداب " ، " صوت الجيل " ، " افكار " ، ويقول الايراني فيه (فخري قعوار نو موهبه قصصية ولا ريب وهو يحاول ان يضع المدينة او جانب مـــن المدينة في اطار قصصي ويحاول ان يصل في التحليل النفسي الى الحد المرضي ، غير ان امامه شوط طويل لكي يصل الى درجة الاجادة / ثقافتنا في خمسين عاما / ص ٢٥٥ .

) أنظر قصصه : * الجـــوع / الرأي / ١٦/٨/١٩٧٤م .
* اوراق وجدت بدون توقيع / عمان المساء / العدد ٦٢٩ ، ٢٧/٥/٧٤ .
* ليلة الجمعة / الدستور / العدد ٢٤١٣ ، ١٥/٤/١٩٧٤ / ص : ٥ .

٥) ثلاثـــة اصوات / ص ٨١ .

وبزوال المقهى - في نهاية القصة - تزول استكانته لتتحول الى ثورة وتمرد ، فكان الهم الاقتصادي السبب الرئيسي الذي قام عليه معمار هذه القصة دونما اكتراث بالهموم الاخرى التي تلح على الانسان العربي المعاصر ، " وتبقى واقعية فخري قعوار واقعية التدليل والاشارة دونما غوص او محاولة للغوص، فهو اشبه برجل يقف أمام بركة ، يراقب صراع الاسماك فيها ويتتبع حولات الموقف، ويكتفي باكتشاف الخطر والاشارة اليه ، وقد امتلك الكاتب - لا شك - وسائل الفنان وادواته ، فبالاضافة الى موهبته الخاصة ، يقف تكوينه الثقافي والحياتي جنبا الى جنب ، الالتقاط الصورة والبلورة والصقل ، وابرز كل ذلك ، ضمن لغة ليست بالفصحى ولا بالعامية ، وانما كحد وسط بين الفصحى والعامية " (١)

وقد اصدر "فخري قعوار" مجموعة قصصية جديدة بعنوان " لماذا بكت سوزي كثيرا" (٢) اثارت جدلا كبيرا في الساحة الادبية الاردنية ، وتباينت الآراء فيها ، (٣) ، وقال قصة " الرجال يمرون من هنا " من اكثر قصص المجموعة جودة وفنية ، اذ نقل الكاتب معاناة اهل قرية بكاملها ، ممثلة بشخص رائد " نقلا صادقا ، الامر الذى جعل نهايتها ثورة رائد - نهاية حتمية مترجمة بذلك فلسفة الواقعيين القائلة : " ان القوى المنتجة وعلاقات الانتاج والتطورات الاقتصادية هي التي يتكون منها بنيان المجتمع السفلي الذى يقوم على اساسه الصرح الضخم للبنيان العلوى المكون من المثل الفكرى فالمؤسسات السياسية والقانونية والاخلاق والاداب والفنون ، تعكس فيما تشرعه لنفسها من نظم وما تتخذ من قرارات ، وما تبدعه من انتاج ظواهر الاقتصاد التي يستند اليها المجتمع (٤) على ان المجموعة تلك ، تحوى الى جانب تلك القصة قصصا اخرى ، لا تصل جودة القصص السابقة كقصته " مغارة السنديانة " (٥) وهي مقتبسة " عن حكاية عجائزية قديمة طالما سمعناها من جدودنا ضمن احاديثهم واسمارهم عن المسكونة" الجن" و " الكف الاسود " وقد حاول قعوار ان يأخذ هذه الحكاية القديمة ويعيد صياغتها باسلوبه ، ضمن اطار من الوصف الواقعي لحياة قرية صغيرة ممثلة باشخاص سالم وربيعة والحاج سيف الدين وحمدان الناظور ، وهو في محاولته تلك قد اخفق وقد اعطى احد نقاد" الاسبوع العربي " تقييما مختصرا للمجموعة بكاملها ، حين قال : " تفاصيل كثيرة تقابلها في هذه المجموعة القصصية التي لا تضيف جديدا الى عالم القصص ، فالمواضيع مكررة وتعتمد على

---

١) رأي في قصة فخري قعوار / اسامة فوزى / الصباح / ٥/٣/١٩٧٣

٢) صدرت عن المطبعة الاردنية عام / ١٩٧٣ .

٣) انظر مقالة الكاتب في هذه المجموعة / الرأي ٥/٩/١٩٧٣ / ثم تعليق ميخائيل بقاعين على تلك المقالة ٢٤/٩/١٩٧٣

٤) الادب والفن في نمو الواقعية / جون فريفيل / ص ٥٠ .

٥) نشرها في العدد الرابع من صوت الجيل واعاد نشرها في مجموعته الاخيرة .

حوادث محلية والاسلوب يغرق في استطراد ممل احيانا ، لقد وضعت الواقعية مؤلف الكتاب على سطح الحياة دون إن تساعده على الغوص في الاعماق .

مختارات قصصية للواقعية الفنية :

المشي بهدوء في الطين
فخري قعوار (١)

منظر الغيوم الداكنة المتكاثفة في السماء ، والنسمة التشرينية الهادئة المشبعة بالرطوبة ، والصقيع القارس ، جعلت إحساسا مبهما لا يوحي بالطمأنينة ، يمر بخاطر عاكف ، ولكنه لا يكترث للامر كثيرا ، وعاد يصب السائل العنابي الساخن في اكواب الشاي الثلاثة التي امامه ، بمتعة غير فائقة ، ورفع كوبين بيديه وقدمهما للحاج درويش وابو اسكندر ، اللذين كانا يلعبان طاولة الزهر ، وقرر ان يمنح نفسه الكوب الثالث ، فوضع كرسي القش الصغير عند مدخل المقهى ، وجلس يرشف الشاي بتلذذ مستمتعا بشربه ساخنا والبخار يتصاعد منه ، تماما كتلذذه واستمتاعه بصوت نرجيلة الحاج درويش وهي تقرقر بين الفينة والاخرى (والحاج يحضر نرجيلته معه دائما) او بصوت حجارة الطاولة والزهر يقرقع بداخلها دونما صدى ، او بتخيل الشبان الاربعة الذين يلعبون البناكل ، مما يجعله يشعر بنشوة لا تحد ترقص في كل بوصة من جسمه فالزبائن لا ينقطعون عن مقهاه ، (مقهى النازحين) كما تقول القطعة الكرتونية التي الصقها على المدخل ، وبعد ان كانت امه تعتبر فكرته مجرد مغامرة نتيجتها الفشل المحتوم اقتنعت فجأة بصواب هذه الفكرة ، وعندما خطر بباله انشاء مقهى في المخيم ، شعر بفرحة غامرة تطفح من قلبه ، وضغط باصابعه على عينيه بكلتا يديه ، وتنفس بعمق وثقة (هكذا يفعل عندما يشعر بالسرور) واخبر والدته على الفور فاجابته مستفهمة :

- والنقود ؟ . .

فقال :

- بسيطة . .

فنظرت اليه باهتمام لا يذكر وقالت :

كيف بسيطة ؟

---

(١) فخري قعوار ، من مواليد مدينة المفرق ، سنة ١٩٤٤ أنهى دراسته الثانوية والجامعية يعمل في الصحافة ، اصدر مجموعته القصصية بعنوان " احزان كثيرة وثلاثة غزلان " .

نظر الى رأس حذائه المهترئ ، والذي فقد لونه الاصلي قائلا :

- عندنا اربع دجاجات .. نبيعها ..

فقالت مقاطعة ..

- ولكن ثمنها لا يكفي ..

- اعلم ذلك معك (عصليتان) ..

فدقت صدرها بعنف ، وبدت في عينيها شراسة مفاجئة ، وصرخت في وجهه بضراوة ..

- احذر من اعادة هذه الحكاية مرة اخرى .. انت تريدنا ان نبقى بلا ذخر .. و ..

وبركت في الارض وانفجرت بالبكاء ، فوقف اخوانه الصغار حولها ينظرون اليها بوجوه تفيض بلاهة ، وهمّ أحدهم أن يشاركها البكاء ، فضغط فمه وصرّ عينية ، حتى بدتا كخطين اسودين قصيرين على استقامة واحدة في وجهه الشاحب ، ولكنه لم يبك ، واكتفى بان تمخط بكم ثوبه وانصرف ، اما عاكف فقد تحسس شعيرات شاربه وانسحب باحتشام بالغ .

ولم يعد يهدأ له بال على الاطلاق وصار المقهى غاية ما يتمناه ، وقمة احلامه واستشار " وجهاء" المخيم (وعلى رأسهم الحاج درويش) فوافقوه الى أبعد الحدود لا سيما وان المخ من اوله الى آخره لا يوجد فيه مقهى واحد ، ولا اية وسيلة للتسلية ولكن ما فائدة الموافقة وهو عاجز عن ان ينفذ شيئا ؟ .. وفكر ان يقترض بضعة دنانير من الحاج ، الا انه عدل عن ذلك ، خشية ان يصل اليه المبلغ مقابل اشراكه في المقهى واستعرض مع نفسه كل الطرق التي قد توصله الى حلمه ، وكان يجد في بعضها احيانا حلولا معقولة ومجدية بشكل ما ، ولكن ما ان يتذكر قسمات وجه أمه المشحونة بالاصرار والعناد ، حتى يهبط تحت الصفر من جديد .

وفي ليلة تشرينية باردة ، بدأ الحلم يتحقق ، فقد كانت ام عاكف تسخن زيتا بملعقة كبيرة على فوهة بلورة القنديل ثم تفتح فم دجاجة مريضة وتسكب فيه الزيت بعد ان يفتر وبعد ان صبر في حلقها ملعقتين ، ربطتها من رجلها بطرف خيط وربطت طرفه الاخر بحجر ليس صغيرا وجلست في ركن الخيمة والصمت الحزين يكسو وجهها بالغضب ، ونهشها احد الصغار من كتفها يريد ان يأكل ، فتبعه اخوانه يصرخون فيها ، يريدون ان يأكلوا ايضا ، فتحايلت عليهم لينا موا ، لكنها فشلت فشلا غير محدود ، مما اضطرها لان تحكي لهم حكاية ، وبدأت بالسر وملامح وجهها قاسية وغير معبرة ، (كل هذا وعاكف مستلق في فراشه بصمت) ، وحكت لهم حكاية الرجل الذي قتله الانجليز رميا بالرصاص وبلا محاكمة ، لانه كان يحمل كمية من البنادق والذخيرة على بغله ليسلمها للثوار ، وعندما علم ابنه البكر عن مقتله ، حارب وقتل ايضا ... وعندما وصلت هذا الحد من الكلام صمتت صمتا عميقا جذورة في قاع قلبها ، وبكت وكان الصغ قد ناموا .. ولم يحتاج عاكف لكثير من الذكاء كي يعرف ان امه حدثت اخوانه عن جده وابيه

وفي الصباح التالي ، كانت الدجاجة ميته ، فأخذها الأولاد وراحوا يلعبون بها بعيدا ، وكان عاكف يفكر كيف يفتح موضوع المقهى من جديد مع امه عندما بادرته قائلة . . :

- عاكف . .

فاجاب على الفور . . :

- نعم . .

واخطر ان يصدق ما سمع ، حين بدت له (العصلتين بيد راعشة ، قائلة : خذهما ، وبعهما بعمان . . وسأبيع انا الدجاجات هنا . . ثم اضافت . . :

- احرى ان يغلبوك بالسعر .

خفق قلبه بحبور وضغط باصابعه على عينية بكلتا يديه ، وكاد ان يركض قفزا كالكلب صيد نحو الشارع العام الذاهب إلى عمان ، لكنه تريث قليلا وهمس لنفسه . . لقد اقنعها الجوع بصواب فكرتي . . . الجوع شيء بشيع . .

نقلة ماء باردة استقرت على رأس انفه ، فانتبه الى الارض الترابية الممتدة بين الخيام وصوف الصفيح المنتشرة في المخيم ، فكانت منطقة كوجه مجدور ، وسمع صوت نقرات الماء على صفيح المقهى ، فانتابه احساس يدعو للاهتمام ، الا انه فكر برهة واحدة ، فلم يجد ما يبرر امتعاضه وعاد يرتشف الشاى رشفات سريعة ، ثم شرب الثلث الاخير من الكوب دفعة واحدة .

نهض عاكف عن كرسي القش ، وازاحة برجله الى الداخل ووقف ينظر الى السقف ان كان الماء يتسرب منه (فهذه اول مرة تمطر السماء على مقهاه) فابتسم دون ان يشعر ، وحين وجد ان عمله متقن تماما ، فهو الذى ركب الواح الصفيح بنفسه ، وقد فعل هذا لتوفير بعض النقود وكان قد صمم على شراء كيسين من الاسمنت ويضعها حول المقهى من الخارج (لزيادة متانة الاساس) بمجرد ان يكون في جيبه دينار .

وبدأ الظلام يزحف ثقيلا إزحا ، والبرد يسرى مع نخاع العظام ، والمطر يهطل بتركيز لا يضاهى ، والمقهى اصبح خاليا من الزبائن . . وعندما ادرك عاكف ان من غير الممكن ان يأتي اليه احد في مثل هذا الجو البردئ ، اغلق الباب بسرعة ومضى .

شد ياقة جاكتته من الخلف حتى اصبحت بمحاذاة جبينه ، فأحس ببرودة تلامس ظهره ، ولكنه لم يعبأ للامر كما لم يعبأ للماء الذى تسرب داخل حذائه .

وما ان دخل الخيمة حتى اندس في فراشه ، وقبل ان ينام حلم بليالي الصيف الهادئة الجميلة وليالي شهر رمضان التي اصبحت على الابواب ، حيث يمتد السهر حتى الفجر ، وحلم بالراديو الترانزستور الذى سيتوهج هذه الليالي بالبهجة والمرح .

وقبل ان يتسلل خيط واحد من خيوط الفجر ، صحا من النوم ونظر من باب الخيمة ، فكان الظلام

الشديد يغطي كل شيء والرؤية من الامور المستحيلة ، وفكر ان يصل المقهى ليطمئن عليه ، فلف رأسه بمنديل امه ، ووضع في جيبه علبة ثقاب ، ورفع ياقة جاكيتته حول عنقه وخرج .

كان المشي في الطين شيئا مزعجا للغاية ، وكاد الحذاء ان يفلت من قدمه ليستقر في الوحل ، فتمهل في مشيته واستطاع ان يقدر انه على مقربة من المقهى لكنه لم يلاحظ له ظلا كثيفا اسود ، مما جعله يحس بفجيعة ، واشعل عود ثقاب لم يدم اشتعاله اكثر من ثانية ، حتى اطفأته الريح ولكنه استطاع ان يلمح الواح صفيح المقهى مكتومة فوق بعضها ، واحس بمنتهى الغضب (الغضب المتصاعد كالحقد) يكاد يثقب رأسه من اعلى ويخترق العظام ، ولم يدر ماذا يفعل ، فقد اصبح عاجزا عن التفكير ، وسار بخطوات هادئة بطيئة في الطين نحو الشارع العام ، حيث قفزت في خاطره كلمات امه وهي تحدث الصغار عن جده وابيه ، في الليلة التي سقطت موت الدجاجة .

الواقعية الاشتراكية :

اما التيار الواقعي الاشتراكي ، الذي يقوم بمواجهة الواقع ، ضمن رؤية جماعية تنتفي فيها الفردية ايما انتفاء ، فيتميز بالندرة عندنا ، ذلك لان هذا اللون من الادب يحتاج الى وعي كامل بتكنيك القصة الواقعية ، فضلا عن التزام كامل بأطر الواقعية كما ارساها روادها ، وقد حققت قصة "الجراد" (١) لمصطفى صالح بعض خصائص ذلك التيار ، كما قدم "فايز محمود" في قصته "طريق جيمس الى العاصمة" (٢) صورة مماثلة ، وان لم تكن كاملة والكلام ذاته ينطبق على قصة "الثأر" (٣) لأحمد عودة .

. . . ، أما الجراد ، فمن انضج ما كتب في هذا المجال ، اذ تصور القصة حال قرية مسالمة ينهمك رجالها ونساؤها وأطفالها في عملية تعشيب متواصلة لعشرات الافدنة المزروعة ، ولكي يعمق فينا الكاتب احساس اهل القرية ، وشعورهم الزائد بقرب الحصيدة ، وما سيكون لكل ذلك من اثر كبير في رفع مستوى معيشتهم ، اجتزأ لنا صورة صغيرة لقلبين ، "راجع" و "حمدة" ، سعادتهما وزواجهما ، رهن بعطاء الارض : تحتر عينيه السوداوين الواسعتين فابارتوجهها خجلا للناحية الاخرى ، همس لها وهو يتظاهر بتعديل حمل الدابة : الهيدرغلال يا حمدة ،

---

١) نشرت في العدد ٢ من أفكار / ص/ ٧٦ ، وأعيد نشرها في "الوان من القصة الاردنية" .
٢) نشرت في العدد ٩ من أفكار / ص / ٨٨ ، وأعيد نشرها في "العبور بدون جدوى" .
٣) حين لا ينفع البكاء / ص ٢٥ .

تدفق الدم حارا في عروقها ولم تجبه ، فاندفع راجما حيث الرجال ، كانت تعلم ما تعنيه كلماته هذه ، فهو سيدفع لها المهر من المبدر هذا العام " (١) . . . ، ويأخذ الكاتب بعد ذلك بمتابعة الصورة ، فيعرض علينا بوادر الشر التي اخذت تظهر في الافق ممثلة بأسراب من الجراد ، ظهرت طلائعها قبل المساء ، وردود الفعل المختلفة لاهل القرية ، فمن متجاهل لخطرها : " نرى الجراد كل عام يأتي باعداد قليلة ، فلا نشعر به ، يطاردة الصغار ويتخذون منه تسلية لهم " . . . ، الى مستشعر بالفداحة والخسارة التي قد تقع : " ان هذه الجرادة كطليعة الغزو ، ولا بد ان يتبعها جيش ، يجب ان نهيء انفسنا لهذا الامر " . . . ، وبين الاخذ والرد ، تمضي القرية ليلتها دون ان تأخذ حذرها ، وفي الغداة ، تقع الواقعة : " وصلوا الى الزرع ووقفوا مشدوهين وقد شل المنظر تفكيرهم ، كانت السنابل تنوء بما تحمله من جراد ، حتى لتلامس الارض " . . . ، ويتم تحرك اهل القرية الجماعي لمقاومة الجراد . . " وسرعان ما هوت المعاول تحفر في الارض حفرا واسعة ، النساء ينقلن التراب من الحفر ، بعض الصغار والرجال اخذوا يطاردون الجراد ويدوسونه باقدامهم مغيظين ، أشعل احدهم نارا ، فانتشر الدخان يغطي الجميع ، مرتهارهم وهم يجاهدون جهادا مريرا ، لم يفكر احدهم ان يطلب طعاما او ماء ، حتى الصغار احسوا بفداحة الخطب فتركوا لهوهم واخذوا يتنافسون بقتل اكبر كمية من الجراد " . . . ، ونتيجة لتجاهل اهمية الاعداد والتخطيط الجماعي المسبق تفقد القرية زرعها ، ويخلص بنا الكاتب الى النتيجة التالية : " سنكون اكثر حذرا في المرة القادمة " .

. . . ، أما قصة " طريق جيمس الى العاصمة " لفايز محمود ، فنجد ارهاصا ثوريا ، اجتماعيا ، وذلك حين يرفض العمال متابعة العمل تحت اشراف الخبير الاجنبي " جيمس " . . . " سرت همهمة بين العمال الفنيين ، قرروا على أثرها عدم الاستجابة الى طلبه " . . . ولكن تلك " الهمهمة " لم تتحول الى " مقاومة " . . . من هنا اعتبرنا القصة مجرد ارهاص بالمقاومة .

. . . وايا كان الامر ، فان الواقعية الاشتراكية ، ما زالت ، حتى عند الكتاب السوفيت في طور النمو ، ذلك ان البطولة الجماعية - في اغلب الاحيان - لا تتناسب مع التمركز الروائي الذى يقوم في العادة على اشخاص بعينهم . . . ، وان كان " اندريه مالرو " الفرنسي قد تمكن في روايته " قدر الانسان " (٢) من تغييب شخصية البطل الفردي ، فلأن الرواية - في اصلها - لا تدور حول بطل واحد وانما حول مجموعة من الشخصيات ، تمكن مالرو من تقسيم البطولة بينها . . بمعنى ان البناء الفني للرواية تطلب من الانسان في مواجهة المصير الواحد ، وبشكل عام ، فان

---

١) من قصة " الجراد "
٢) نال عليها جائزة كونكور .

الرواية اقدر من القصة القصيرة في تمثل هذا اللون من الكتابة يحتاج الى ثقافة واسعة ... عدا عن الالتزام الكامل بمفهوم الاشتراكية ، الامر الذي لا نجده عند اي من كتاب القصة عندنا .

نموذج من الواقعية الاشتراكية

للكاتب مصطفى صالح

قصة الجراد

انفلتت الشمس من عقالها لتملأ بأشعتها الصفراء الباهته من خلف الجبال العالية على اهل القرية المنتشرين في الزرع يعشبونه ويقلعون ما به من النباتات الغريبة . يكومونها اكواما متفرقة . فتحزمها النساء بحزم يحملنها على ظهور البهائم وينقلنها للقرية بمساعدة الصغار لتصبح فيما بعد غذاء للماشية بعد ان يجف الزرع ويقفر المرعى .

اخذت الغزالة تسير ببطء نحو وسط السماء واشعتها الصفراء تنشر لهبا حارا فيسح العرق عن الوجوه المنكبة على العمل . هاهم سيجنون ثمار تعبهم . لقد افاض الله عليهم هذه السنة فامتلأت الابار واغلت الارض ونبت الزرع كثيفا . وما عليهم الا ان يمتنوا به قرابة شهر وتتم الحصيدة ويعم الخير الجميع ، مد - ابو حمدة - قامته واخذ يرنو للجميع العامل برمقهم بعين الناقد الخبير . كان طويلا نحيلا وكان اكبر رجال القرية سنا فكانوا يحترمونه ويجلونه ويرجعون له في امورهم . صاح بصوته الجهوري ،

- راجح .. يا راجح الا تجد لك عملا افضل من اطعام البغل ، انتصبت قامة مديدة لشاب عريض المنكبين موفور الصحة . واخذ يرنو لابي حمدة باحترام وكأنه يسأله ماذا يعمل .

- اذهب وساعد ابنة عمك في تحميل حزمة العشب على ظهر الدابة دعك من البغل فهو يعرف كيف يطعم نفسه ..

جيتك يا حمدة ..

رمى ما بيده من عشب امام البغل وهرول ناحية ابنة عمه جذلا شابا يفيض بالحيوية حطي يدك مع يدي .. يا الله .. ورفعا بها على ظهر الدابة ، تلاقت ايديهما بلمسة سريعة ارتعش لها كلاهما . سمر عينيه في عينيها السوداوين الواسعتين فادارت وجهها خجلى للناحية الاخرى همس لها وهو يتظاهر بتعديل حمل الدابة .

- البيدر السنة غلال يا حمدة تدفق الدم حارا في عروقه ولم تجبه فاندفع راجعا حيث الرجال . كانت تعلم ما تعنيه كلماته هذه ، فهو سيدفع مهرها من البيدر هذا العام خفق قلبها الفتي لابن عمها منذ الصغر وكانت تباهي به اترابها من فتيات القرية فهو اقوى الشباب واكثرهم وسامة . وكانت موضع حسد الفتيات الأخريات .

تربعت الشمس في وسط السماء فتداعوا للغداء ، والراحة . جلسوا متقاربين يلتهمون ما حوزتهم من طعام وهم يتندرون ويتضاحكون فرحين بموسم هذا العام . يسوق - راجح - نظراته خلسه لابنة عمه فتلوك طعامها ببطء شديد . وحمرة الخجل تورد وجنتيها فيسر لهذه المعاتبة ويبتلع طعامه بشهية وابتسامة حب تملو شفتيه .

الغزالة تنحدر نحو المغيب ، نسمات باردة منعشة تهب على القوم فتزيد من نشاطهم . ومن بين النسوة يرتفع صوت - حمدة - الرخيم شاقا الفضاء بغناء رقيق فيه اثارة العزائم للرجال . ترددة النسوة من بعدها فتلتهب عزائمهم ويعملون وكأنهم لم يعملوا منذ الصباح ، الكلاب تدور حول الدواب وتعابثها بخبث لتحتفظ بها بعيدة عن الزرع . انتشر الصغار بين السنابل الخضراء المتماوجة مع هبات الريح . يلاحقون بعضهم البعض وعندما تشتد مضايقتهم بأمرهم - ابو حمدة - بان يبتعدوا عن العاملين فيبتعدوا عنهم موغلين في الزرع فلا يظهر منهم الا رأس طويل القامة . وعندما تطول غيبتهم ينادي اباهم باسمائهم فلا تمضي لحظات حتى يكونوا بين قدميه يزحفون كالارانب فلا يدري من اين اتوا . يرمقهم - ابو حمدة - بحب وحنان . هؤلاء الاشقياء سيصبحون رجال هذه الارض ويعملون بها ويحبونها كما احبها هو منذ صغرة على صراخ اثنين منهم وهم يطاردون بعضهم . تعثر احدهم ووقع امام - راجح - يا لهؤلاء الملاعين ، لا يكفون لحظة واحدة عن الشجار . رفعه بين يديه ومسح التراب عن وجهه . نادى على الآخر .

- لقد اخذ جرادتي

- انه يكذب لقد رأيتها قبله .

نقل - راجح - بصره بين الاثنين اخذ الجرادة ونادى بصوت عال على ابي حمدة وهو يلوح بالجرادة في يده ، التف الجميع حول - ابو حمدة - وهو يقلبها بين يديه بقلق . رفع بصره الى السماء وكأنه يتوقع رؤية اسراب الجراد قادمة . استشعر بالخطر بحسه وهو لن ينسى سنة غزو الجراد لهم وهو شاب . يومها اتى الجراد على الزرع والضرع ولم يبق لهم شيئا واصبحت تلك السنة تاريخا . افلت الجرادة من يده فتبعها الصغار يتراكضون ويتصايحون .

مرت من امام النسوة فاجفلن منها وقالت احداهن ان اباها روى لها حكاية عن جدها الذي حارب مع الاتراك انه كان يأكل بعد ان يقوم بقرص جناحيه ورش بعض الملح والبهار عليه وانهم في بعض البلاد يأكلونه ويبيعونه في الاسواق . تقززت - حمدة - وكادت ان تتقيأ فتضاحكن عليها .

اختفت الشمس وراء الافق ساجية وراءها اشعتها الذابلة فودع المشيعون نهارهم عائدين للقرية

النساء والصغار في القرية على ظهور الدواب والرجال يسيرون على سهل يتحدثون ويتمازحون - وأبو حمدة - صامت واجم ؛

قال ابو راجح :

- مالك يا ابو حمدة صامت ؟

قال آخر مشهكما

- انا خايف الجرادة تكون خوفتك يا ابو حمدة .

ارتفعت قهقهاتهم عالية حتى وصلت مسامع النساء نظر اليهم والقلق يطل من عينيه الغائرتين

- قلبي ناخزني يا جماعة ، انا غير مطمئن . يا خوفي يروح تعبنا خسارة .

قال ابو راجح :

- والله خايف يكون جرى لعقلك حاجة يا ابو حمدة .

رفع ابو حمدة باصرتيه لاعلى ، السماء صافية ونجومها تلمع ولا شيء باد يثير الخوف .

- هه يا بو حمده ماذا رأيت ؟

- لا شيء ، لم ار شيئا ولكن قلبي يقول لي بأننا سنرى عما قريب وعندما وصلوا بيوت القرية افترقوا على امل اللقاء بعد العشاء في المضافة . تربع - ابو حمدة - على الفراش في المضافة ورجال القرية جلوس حوله وقد احسوا بخوف خفي ازاء صمت هذا الشيخ وقلقه . ففراسته كانت دوما صادقة وهو يعرف ما لا يعرفون ، قام - راجح - على خدمتهم وبناولهم ما يطلبون من ماء ويصب لهم الشاي والقهوة فيدعون له بالفرح والهناء قال احدهم . . :

- يا - بو حمدة - انت خايف ومخوفنا معك بلاسبب .

هزّ ابو حمدة رأسه ونظر في وجوههم وقد علا وجوم غريب .

- بلا سبب . . تقول بلا سبب ؛

- لكننا يا - بو حمدة - نرى الجراد كل عام . يأتي باعداد قليلة فلا نشعر به يطارد الصغار ويتخذون منه تسلية لهم ؛

- لكن الامر مختلف هذه المرة ، انني اشم رائحة الخطر ، علا صوته واخذ يخاطبهم بحدة .

- اسمعوا اريد ان اقول لكم شيئا ، انّ هذه الجرادة كطليعة الغزو لا بد وان يتبعها جيش . يجب ان نهيء انفسنا لهذا الامر .

قال ابو راجح :

- يا - بوحمدة - انت تعلم انك تبالغ في الامر . لقد هولته كثيرا ، الخطر واقع لا محالة وهو لا يستطيع ان يثير فيهم الشعور به واستطرد ابو راجح معاتبا .

- هل تحسب كل هذا الحساب لجرادة . . آه لو كانت المرحومة موجودة لاعادتك الى صوابك .

هم واقفا وقد أصابه اليأس منهم ، استأذن في الانصراف فتبعه الاخرون كل الى بيته .
تقلب في فراشه . لا يغمض له جفن ، فالقلق والخوف يسيطران عليه . ابعد كل هذا التعب والشقاء يأتي الجراد ليأخذ كل شيء . ولكن لم لا يكون الامر مبالغة وخوف لا مبرر له كما قال ابو راجح ، ولعل هذه الجرادة ضالة . داعبه النعاس وكأنما اطمأن لهذا الخاطر فراح في سبات عميق ، أفاق - ابو حمدة - على صياح الديكة معلنة بزوغ فجر جديد . ودوار خفيف يلم به من جراء تفكيره الليلة الماضية .

القى على ابنته النائمة نظرة ودعها كل ما في كيانه من حب وحنان . فهي كل ما له في هذه الدنيا بعد وفاته زوجته تخطى عتبة البيت ففي طريقه للبئر . لفحه هواء بارد منعش . اسقط الدلو في البئر ليتوضأ ويصلي الصبح . وقف يتنفس بعمق ريثما يمتلئ . أحنى ظهره وانتشله من البئر . اخذ يبسمل ويتمتم بأدعية وهو يصب الماء على يديه ووجهه . اعاد الدلو لمكانه وهّم بدخول البيت . توقف وقد سمع صوتا . اصاخ السمع جيدا تسارعت انفاسه وهرب الدم من عروقه فبات وجهه اصفرا ، هذا صوت لا يخطئه . صوت قضقضة متواصلة والظلام لم ينقشع بعد . احنى ظهره وحملق في الارض جيدا . صوت القضقضة لا يفارق سمعه وقف وقد اسقط في يده . تلجم لسانه ولم يدر ماذا يعمل .

في تلك اللحظة . كان الجراد يمتلئ كل نبته في حديقة البيت اصيب بذهول شديد واخذ يستعيذ بالله . ولا يدري ما يصنع بعدها لفرط الصدمة . افاق لنفسه وقفز صارخا بين بيوت القرية يوقظ اهلها بصوته الراعد . .

- جاء يا نشامة جاء . . الجراد طب الزرع .

افاقت القرية على صوته المجلجل فأخذت الابواب تفتح وتصفق وتراكض الرجال وتبعتهم النساء ، وقد ركبهم الذهول وخوف ، اجتمعوا حوله صامتين .

صاح فيهم محنقا . .

- الم اقل لكم . . الم احذركم . لم تسمعوا كلامي ، لستم بالرجال الذين يعتمد عليهم والله لستم بالرجال .

همّ بمواصلة توبيخه لهم وقد بلغ منه الغيظ حدا كبيرا لولا ان قاطعه صوت ينز الما عرف فيه صوت ابي راجح .

- ليس هذا بالوقت المناسب للتقريع يا - بو حمدة - فلترنا نستطيع عمله ، أنقذهم من وجومهم وذهولهم وكأن كلماته كانت إيذانا ببدء العمل فسارعوا يحملون الفؤوس والمجارف وتوجهوا ناحية الزرع غير عابئين ببرودة الهواء تنخر عظامهم . وصلوا الزرع ووقفوا مشدوهين وقد شل المنظر تفكيرهم . . كانت السنابل تنوء بما تحمله من جراد لتلامس رؤوسها الارض .

صرخ ابو حمدة - بصوت كالبكاء :

- هل جئتم لتقفوا فارغين افواهكم هكذا .

سرعان ما هوت المعاول تحفر في الارض حفرا واسعة . النساء ينقلن التراب من الحفر . بعض الرجال والصغار اخذوا يطاردون الجراد ويدوسونه باقدامهم مغيظين . اشعل احدهم نارا فانتشر الدخان يغطي الجميع ، مر نهارهم وهم يجاهدون جهادا مريرا . لم يفكر احدهم ان يطلب طعاما او ماء حتى الصغار احسوا بفداحة الخطب فتركوا لهوهم واخذوا يتنافسون بقتل اكبر كمية من الجراد وعندما مالت الشمس ناحية الغرب معلنة انتهاء هذا اليوم الكئيب ، كانت اعداد كبيرة من الجراد ترقد في جوف الحفر الواسعة ولكن ما تبقى من الجراد كان كافيا لان يأتي على بقية الزرع .

وفي طريق عودتهم للقرية لم ينبس احدهم بكلمة كانوا يتطلعون ناحية ابي حمده بحذر وخوف وكلهم شعور بالذنب والتقصير لو انهم سمعوا كلام هذا الشيخ . فهم قد كلوا من التعب في نهارهم هذا ولكن بعد فوات الاوان .

لو انهم سمعوا كلامه وتعبوا البارحة لهان الامر ، وسلم الزرع . كان - ابو حمدة - يسير صامتا وقد احنى التعب قامته المديدة ، هل نسلم بالهزيمة ؟ لا سنكون هذا الجراد سادا لارضنا في السنة القادمة . وعندما وصلوا ساحة القرية هم الجمع بالتفرق - وابو حمده - يخطو نحو بيته والا لم يمضه ارتفع صوت ابو راجح جلجلا مليئا بالثقة .

- سنكون اكثر حذرا في المرة القادمة ، توقف - ابو حمدة - ونظر للجمع الحاشد فرأى العزم باد على الوجوه فهتف بفرح .. اجل سنكون اكثر حذرا .

الواقعيـة الفائقـــة :

الواقعية الفائقة ، هي واقعية " ما فوق الواقع " نفسها ، أي السريالزم وهي الواقعيـة الـــتي تتجاوز الواقع الملموس الى واقع فائق لا يدرك الا بالحدس، وقد اصطبغت كتابات " بـدر عبـد الحق " (١) بهذه الصبغة ، خاصة في قصة التي اشترك بها في المجموعة القصصية " ثـلاثـة أصوات "، . . ، " ومن المسلم إن الكاتب غير معني بتقاليد القصة القصيرة ، المألوفة ، لا بل انـه يبدأ من حيث تنتهي عناصر القصة القصيرة التقليدية ، انه لا يقدم حدثا ، وبالتالي لا يتنامى في قصه واقع ما فكل ذلك إنما يقصد لأبراز معنى ما ، في قصه

فبدر في قصتة " احزان النوم والا ستيقاظ " (٣) لا يقدم اكثر من منولوج داخلي ، يتدفق قهرا ، ويأسا ، ولا مبالاة . . " انهكت قواى ، فبكيت كثيرا وكنت وحيدا ، ثم اكتشفت انه لم يعد بوسعي ان اتحرك او اصرخ ، فتركت نفسي اسقط فوق واحد من الكراسي الفارغة ، اسندت ظهرى الـى الجدار وسحبت نفسا عميقا ومددت ساقي لتتخذا وضعا مريحا أكثر . . . تسرب الدفء الـى عظامي ، وشعرت بمتعة لا نظير لها ، أغمضت عيوني ، وتنفست بعمق مرة ثانية ، ثم تدلى رأسي - في اغفاءة - موازيا تماما لبقية الرؤوس " .

وهو في " الجنـازة " (٤) ، لا يتجاوز تلك الصورة المحبطة : " اعبر بوابة البيت باتجاه الشارع قبل الموعد بربع ساعة ، الطريق طويل ومن النادر ان اجد سيارة السرفيس ، لست اكيدا مـن حسن مظهرى ، المرآة التي كانت ملصقة داخل باب خزانة الثياب كسرت منذ شهور ولم تستبـدل ليس هناك من يهتم بكل التفاصيل ، أعبر الحي ، هذا الحذاء الذى اتسخت يداى لتجملاه انيقا لا مما ، سوف تكسوه طبقة من الغبار ، احاول منع الغبار من الوصول الى مقدمة حذائـي ، امشي ببطء اراقب رؤوس الاطفال وافواه العجائز واقنية الماء القذر الكبوب في الشارع " .

. . أما " لماذا فشلت في الحصول على الجائزة " (٥) فأقرب الى خاطره ، يجعل منها التوتر النفسي الشفاف ، مجموعة خواطر تبدأ في الثالثة من عمره وتنتهي في الثمانين ، مرورا باعماره

---

١) في الثلاثين من عمرة ، بدأ الكتابة عام ١٩٦٥ ونشر في عدد من الصحف والمجـــلات العربية والمحلية ، يعمل الان في مجال الصحافة في " ابو ظبي " .
٢) ثلاثة أصوات / صفحة الغلاف الاخيرة / تيسير سهول .
٣) المصدر السابق / ص ٤٧ .
٤) المصدر السابق / ص ٥١ .
٥) ثلاثة اصوات / ص ٥٥

الثلاثين والخمسين والستين والسبعين وبدركما نلمس من قصصه ، معني بتصوير الانسان المحبط ، المقهور ، وهو لعمري الانسان ذاته الذى جهد " صمويل بيكت " في تصويره ، فالحوار الذى يعقده المؤلف في قصته الجنازة ، والذى يدور على النحو التالي :-

-: السيارة لا تتوقف، ذهاب وإياب باستمرار .

-: تتوقف احيانا .

-: أبـدا .

-: عندما ينتهي البنزين .

-: ثم تسير من جديد ، بسرعة .

-: قد يحترق الموتور فتكون النهاية .

-: تأتي سيارات جديدة أكثر لمعانا واحدث .

هذا الحوار ، لا يقدم شيئا ، اللهم الا الثرثرة السفسطائية التي تعبر في جانب من جوانبها عن انسان القرن العشرين ، هذا الحوار ، يذكرنا بحوار آخر يدور بين " استراجون " "وفلاديمير" في مسرحية " صمويل بيكن " الشهيرة " في انتظار غودو " (١) :-

-: دعنا نذهب .

-: لا نستطيع .

-: لماذا .

-: لاننا ننتظر جودو .

-: آه ! " يفكر " أواثق إن هذا هو المكان .

-: ماذا تعني ؟

-: ان هذا هو المكان الذى علينا ان ننتظره عنده .

-: لقد قال : بجانب الشجرة ، هل ترى غيرها هنا ؟

-: ما نوعها ؟

-: لا أدرى ، لعلها صفصاف .

-: أين ذهبت اوراقها ؟

-: لا بد انها قد ماتت .

---

(١) أدباء الجيل الغاضب / محمود السمرة / ص ٨٢

... ، هذا ، ونلمس ظاهرة اخرى في قصص " بدر " المتواجدة في " ثلاثة اصوات " ، تلك هي استخدامه " الكراسي " كرمز واضح لاطار الخمول والكسل واللامبالاة الذى يغلف انسان القرن العشرين ... ، فهو في قصته " احزان النوم والاستيقاظ " ، يجعل الكرسي ، الملاذ الوحيد لنشدان الراحة .. " ثم إكتشفت انه لم يعد بوسعي ان اتحرك او اصرخ ، فتركت نفسي اسقط فوق واحد من الكراسي الفارغة " ... ، أما في " الجنازة " فيكون " الكرسي " بمثابة الموقع الذى يراقب منه البطل حركة الناس : " أسند الكرسي الى الجدار الخلفي ، اشبك يدى فوق عيوني ، الكرسي يتأرجح عدة مرات الى الامام والخلف ، يستقر اخيرا ، أغمض عيوني لان الشمس حامية ، أحلم ، يسقط الكرسي فجأة الى الامام ، أفتح عيني ، اتخذ وضعا مريحا اكثر فوق الكرسي ، ارفع رأسي ، انظر الى الطاولة التي بيننا " ... ، أما في " الجائع " ، فترمز الكرسي الى زخم الاحباطات وثقلها على نفس البطل : " لا أدرى ماذا حصل بعد ذلك تماما ، لكني عندما صحوت وجدت نفسي ممدا على الارض فوق كرسي محطمة " ... ، وفي " التوقف عن الابتسام " يتكشف رمز الكرسي . اكثر عندما يباشرنا المؤلف بالعبارة التالية : " أربع ساعات من الصياح والضجيج والخلافات والانتظار ثم محمود وكاسات الشاى والسجاير والكراسي التي صنعت ربما خصيصا لجعل الظهور محنية " .

... ، أما قصص بدر التالية فقد إكتسبت بعدا جديدا ، هو الثورة ، الامر الذى ادخل تغييرا جذريا في شكل القصة عنده ، تلك الميزة ، نلمسها بسهولة في قصة " الملعون " (١) ، اذ اتخذت تلك القصة مسارا بيانيا ، تقليديا ، ابتدأ بمقدمة ، وانتصف بعقدة ، وختم بنهاية ... ، وقد لمسنا النفس السريالي القائم على القهر والاحباط ذاته ولكن مع بعض التفاؤل ، في قصص الشاب " أحمد عبد الحق " ، ربما لان الظروف التي انتجت بدر (٢) ، هي ذاتها التي انتجت شقيقه ، وقد تمكن هذا القاص في قصة قصيرة له بعنوان : " قطار الشمس السريع " (٣) من اعطاء " صورة مصغرة لحركة التاريخ والنقل ، لحركة الوجود الديالكتيكية ، اى حركة التطور من الانقص الى الاكمل ، عبر المواقف المتقابلة فالمؤلفة ، اذ ردنا القاص في قطارة المؤلف من

---

١) نشرت في العدد الثامن من صوت الجيل ، وكتب عنها مؤلف هذا الكتاب مقالا تحليليا في جريدة عمان المساء / ٣ / ٤ / ١٩٧٣ .

٢) تكلم (بدر) عن ظروفه تلك في لقاء له مع صوت الجيل / العدد الرابع / ص ١٨ فقال : " لقد أثرت في نشاتي الفقيرة ، وتربية كلاسيكية صارمة ودينية .. افقد المناخ الصالح لتنمية قدراتي .. القلق الذى احسه بفعل الظروف الاجتماعية ينعكس بشكل مباشر على قراءاتي وتكويني الفكري " .

٣) مجلة افكار / العدد ٢١ / ص ١٠٧ .

عربتين ، الى الطبيعة الاولى - أصل الوجود - ، ثم قادنا - عبر الطريق الطويل - الى طبيعة العالم البشرى وطبيعة العلائق التي تربط بين اطراف هذا العالم - حيث يختار الركاب من بينهم قائدا - ، وتتدرج معه في اخضاع وسائل الانتاج وادواته وفي امتلاك فتاتها لهذه الوسائل - اذ يستخدم القائد وسائل جديدة للسيطرة على القطار - ، الى ان يستمر الموقف وتنقسم المجتمعات الى طبقات - الركاب من ناحية واعوان المعاون من ناحية ثانية - متصارعة ، ينتهي الصراع بينها بتغلب الجماعة الكثيرة او لنقل الجيل الجديد - رمز اليه بالاعشاب شديدة الاخضرار التي اخذت تنمو - " (١)

. . . هذا ، ويجدر بنا الاشارة الى ان شخوص " احمد عبد الحق " تختلف عن شخوص شقيقه " بدر عبد الحق " ، ذلك لان شخوص " بدر " لا تصور لنا واقعنا الخارجي وحاجاتنا اليومية ، بل تعمد الى حقيقتنا النفسية فتعكس مخاوفنا وافراحنا وكوابيسنا واحلامنا وتصوراتنا ، ولكنها بالمقابل ، لا تعرض لنا قضية فكرية ، ولا تقدم حلولا لمشاكل انسانية ، ولذا فان قصص " بدر " - كما لمسنا - تسير في حلقة مفرغة ، فتنتهي حيث بدأت . . . ، وبعد . . هذه الواقعية كسابقتها تعتبر رافدا لتيار الواقعية الفنية التي يمثلها " فخري قعوار " ، وهي روافد - في مجتمعنا بالذات - تعتبر ضرورية ، وذلك لتعميق مجرى التيار الكبير ، وهو ما يمكن ان نسميه ، بالواقعية الذاتية او التأملية ، وسنعرض لهذا اللون في حديثنا عن القصة الرومانسية عند فايز محمود .

القصة النفسية :

تقوم القصة - النفسية - السيكولوجية - ، على اسس تحليلية بحتة ، لعل ابرزها ، تقصي النفس البشرية ، وسبر غورها ، عبر منولوجات داخلية ، متلاحقة . . . ، هذه السمة ، تلمسها بوضوح في قصص " هند ابو الشعر " التي تعتمد - بشكل كبير - على القصة الانسيابية في التعبير عن هموم الانسان المعاصر ، وهي ، وان لم تصدر مجموعة خاصة بها ، الا انها قد نشرت عددا من القصص في المجلات المحلية والجرائد اليومية ، والاسبوعية (٢) . . ، وقد لمسنا في

---

١) قاصون جدد على الساحة الادبية / عمان المساء / العدد ٦٣٧ / ٢٧ / ٧ - ١٩٧٤
أسامة فوزى يوسف .

٢) أنظر قصصها :- النهايات الحادة / افكار / العدد ١٨ / ص ١٠٤ .
الدوار / صوت الجيل / العدد ٣ / ص ٣٦ .
لعبة الاشارات الضوئية / اخبار الاسبوع / ١-٨-١٩٧٤ .

قصصها اعتمادا كاملا على الانسياب او الانعطاف الباطني ، اللاواعي ، للتعبير عن مجرى التجربة العقلية على طريقة " مارسيل بروست" ، " دوروثي ريتشاردسون " و " جيمس جويس " ، كما تتميز قصصها بظاهرة التوتر النفسي الذي يشوبها حتى النهاية ، وقد برز القاص الشاب " ابراهيم العبسي " (١) في هذا المجال كذلك ، فنشر قصة له بعنوان " بقعة ضوء " (٢) دللت على وعي لا بأس به بعمار القصة السيكولوجية . .

. . و " بقعة ضوء " هذه ، عبارة عن رحلة عبر معالم الوعي ، هذه الرحلة تدخل ضمن اطار القصة النفسية التي تعتمد اساسا على تداعيات النفس وسيولوجاتها التي تسير على النحو التالي : " حبات الحصى المنفلتة من تحت قدمي تنفذ على جدران الصوت ، في الشارع ، تحدث دويا هائلا في اذني ، خطواتي تنفلت تشب ، تتقدم في الشارع . . الخ " ، وقد لاحظت خلال تجوالي في القصة شغف الكاتب باكثار النقاط والفواصل ، الامر الذي لا ينسجم مع البناء الفني للقصة الانسيابية ، لان الانسياب اصلا يعني الانعطاف الباطني اللاواعي ، للتعبير عن مجرى التجربة الفعلية ، هذا الانعطاف يصبه الكاتب على الورق دونما فواصل او نقاط او اشارات قد تدل على وعي في الكتابة ، حتى ان كتابات " مارسيل بروست" و " جيمس جويس " - وهم من رواد القصة النفسية تكاد تتلاحم نهايات احرفها الامر الذي جعل النقاد - فيما بعد - يعتمدون اسلوب التقطيع ، اي تقطيع الكلمات وابعادها عن بعضها البعض . . ، كما لاحظت في تلك القصة اعتماد الكاتب على " كان " و " كنت " في عملية السرد النفسي ، الانسيابي ، الامر الذي يدخل الملل الى نفس القارئ ، والتخلص من هذا الرابط بين التدفقات النفسية ليس بالامر الصعب ، وللكاتب - فيما يبدو - قدرة على تجاوزه .

. . . ، والمتتبع لادب الشباب عندنا ، يستطيع ان يلمس بسهولة ، توجهات نفسية ، تؤطر بعض الصور الواقعية التي تجعل من انسان القرن العشرين ميدانا لها ، كما في قصص " وليم هلسة " (٣) ، " يوسف ضمرة " ، " حسن ابولبة " و " رزق ابو زينة " (٤) .

---

١) راجع ما كتبناه عنه في جريدة عمان المساء / ٢٣-٧-١٩٧٤ / العدد ٦٣٧ .
٢) افكار / العدد ٢١ / ص ٨٨ .
٣) انظر قصصه : البئر الغريبة / عمان المساء / العدد ٦٢٢ / ٨-٤-١٩٧٤ م .
وتكلمت بابلا / عمان المساء / العدد ٦٣٥ / ٨-٧-١٩٧٤م .
الخروج / عمان المساء / نيسان / ١٩٧٣م .
صمت وانتظار / عمان المساء / ١٩٧٣م .
حوارية للرحيل / عمان المساء / ١٥-٤-١٩٧٣م .
٤) أنظر :- الخروج الى سطح الارض / عمان المساء / العدد ٦٢٦ .
البكاء في منتصف الليل / عمان المساء / ١٩٧٣ .
الذقن المبللة / عمان المساء / العدد ٦٤٣ .
بقع سوداء في منديل الحبيبة الابيض / عمان المساء / ١٩٧٣ .

. . . ،الا ان هذا اللون - ككل - لم يأخذ شكله النهائي بعد ، ولم يحقق حتى نصف الشكل ، ربما ، لان هذا اللون من الكتابة القصصية يحتاج الى ثقافة واسعة ووعي كامل بمعمار القصة السيكولوجية .

مختارات قصصية للقصة النفسية :

بقعة ضوء

للكاتب ابراهيم العبسي (١)

المسافة التي تفصلني عن حجرتي . ليست طويلة . . حجرتي في نهاية الشارع . . ومع هذا فانا ما زلت اجرجر قدمي في اول الشارع . . الشارع يغرق في ظلمة حادة . . لولا خيط رفيع شاحب من الضوء . . ينبعث من عمود كهرباء دق في شارع خلفي .

خطواتي تزحف في الشارع ببطء شديد . . لكني احاول ان اجعلها ترن بقوة على الارض . . ظلال الاشياء التي يعكسها الضوء . . تتخذ امام عيني اشكالا رهيبة . . ترقص . . تقهقه . . تحدق . . تصرخ . . تتمطى . . خوفي القديم ينبعث حيا داخل صدري وخيالي الجامح ينشط فجأة . . يفجر مخاوفي . . يبعثها من رقاد كنت احسبه ابديا . . دبيب هائل يعوي داخل اذني . . رأسي مزرعة اشواك . . انتصبت اشواكها بعناد . . ولو مددت يدي لأتحسس الشعر فوق رأسي . . لاستطعت ان اعده شعرة . . شعرة . .

انني خائف . . خائف . . اكاد اتحسس التشنجات التي يرسمها الخوف فوق وجهي .

وانا احدق في زوايا الشارع .

الخوف . . هذا الاحساس الجبان . . انني اكرهه . . واكره نفسي . . منذ ولدت وهو يلازمني . . ويكبر معي . . كانت امي قد ايقظته في . . " اجاك ابو رجل مسلوخة " . " الغولة دايرة في الشوارع " . . " العفاريت عند الباب " كنت اقضي النهار كله الهث وراء " طابة الشرايط " ، وحينما يأتي المساء ، اعود بسرعة الى البيت ، اتخذ مجلسي بعيدا عن الباب ، حيث تجثم

---

(١) ابراهيم العبسي :
من مواليد الدوايمة / الخليل سنة ١٩٤٥ .
انهى دراسته الثانوية في مخيم عقبة جبر سنة ١٩٦٤ .
تخرج من معهد معلمين حوارة عام ١٩٦٨ .
يكتب القصة القصيرة من عام ١٩٦٥ .
نشر معظم نتاجه القصصي في مجلة افكار ، ومجلات عربية اخرى .
له مجموعة قصصية " المطر الرمادي " .

العتمة في الخارج ، كنت اخاف العتمة .. اتخيلها مسرحا رهيبا .. تمارس فيه الاشباح طقوسها المرعبة .. كانت امي لا تنفك تروى لنا حكاية كل ليلة لكن حكاياتها كانت من ذلك النوع .. الذى ترتجف لسماعة اطرافنا الصغيرة .. واذكر ان الهلع كان يستولي علي ... حينما كانت - امي - تأتي على حكاية " ابو رجل مسلوخة " كنت اتخيله ذا وجه شديد الاصفرار .. عيناه صغيرتان تتحركان في محجريهما بشكل دائم .. ورأسه بلا شعر يغطيه .. واحدى رجليه مجردة من اللحم ، جرها وراءه هكذا في الطرقات .. وحتى الان .. لا ادرى لماذا كانت - امي - تصر على إسماعنا ذلك النوع من الحكايات .. لعلها كانت تهددنا بابطالها .. اذا نحن لم نهدأ ، وندفن رؤوسنا تحت الاغطية لننام .. اولعلها كانت تمدنا لحياة .. تعرف انها ستكون مليئة بالمخاوف .

حبات الحصى المنفلتة من تحت قدمي .. تنقذف على جدران البيوت في الشارع .. تحدث دويا هائلا في اذني ، خطواتي تنفلت .. تثب .. تتقدم بسرعة في الشارع .. تخرج عن نطاق الاوامر التي يوزعها رأسي على باقي الاطراف .. احاول جاهدا .. ان اكبح جماحها .. اكاد اسمع وقع اقدام تتبعني .. تتراكض امامي .. وخلفي .. وحولي .. وبعضها يتسلق جسدى .. ويقف على كتفي .. ويخيل الي احيانا .. ان ايادٍ كثيرة تدفعني من الخلف .. لاجرى في الشارع .. ثم فجأة تقبض علي بقوة .. توقفني .. تزرعني في مكاني ..

حينما ماتت امي اثر هجوم مفاجيء اجتاح قريتنا .. اعتراني لحظة موتها خوف رهيب. فحملت حقيبتي .. وبدأت رحلة طويلة .. طويلة .. عبر المدن ابحث عن ملجأ .. انسى فيه خوفي .. كنت اسافر طوال الوقت ، في الليل والنهار ، وفي الصيف .. والشتاء .. كنت اعبر الشتاء بقميص صيفي ، تصفعني البرودة .. وتتسلل جراثيمها الى دمي .. فارتمي فوق رصيف ترابي .. تعصرني ضحى رهيبة .. لكنني لم اكن اتوقف ابدا .. كان خوفي يقودني بسرعة .. لدرجة انني لم افطن لاخوتي الصغار .. نسيتهم .. تركتهم يتحلقون حول امي يندبونها .. وهربت بجلدي ؛

كنت حينما الج بوابة مدينة جديدة ... اجد شرطيا في انتظاري ... يبتسم لي بدهاء ويقول :

- جواز سفرك من فضلك ،

وكل مرة .. كنت احس بجيوبي .. واقف ذاهلا احدق في وجه الشرطي باستجداء ...

جواز سفري .. نسيته في " عب " امي ..

ويضحك الشرطي حتى تميل قبعته الى الوراء ..

- القانون لا يسمح بدخول من فقدوا جوازات سفرهم ..

- ولكنني . .

- اعرف انك نسيته في "عبه" امك . . وما عليك الا ان تعود اليها . . وتحضر جواز سفرك . . القانون هو القانون ! !

كان قد مضى زمن طويل . . منذ تركت امي ملقاة بين شجرتي زيتون ولا اعرف ما اذا كان جواز سفرك . . ما زال في "عبها" ام ان حفار القبور . . سرقه منها . . حينما عثر على جثتها . . ثم ان خوفي يقيدني ولا يكاد يجعلني اجرؤ على مجرد الالتفات خلفي . .

تحسرت . . وندمت . . لابتعادي عن امي . . ولعنت خوفي .

تشردت كثيرا . . نزفت دمائي فوق الارصفة . . وأكلت قدمي الطرقات . . ومزقت ظهري حقيبة السفر . . كانت المدن اللاهية تنكرني . . ويبصق في وجهي شرطتها . . فكرت كثيرا ان اتسلل عبر اسوار اي مدينة تصادفني في الطريق . . لكن ذلك قد يعرضني للشنق نظرا للقوانين الصارمة التي تتبعها المدن .

وذات ظهيرة لاهبة - وكنت اجرجر قدمي - . . وقد بلغ بي الاعياء حدا ايقنت معه بالموت - اعترضت طريقي قرية صغيرة . . شديدة الشبه بقريتنا . . تلك التي ماتت فيها امي . . لكنها تختلف عن قريتنا بان فيها كهرباء . . وحينما دخلتها . . ولم يكن لها بوابة . . لم اجد شرطيا في انتظاري . . كانت كومة هزيلة من الكلاب تنبطح في ظلال جدران مهدمة . . في مدخل القرية . . تحدق في وجهي . . وهي تلهث باعياء بالغ . . لم يعترضني احد . . ولم يسألني احد . . عن جواز السفر . . ففرحت كثيرا . . ورحت اجوب شوارع القرية . . لكن عيون الناس المطلة من النوافذ . . كانت تحدق فيّ بشكل يفوق حد الفضول . .

وخلال ايام قليلة . . عثرت على حجرة صغيرة . . اقمت فيها . . وكذلك استطعت الحصول على وظيفة في بلدية القرية .

في البداية . . شعرت بفرح عظيم لحياتي الجديدة . . بعيدا عن الطرقات والخوف . . وكدت انسى امي . . لكن الحجرة الصغيرة التي اقمت فيها . . بدأت تثير في خوفي . . فكل ليلة . . تتناهى الى اسماعي . . اصوات مخيفة . . لا سيما في ليالي المطر . .

خطواتي ترن في الشارع . . بوقع شديد . . بوضوح . . اسمع اصداءها المرتدة عن الجدران . . مختلطة بريح خفيفة . . بدأت تهب . . وتضرب الشارع . . المسافة ما زالت . . خطوات قليلة . . واصل . . اصوات فرحة . . مخمورة جذلى . . تتناهى الي من الشارع الخلفية . . افتح اذني . . احاول ان اسمع ما يقولون . . احاديثهم كثيرة ومتشعبة . . معظمها يدور حول الذهب والنساء . . احاول ان اصغي باهتمام لحديث يبعدني عن الخوف . . لكني افشل . . فسرعان ما تقع عيناي على العتمة التي تغرق الشارع . . والاشكال الرهيبة . . التي يرسمها الضوء على الجدران .

المسافة . . اصبحت خطوات قليلة . . واصل . .

انني اندفع بسرعة . . الهث بشدة . . عروقي تنبض بعنف . . باب الحجرة الخشبي . . المطل على طرف الشارع . . يبدو كفم وحش اسطوري يستعد لابتلاعي . . قدماي تصعدان الدرجات القليلة المؤدية الى الباب . . انني اصبحت وجها لوجه امام الباب . . دفعته بعنف . . طاخ خخخ . . صدى الدفعة يتردد في ارجاء الحجرة . . نفحة هواء باردة تنفذ الي من خلال النافذة الوحيدة المفتوحة . . تخترق حلقي . . وتنسرب الى رئتي . . الحجرة مظلمة . . واشيائي المتناثرة في زوايا الحجرة تغرق في عتمة كئيبة . . يدي تمتد الى مفتاح النور . . وتتوقف فوق المفتاح . . اكاد انسى ان الكهرباء ممنوعة بعد العشاء . . ثمة بقعة ضوء صغيرة . . ترتسم على الجدار . . لا بد انها آتية من عمود الكهرباء في الشارع الخلفي . . الضجيج ما زال يملأ أذني . . وعروقي ما زالت تنبض بشدة . . وانا ما زلت اقف بالباب . . عيناي وحدهما تدوران في ارجاء الحجرة .

احس بحاجتي للجلوس . . اتقدم بضع خطوات . . اتحسس معالم سريري الحديدي . . حديد السرير في غاية البرودة . . واجلس لحظة . . استمع الى انفاسي التي تتلاحق بعنف وسرعة . . وقليلا . . قليلا . . احس بالهدوء . . ورغبة ملحة الى سيجارة . . بقايا سيجارة ترتعش في جيبي . . اشعلها . . انني اقتصد عادة في السجاير . . اشعر براحة . . وانا انفث الدخان .

فجأة . . ندت من الشارع صرخة مروعة . . اعقبتها ريح قوية . . بدأت تضرب النافذة بعنف . . واخذت الستائر على النافذة . . تتلاطم في حركة فوضوية . .

احسست برجفة عنيفة في بدني . . وقمت بسرعة الى النافذة . . واخرجت رأسي اطل على الشارع . . الشارع هو . . هو . . يغرق في العتمة . . ولا شيء جديد . . سوى الريح . . وبعض حبات المطر . . التي اخذت تتساقط بتكاسل واعياء . . فصدت الى السرير . . واخذت اقنع نفسي . . بان ما سمعته . . لا يتعدى صرخة وهمية . . اطلقها رأسي . . نتيجة خوفي الشديد . . لكن . . الا يمكن ان يكون هذا الشارع . . "مسكونا" كانت امي تقول لنا ان الارض كلها مسكونة . . تسكنها اجيال عديدة من البشر . . بعضهم مات موتا طبيعيا . . وبعضهم جعدتهم الاوبئة . . والبعض الاخير ماتوا شهداء في الحروب . . . . . وهؤلاء يعودون للظهور على مسرح الحياة في الليالي المعتمة . . الماطرة . . ليسوا كلهم يعودون . . الذين ماتوا في الحروب فقط . .

ولكن لماذا يعودون ؟ . .

ربما لانهم تركوا الحياة وهم الشوق اليها . .

حركة الريح في الخارج .. تصخب .. والمطر يتساقط بغزارة .. وستائر النافذة تتلاطم بعنف ..

جسدى يرتجف تحت الاغطية .. النوم يستعصي علي .. وعيناى مسمرتان على بقعة الضوء الصغيرة .. المرتسمة على الجدار .

الليل يمضي بثقل مميت ..

في اللحظة الواقعة بين الاستيقاظ .. والنوم .. خيل الي ان الجدار ينشرخ .. ويحدث فيه خط طويل .. لم يلبث الخط ان امتلأ بشبح اصفر طويل .. رأسه في بقعة الضوء تماما .

صرخ الشبح بغضب :

- ماذا تعمل في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل .. ؟

- احاول النوم ..

- ولماذا تحاول .. لماذا لا تنام .. ؟

- النوم يستعصي علي ..

صاح الشبح بحدة :

- اذا .. انت كثير الخطايا .

- كثير الخطايا ؟ !

- وجبان ايضا .. اتستغفلني ! .. انني اعرف كل شيء .. لو لم تكن من الخطاة .. وتشعر بوخز خطاياك .. لاستطعت ان تنام .

- ولكن ..

- اخرس ..

- .....

- قل لي .. ماذا كان عملك اليوم ؟ ...

- كالمعتاد ..

- تغرق في المخاوف .. والتفاهات الصبيانية .. اليس كذلك ؟

- لا يا سيدى .. انني انظف شوارع القرية ..

قهقهة الشبح .

- الحيوانات تقوم بمثل هذا العمل المهين ..

- اذا .. ماذا اعمل ؟ ..

- اذا كنت لا تعرف ماذا تعمل .. فيجب عليك .. ان تموت .. وتدفن نفسك في مزبلة ..

.. انه لأمر خطير ان لا تعمل بنا هذا .. ويسكت الشيخ لحظة .. ثم يضيف ..

غريب انت ايها المقرور الخائف .. ومسكين كذلك ..

الخوف يقتلك .. ولا تدري ماذا تعمل ! ... لا يكفي ان تنظف شوارع القرية ..

- اعدك يا سيدي .. انني سأبدأ العمل .. منذ الصباح ..

- انا لست سيدك .. ولا ارضى ان اكون ..

- اذا سأعمل في الصباح ..

ويضحك الشيخ

- في الصباح .. اليس كذلك ؟ ..

- .....

ويضيف الشيخ بغضب .. وحدة

- اسمع يا هذا .. انني اقرأ ما في نفسك .. انت تزمع الرحيل .. لكني انهيك .. لا فائدة في الرحيل ..

ويتراجع الشيخ قليلا .. قليلا .. وهو يقول :

- لا فائدة في الرحيل ..

وفجأة .. يعود الشرخ قطعة من الجدار .. لكن بقعة الضوء الصغيرة تظل مرسومة عليه .

القصة الرمزية

عبر تيارات القصة الحديثة ، التي شقت طريقها الى ادب الشباب ، برز لون جديد من الفن القصصي ، كان زكريا تامر قد بلورة ، وجعله أشبه بمدرسة قائمة بذاتها ، ذلك هو فن القصة الرمزية الهادفة ، التي تقوم على اساس كامل من الحضور التاريخي ، يتم عن طريق دور عكسية للتاريخ ، بقصد معالجة الواقع وتصويره ، وقد برع " جمال ابو حمدان " (١) في هذا اللون فهو في قصته "يوم دفن الملك المنذر بن ماء السماء" (٢) يلمس الواقع ويشير الى بعض مفاسده ، وذلك عبر دورة عكسية للتاريخ تبدأ بيوم دفن الملك المنذر بن ماء السماء ، كما انه

---

١) أنظر قصصه : أمثولة الدينا صور / صوت الجيل / العدد الرابع / ص ٢٤ .
حكاية معاوية بن ابي سفيان / صوت الجيل / العدد الثاني / ص ٢٢ .

٢) أفكار / العدد السادس عشر / ص ٩٦ .

يعمد في بعض الاحايين الى كشف الواقع الفاسد عن طريق اناس عاديين ، يقابلهم في مكان ما ، كما في قصته " يوم الرحلة" (١) . وقد أعطى " محمود سيف الدين الايراني " رأيا مطولا بموهبة جمال القصصية اذ قال : " ان طابع جمال ابو حمدان ارادة التجديد ، ... والانحراف فيه ، فهو يميل كثيرا الى الرمز والسريالية والتجريد أحيانا ، وفي هذا خطر ومزالق اذا لم يكن الكاتب متمكنا من اتجاهاته ، واحسب ان جمال ابو حمدان يسير بخطى ثابتة نحو اهدافه القصصية في المجال الذي ارتضاه" ، . . . ، ويردف الايراني " ربما كان غيري اقدر مني على تذوق قصصه ، فان عددا من النقاد الشبان يرون انه يغلف قصصه بجو من الشعر حتى ليصبح جزءا أساسيا من المناخ القصصي ، ويرون كذلك ان قصصه في هذه المجموعة (٢) لها محوران هما : الجنس والمرأة ، وهذا صحيح فيما اعتقد ، كما ان جمال ابو حمدان يأخذ في ادائه الفني ، بتداعي الخواطر وتيار الوعي ، وتقطيع الزمن والرمز واسقاط التفاصيل والتداخل في الشخوص اثناء السياق" (٣) .

. . . ، وقد اخذنا نلمس - في الآونة الاخيرة - تبلور موهبة شابة تتعامل مع هذا اللون من القصة ، على أساس كامل من الحضور التاريخي المعاش ، تلك هي موهبة " يوسف صالح يوسف" الذي ينفذ في قصصه الى التاريخ وفق زاوية من الرؤية محددة ، ليقفز به الى اللحظة المعاصرة ، متخيرا من الماضي ما يخدم الحاضر كما في قصصه " الراكبون الى بيت المقدس" (٤) " الطروادي الصغير " (٥) . . كما ظهرت توجهات من هذا القبيل لدى " هند ابو الشعر " وذلك في قصتها " الخروج الى صفين " (٦) .

. . . ، الا ان " جمال ابو حمدان " يعتبر بحق ، رائد هذا اللون من الكتابة الابداعية وقد اختاره " عصام محفوظ " (٧) ليكون ممثلا عن الاردن في " دفتر الثقافة العربية الحديثة " الصادر عن دار الكتاب اللبناني ، الى جانب زكريا تامر من سوريا ، الطيب الصالح من السودان ، يوسف ادريس من مصر ، محمد زفزاف من المغرب ، توما الخوري وتوفيق يوسف عواد من لبنان ، وخالد الراوي من العراق . . . ، ويعلل اكثر الاراء تعريفا بجمال ابو حمدان ان يكون رأى

---

١) أفكار / العدد الثامن عشر / ص ٩٦ .
٢) يقصد مجموعة جمال ابو حمدان (احزان كثيرة وثلاثة رجال) الصادرة عن مواقف .
٣) ثقافتنا في خمسين عاما / ص ١٥٣ .
٤) الرأى / الجمعة / ٣٠ - ٨ - ١٩٧٤م .
٥) عمان المساء / العدد ٦٢٣ / ٢٤ - ٦ - ١٩٧٤م .
٦) ما زالت مخطوطة .
٧) ناقد وشاعر واديب وصحفي لبناني معروف .

الدكتور "فواز طوقان" الذي كتب يقول (١) : "جمال ابو حمدان ... اديب بمعنى الكلمة، لن تفهم قصصه الشعرية الا من قراءة واحدة، فاذا غابت عنك، اترك - جمالا - واستلم غيره وليس ذلك بعيب. . فاغلب الناس يحبون الاشياء على الخفيف اما اشياء جمال فعلى الثقيل الثقيل . . قرأته عرضا عام ١٩٦٧ وأقرأ احزانه الكثيرة وثلاثة غزلانه كل سنة مرة او مرتين، حقا انه رائع، فنان من الطراز الرفيع، حينذ الوتتاح لي الفرصة لاكتب عن قصصه شيئا اقربها الى الناس بحيث يفهمونه من القراءة الاولى والاخيرة . . درست كتابه في الجامعة سنتين وكان الطلبة يرفضونه او يقبلونه وفي كلا الحالين موقفهم جيد منه اذ ان الادباء الذين تضطر لاتخاذ موقف تجاههم قلائل . . اذا اردت ان تفهم جمال ابو حمدان على حقيقته اقرأ كتابه "احزان كثيرة وثلاثة غزلان" مبتدأ بقصة "الحلم" ثم انتقل الى آخر قصة وعد القهقرى واعتقد جازما انك ستقف عند قصته "الطوفان" طويلا . . وعند "سبارتاكوس" طويلا وعند "ابو ذر الغفاري" طويلا . . وستجد ان قصصه الشعرية ما هي الا مقالات في الحياة صاغها بترف لغوي عميق لا يتذوقه الا المتمرس على اللذة الفنية . . كم انا سعيد باكتشا في لقصص جمال وعثوري عليه في الأردن ولقائي به شابا في مقتبل العمر - حقا سا لتقي به كثيرا في المستقبل وسأسعد بما يعطينا من طعام فني لذيذ . . وجمال متنوع الاداء الفني . . فهو شاعر وهو قصصي وهو ناثر اديب وهو اول كاتب مسرحي معاصر في الاردن . . . وهذه الاراء الاخيرة في منتهى الجودة، لكن ظروفنا القاسية في الاردن حالت وما زالت تحول دون تمثيل مسرحياته امام الجمهور مع انها نالت الاعجاب الشديد والتقدير الصادق عندما مثلت في دمشق ونالت الجائزة الاولى في مهرجان المسرح المقام هناك . . واقول عن جمال انه احد ادبائنا المعاصرين الذين وصلوا الى حيث يريدون وبدأو الرحلة الطويلة في مياههم الاقليمية" .

. . . ، وقبل أيام من نشر الكتاب المذكور "دفتر الثقافة العربية الحديثة"، صدرت افكار وفي طياتها قصة من هذا القبيل بعنوان "لما فارقته الشمس" (٢) لمزمي خميس القاص الذي يظهر على الساحة المحلية لاول مرة . . اذ ينطلق القاص في قصته هذه من قاعدة "الحضور التاريخي" لشخص "هارون الرشيد"، مخترقا "اللحظة المعاصرة"، محللا في اجواء النفسية العامة للانسان العربي التي تقوم على اسس كاملة من العادات والتقاليد المتجذرة في النفوس والتي لا تتغير بتغير العصور . . ولا نستطيع ان نذهب بعيدا في تأويل هذه الموهبة ، ولكننا نتوقع -

---

١) عمان المساء/ العدد ٦١٩ / ١٨-٣-١٩٧٤م.
٢) العدد ٢٤ ص ١١٢.

اذا ما سارت على النهج ذاته - ان تأخذ شكلا مميزا يساعد على تعميق مجرى هذا التيار، وايا كان الامر، فان هذا اللون من الكتابة، يدل على دراية بالتاريخ وتفهم كامل للواقع، وبالتالي، لن يقدر عليه إلا الفنان الملتزم .

مختارات قصصية للقصة الرمزية

يوم دفن الملك المنذر بن ماء السماء
بقلم الكاتب جمال ابو حمدان

قطعت صمتا طويلا ، وقلت : "كان المنذر بن ماء السماء ملكا عظيما" (١) .
صاح بي : كيف عرفت ؟ انت دائما تبدي حماسا لامور تجهلها .
تقدمت منه بهدوء ، وعرضت امام وجهه كتاب تاريخ كنت اقرأ فيه .
ضرب الكتاب من يدي ، فالقاه ارضا ، وقال : "كل كتب التاريخ تكذب" . واندفع نحو الباب، ورماني عنده بنظرة حانقة ، ثم خرج . ولم اره بعدها لزمن .
اعدت الكتاب الى الرف ، ثم جلست في ركن معتم من الغرفة : ولحظتها تذكرت اليوم الذي جاءنا فيه نبأ موت المنذر بن ماء السماء .
توافدنا جميعا ، وتدافعنا حول القبر المفتوح لاستقبال جثمان الملك الراحل ، في انتظار وصول الموكب الجنائزي .
هناك حول فوهة القبر التقيت به لاول مرة . احتك كتفي بكتفه . نظر الي واعتذر ، فقبلت اعتذاره مبتسما غير انه زام مقبا ، إن لا يجدر بي ان ابتسم في مثل موقفنا .

---

(١) المنذر بن ماء السماء ، ملك من ملوك العرب في الجاهلية . قرأنا في المدرسة الابتدائية، انه ملك الحيرة بعد قتل الحارث الملك العربي المنافس في حروب دموية جرت بينها قبائل العرب . ثم حمي بني صخر بعد ان ساعدهم في قتل الملك حجر بن الملك الحارث . وحين قام الشاعر امرؤ القيس لثأر ابيه الملك حجر ، امتدت الحروب من جديد ، وكان المنذر عدوا لامرئ القيس وحاميا لخصومه وقاتلي ابيه . انما كان المنذر قويا بتبعيته لكسرى الفرس ، ومحميا منه . الامر الذي دفع امرأ القيس حين يئس من بلوغ ثاره ، الى اللجوء الى قيصر امبراطور الروم .
ولكنه مات بعيدا وغريبا ، دون بلوغ الثأر . ومات المنذر بعده .
وبقي كسرى وقيصر .
علاقتي به فنية . اذ حين قرأت عنه في المدرسة انما اعجبني اسمه كثيرا .

وحين وصل الموكب ، تدافع الناس كثيرون ، فدفعني بكتفيه ثانية ، فكاد يسقطني في القبر ، ولم يعتذر ، فحقدت عليه ؛

غير اننا عدنا وتعارفنا ، وصرنا اصدقاء ، بعد ان حدث في اثناء الدفن ما حدث .

فحين سجي جثمان الملك الراحل في القبر ، وقفنا حوله نتلو اشعائر الدفن ، وفيها مقاطع من الفاتحة الى جانب شعائر كانت معروفة في الجاهلية ايام المنذر ، ثم بعض التراتيل المعاصرة كلها مختلطة ، غير ان اصواتنا كانت خاشعة والحزن يغطيها .

وبدا الملك المسجى ملولا ، اذ توتر جسده واسترخى عدة مرات ثم حملق فينا واسما ، وراح يستعرضنا بنظرة في دورة واسعة حول فوهة القبر ، وبدت ظلال خفيفة من الازدراء ، تشوب بياض عينية ، فراح يبتسم ، حتى كاد ينفجر ضاحكا .

ولما كنت غير قادر على رؤية المشهد من وجهة نظره أزعجني الامر ، وفكرت : الا يستطيع الانسان ان يحترم لحظة موته على الاقل .

هنا سحبتني يد من الخلف بقسوة ، استدرت فاصطدمت عيناي الهلعتان بملامح جافة لرجل سمعني وانا افكر ، فلكمني على كتفي ، وقال : " انه ليس انسانا ايها الصعلوك . انه المنذر بن ماء السماء " .

وخشية ان نعكر جلال الموقف ، تركني الرجل متوعدا : " ساصفي حسابي معك " .

حاولت ان اعود الى مكاني غير انني وجدته محتل من الشاب الذى كان يدفعني بكتفه . ومكانه قد احتل من جاره .. وهكذا .

اما الرجل القاسي الملامح فلم يصف حسابه معي ، اذ ان جلال الموقف انساه الامر برمته .

وقد بقيت في الصفوف الخلفية وعلمت انه قد حدثت عند حافة القبر امور لم تتكشف لي تفاصيلها في نفس اليوم .

فبعد ان انفجر المنذر من الضحك ، تجهم في وجوه القوم ، ثم تحسس سيفه ، ورفعه الى اعلى .

(وكانت العادة في كل الجاهلية ، ان يدفن سلاح الملك معه ، وقد امتدت تلك العادة بعيدا في الزمن ، ولولا ان تم استبدال السيف باسلحة لا يمكن دفنها في رطوبة القبور ، لما هجرت تلك العادة) .

رفع المنذر سيفه ، ولوح به . ثم غمز بطرف عينه احد الواقفين ومد اليه السيف ، وهتف به : " خذه . اعبك اياه . اضرب فيه في ساحة الوغى ، وتذكر انه سيف المنذر بن ماء السماء " .

وبدل ان يمد الرجل يدا لتناول السيف . راح يرتجف ، واخذت اسنانه تصطك .

غمغم المنذر : " ايها الجبان " . ومد سيفه الى رجل آخر ، فلم يتناوله وتراجع هاربـــا .
وراح السيف يدور على الجميع ، دون ان يمد احد يدا اليه . وكان الكل يتراجعون بخـــوف ظاهر ، فلم يبق غير قلة على حافة القبر .
" وقد احتقنت اوداج المنذر ، وراح يرغي ويزبد " .
وهنا تقدم شيخ من حافة القبر ، فوقف فوق رأس الملك الراحل ، وخاطبه برباطـــة جأش مباغتـــة :
" يا مولاى ، لا حاجة بأحد للسيف . لقد انتهت الحرب " .
صاح المنذر : " لكن ، اريد رأس ذلك الملك الضليل " .
قال الشيخ : " لقد مات امرؤ القيس قبلكم " .
زمجر المنذر : " الجبـــان ! راغ منـــي ، ومات بعيدا عن حد سيفي " .
قال الشيخ : " بل ترك قبل ذلك القتال . ونسي ثار ابيـــه وعاد الى الخمر والشعر " .
وهنا ارتفع صوت رقيق مبطوط من الخلـف : " لقد نظم قصائـد على قبر غريب . وتذكـــر فاطمة ، ثم مات " .
زمجر المنذر محنقا : " ليكن . اريد ان ينبش قبره ، ويقطع رأسه بسيفي " .
قال الشيخ : يا مولاي . تقاليدنا لا تسمح بنبش القبور .
استشاط المنذر غضبا ، وصرخ : " هل تعلمني تقاليدنا ايها الرجل . اين قبره " .
وكان الشيخ طوال الوقت يتفرس في وجه الملك الراحل ، وحين احس انه يشارف على الانفجـــار بالبكاء ، كظم غيظه وقال بهدوء : " لا أحد يعرف . لقد مات وهـو عائـد من عند قيصر " .
وما ان سمع المنذر الاسم حتى تيبست ملامحه ، وبعدها انهال بسباب مقذع ، ثم صاح :
" قيصر ! ابن حجر يستعدي على قيصر . ويل له " .
وهنا تقدم محاضر في القانون الدولي ، جاء خصيصا للاشتراك في مراسيم الجنازة ، فعـــدل وضع نظارته ، وقال : " يا مولاى . تعرفون انه ما كان له ان يذهـب الى كسرى العظيم . فكسرى كان يحميكـم " .
انتفض جسد المنذر انتفاضة عنيفة ، وصرخ : " كسرى يحمينا . اللعنه عليك " . ثم توجـــه بخطابه الى الجميع : " انكم تستغلون ما اعطيناكم من الديمقراطية ، لقذف هذه الادعـــاءات في وجهنا . عليكم اللعنة جميعا " .
ولو لم يكن المنذر بن ماء السماء ميتا ، وغير قادر على النهوض بحكم ذلك ، لوثب واعمـــل سيفه في رقاب القوم .
غير انه بدا في حالة مريعة من الهيجان ، وحين بدا يهدأ زاغت عيناه عبر فوهة القـــبر . وراح يردد :

" كنتم تتملقوني . كنتم مع امرئ القيس . تحفظون شعره ، وقلوبكم معه ".

ثم صار جسده يرتعش، فانقلب على وجهه في قاع القبر ، واجهش بالبكاء . وكان نشيجه يسمع عاليا ،

كنت في مكاني اسمع اصواتنا . ولكني غير قادر على معرفة جلية ما يجري . وقد عرفت التفاصيل فيما بعد ،

اذ بعد الذي حدث، ابتعد القوم معشرين في كل اتجاه وكل منهم مثقل بهم ، تاركين القبر مفتوحا والملك المنذر مسجى فيه دون ان ينثروا فوقه التراب . والسيف ملقى في زاوية القبر ، ورأسه مغروس في التراب الرطب .

وقد لحقت بالشاب الذي احتل مكاني ، وسألته : " ماذا حدث ؟".

قال : " ولماذا اخبرك ، كنت هناك ".

قلت : لم اسمع كل شيء .

قال : يكفيك ما سمعت .

قلت : لم اعرف شيئا تقريبا ، كنت في الصفوف الخلفية.

قال : نلت نصيبك هناك .

قلت : انت اخذت مكاني .

قال باستخفاف: " لا تبدأ باللوم . لانك غير قادر على الاحتفاظ بموقعك ".

فافترقت عنه مهموما .

وفي فجر اليوم التالي ، رجعنا نتوافد على القبر ، فوصلنا جميعنا كانما على موعد ، لنكمل مراسيم الدفن ، ونهيل التراب على الجسد المكشوف .

وقد راعنا ان وجدنا ان القبر قد غطى بالتراب ، وسوى جيدا ، ووضع عليه الشاهد .

وظلت الحيرة معلقة فوق رؤوسنا في موقفنا ، وبعد فترة صمت ثقيل ، وقبل ان يتساءل احد بصوت مرتفع عن الامر ، راح الناس يتراجعون مبتعدين .

وكان مصير السيف يشغل بالهم جميعا : " هل دفن مع الملك ؟ ام اخذ بعيدا ؟".

ولم يجرؤ احد ان يرفع ذرة من تراب القبر من مكانها .

وتفرق الجمع بهم اكثر ثقلا من هم الامس . اذ كيف سيعرف مصير السيف ! ففي ذلك الزمان كانت سرقة قبور الموتى منتشرة ، ولم يكن القانون يعاقب عليها .

وفيما كان الناس ينصرفون ، لمحت الشاب ثانية ، فحاول ان يروغ مني ، غير اني لحقت به ورجوته ان يسمع لي . فقال انه لن يزيد شيئا على ما قاله بالامس.

قلت : " ولكن ماذا تعتقد بشأن السيف ؟"

استدار ، ورمقني بغضب ، ثم امسك بكتفي ، وراح يهزني بعنف : " ولماذا تسألني ، كيف اعرف".

قلت بعد ان هدأ : " اقسم ، لم اقصد سوءا . ولكنك انت الذى اخذت مكاني ".

همهم بنفاذ صبر : هووه ، ومشى .

لحقت به وامسكت بيده ، ورجوته اتوسل اليه بضعة :

" قل لي شيئا . كيف اكون شاهدا على حدث لم اعرف تفاصيلـــه".

نفض يده ، وقال : انصرف عني . إنك تضايقني ".

توسلت : ارجوك .

استدار الى الوراء حيث خلفني ، وقال : " اسمع هل تنصرف اذا اختصرت لك الامر؟ : كـان المنذر بن ماء السماء ملكا عظيما ، . ثم مات ".

وتركني ومشى . فركضت حتى تجاوزته ، ثم واجهته ، وركعت كما رأيت فرسانا في القرون الوسطى يفعلون وقلت بحماس : " ملك عظيم ؟ بالطبع أنا ايضا كنت دائما مولعا باسمه . كنت احـب رنة اسمه الشجيـــة ".

انفجر ضاحكا وقال : " هل انت شاعر ؟ "

انست لضحكته ونهضت : لماذا ؟

قال : الشعراء يتحدثون هكذا ؟

وما كاد يكمل عبارته ، حتى احسست بقبضة عنيفة على كتفي تجرني الى الوراء .

وحين استدرت رأيت وجها قاسي الملامح صرخ بي : انت شاعر ؟

اخذت ارتعد ، وتيبس حلقي فلم اقوى على الاجابة ، فتقدم الشاب ، وقال محاولا اقناع الرجـل الممسك بي : " لا انما كنت امازحه . لا يمكن ان يكون شاعرا . بل يبدو رجلا طيبا ومسالما".

فتراخت القبضة على كتفي ، وقال الرجل بخشونة : سأتركه بكفالتك ، ولكني سأصفي حسابـــي معـــه " .

ولم يصف حسابه معي حتى الساعة .

اما الشاب الذى صار صديقا ، فان الموقف قربني منه ، اذ بدوت في حالة من الذعر ، أحـــس هو انه قد سببها لي .

فسرت الى جانبه ، وبعد قليل ، راح دون ان ارجوه يروى لي تفاصيل ما حدث عند حافـــة القبر . ولم اعد حانقا عليه لانه احتل مكاني .

وحين وصلنا الى غرفة احدنا ، دخلنا وتناولنا مشروبا ، وتحادثنا طوال الليل حول المنـــذر بن ماء السماء ، فاختلفنا وتلاقينا ،

وصرنا كل يوم نلتقي ، نتحدث عن الملك المنذر ، وحين نصل نقطة افتراق نتناقش بحـــرارة وحـــدة .

غير ان ما كان يشغلنا انما كان امر السيف ؟ اذ كنت اعتقد انه سرق من القبر . وكان هو يرى انه دفن مع الملك . ثم احيانا أرى انه دفن مع الملك . وكان يعتقد ان السيف لا بد انه سرق .

هكذا صار لدينا موضوع مشترك نقاسم جميع الناس الاهتمام به . ونتحادث حوله ؟ فنختلف ثم نتفق فنشرب فرحين باتفاقنا .

وتصرفت ازمان علينا . وبين يدينا قضية تخصنا .

وذات يوم تحاورنا حتى سقطنا من الهياء في صمت مطبق . وحين عدنا نلتقط انفاسنا قال : " اراهن ان السيف سيظهر يوما ، لا بد أنه سرق . وعلينا ان ننتظر الزمن الذى سيظهرفيه . لا بد انه يطوف الان من يد إلى يد . وسيظهر يوما في يد لتعرف فيها اليه".

قلت ، وما زلت الهث تعبا ، إذا كان نفسي اقصر منه : " لا اظن . لقد دفن . فالمنذر قادر ان يمسك به ميتا بنفس القوة التي امسكه بها في حياته ".

قال ستري :

وصمتنا ، ورحنا ننتظر ، والايام تمر ، حتى اختلفنا على الصورة الجارحة التي رمى فيها كتاب التاريخ من يدى ، فافترقنا لزمن طويل .

منذ زمن فتح الباب ، وكنت ما ازال جالسا في الركن المعتم ، اتذكر وأتأمل .

دخل منذفعا ، وقال بحماس : أرأيت ؟

ورمى امامي كوما من الصحف بلغات متعددة ، غيرانني لم اتناول ايا منها ، اذ ان مكاني في زاوية شحيحة الضوء ، لن يمكنني من القراءة .

فاكمل بحماس : " قلت لك سيظهر . انه سرق ، وها هي اشارات ظهورة ".

اما انا الذى كنت اثناء غيابه قد فقدت حماسي ، فلم اقل شيئا . فأكمل : " الكل يتحدثون عن ظهورة . وبلغات مختلطة . انهم يصورونه باشكال مختلفة ، ولكن لا بد ان يكون نفس السيف " .

قاطعته بوهن ، وندمت : " وما ادراك انه هو " .

وكنت اراقبه ضدا مرتبكا قليلا : " أظن . لا بد ان يكون هو نفس السيف . اعتقد . الامر واضح . بالتأكيد . الا ترى إن الامر واضح ".

لم اجب . فقال : " لا بد إن يكتشف الامر لك . انتظر . سيكتب التاريخ . التاريخ لا يكذب ".

فتحت عيني على اتساعهما ، وبقيت صامتا .

ويبدو ان صمتي قد غاظه ، فقال : " لن تصدق . اعرف حقيقة مشاعرك . كنت دائما تحب امرأ القيس ". ارتعدت خوفا ، واكمل : " بل انت نفسك شاعرا ".

فالتصقت بالجدار . ثم قال بحيوية متجاهلا خوفي " سآتيك انا ، انا بنفسي ، بالخبر اليقين ، وسترى وستقرأ بعد اجيال عن ذلك . الامر واضح " .

استدار . واندفع خارجا .

وحتى الان لم يعد . في بداية الامر بقيت خائفا ، وملتصقا بالجدار لزمن طويل . وحين استطعت ان اتحرك واصل الى الزاوية ، بقيت خائفا ان يرسل الي احد الرجال يجرني خارجا من الزاوية التي اقبعها . وما زلت خائفا .

ولكني الان ، اجلس غالبا في نفس الزاوية الشحيحة الضوء ، انتظر واتذكر ، وحين اكون قادرا على نسيان يوم دفن الملك المنذر بن ماء السماء ، اذهب بعيدا وأتأمل .

الرومانسية المتجددة

يكاد تيار الرومانسية المتجددة يغلف نتاج نصف الحركة الادبية الشابة ، على صعيد الشعر والقصة ، ويتمثل هذا التيار - على صعيد القصة - بمجموعات " فايز محمود " ، " مفيد نجيب " ، " عصام موسى " القصصية ... ، اما مجموعة " فايز محمود " (١) فتتكون من عشر قصص قصيرة ، يرتبط تسع منها بخيط نفسي واحد ، وتعبر عن ظاهرة الاغتراب النفسي التي يشعر بها انسان القرن العشرين ، وتدور في مجملها حول بطلها " محمود " وحبيبته " انعام " ، وقد بالغ الكاتب في لغته ، فاعتمد اسلوبا انشائيا بات - في عالم القصة الحديثة - غير مستحب ، كما طغت الحكم والتعابير الفلسفية والجمل الخطابية على السطح .

... هذا ، وقد اعطى الايراني تصورا عاما لموهبة فايز محمود القصصية فقال : " وفايز محمود يرتفع حينا ويهبط حينا ، يجيد الوصف ولكنه يغرق فيه ، وقد يقع على صور تعبيرية جميلة وموجبة ، ولكنه يزج بشخوصه في مواقف مستحيلة ، وتأخذ عليه الخطرات النفسية سبيله جميعه ، وهو لم تمكن من تركيز هذا كله وضغطه لبلغ شأوا بعيدا في الاجادة " . (٢)

... الا ان رأي الايراني هذا انما ينسحب على ما قرأ من قصص للكاتب قبل ان يصدر مجموعته ، ذلك ان كتاب " ثقافتنا في خمسين عاما " - وفيه اورد الايراني رأيه - قد صدر عام ١٩٧٢ ، وبينما صدرت مجموعة " فايز محمود " القصصية عام ١٩٧٣م ، الامر الذي يؤكد استحالة اطلاع الايراني على بعض النقلات الموفقة لفايز محمود من بحر الرومانسية الى شواطئ الواقعية - كما في قصة " طريق جيمس الى العاصمة " . .

---

١) ثقافتنا في خمسين عاما / ص ١٥٥ .

٢) نشر رأيه في الرأي / الاثنين / ٣٠/٤/١٩٧٣م / ص ٨ .

. . . ، ولعل رأي " خليل السواحري" (١) في مجموعة " فايز محمود " ان يكون من اكثر الاراء التي كتبت في هذه المجموعة اجحافا ، ربما ، لأن خليل السواحري قد وقع تحت تأثير فرضياته المسبقة عن هذا الكاتب ، ذلك انه قدم لنا المؤلف على انه كاتب مقالات فلسفية ، يحلق كثيرا في بعض المعضلات الميتافيزيقية البحتة ، معتمدا في ذلك على بعض المقاطع الفلسفية التي يوردها المؤلف في السياق ، والتي تنسجم في معظمها مع القلق الذي يغلف شخوصه ، وانطلاقا من فرضيته تلك يجزم السواحري بان " العبور بدون جدوى " : " امتداد لتلك المعالجات النظرية ، شبه المعقدة والغامضة والتي سبق وان طرحها فايز في كتابه السابق " الحقيقة بحث في الوجود " الصادر عام ١٩٧١م. ثم يتدارك السواحري رأيه هذا ، فيجعله ينسحب على سبع قصص فقط ، ويبرأ ثلاث قصص هي " الانواء "، " الحنين" و " طريق جيمس الى العاصمة " ، فيعتبرها - لخلوها من المقاطع الفلسفية - خير ما ضمت هذه المجموعة من قصص ، فكأني بالزميل خليل ، يعلن عن رفضه للادب المتفلسف ، ذلك انه يعتقد ان" محاولة شرح النظريات الفلسفية ووجهات النظر الفكرية المجردة ، يحتمل في طياتها اخطار الانزلاق وراء التجريد وتحويل العمل الادبي الى اوعية ميتة واطر جامدة يحشوها الكاتب بالاراء الخارجية والتي تطفح بدونها فنيه او حياة على لسان ابطال القصص او المسرحيات دون وجود ما يبرر هذا الطفح في سياق الحدث او الشخصية او الموقف الذي توضع فيه تلك الشخصيات، وعليه فان رفض السواحري لهذا النوع من الادب ، وبالتالي ، رفضه لمجموعة فايز محمود ، انما يعود الى تصور مسبق ، غير دقيق ، يقوم على ان الفلسفة لا تصلح لان تكون ميدانا للابداع الادبي ، وكرد على الكاتب السواحري نقول : ان زاوية الرؤية التي يختارها الانسان ، ليقف فيها ، ويحدد وفقها توجهاته وتطلعاته ، تعتبر بحكم المنطق " فلسفة" ، ذلك لان الفلسفة شيء نسبي ، لا يرتبط باصطلاح او باوعية خاصة ، فكتابات " نجيب محفوظ" الاخيرة - كثرثرة فوق النيل وما تلاها - تعتبر من اكثر الاعمال الادبية ، العربية ، طرحا لموضوعات الفلسفة ، كما ان الواقعية - حتى تلك التي يؤمن بها السواحري - لا تزيد عن كونها " فلسفة" ، وعليه فان حكمنا على عمل ادبي ما بانه يتضمن فلسفة او لا يتضمن ، لا يرتبط اطلاقا ولا يجوز ان يرتبط بعدد الاصطلاحات الفلسفية التي وردت فيه .

. . . ، هذا ولمسنا اصداء رومانسية " فايز محمود " في مجموعة " عصام

موسى " (١) القصصية ، اما مجموعة القاص " مفيد نحلة " (٢) فتسير قصصها عبر خيط بياني واحد ، يبدأ بمقدمة وينتصف بحبكة وينتهي بخاتمة ، وقد حرص الكاتب على اعتماد هذا الخط في قصص المجموعة بكاملها ، كما اعتمد اسلوبا انشائيا اقترب في معظم تشبيهاته من الشعر ، كما كانت افكار قصصه - في غالبيتها - حكايا عاديه ، تقوم على الثأر والاخذ به ، أخفق الكاتب في تلوينها واعادة تصويرها على ضوء من مفاهيم القصة الحديثة .

وايا كان الامر ، فان " فايز محمود " سيظل على رأس كتاب القصة عندنا ، بالرغم من مفهومه الخاص للواقعية (٣) . . . وتجدر فيّ الآن كلمة كتبها " صبري حافظ " في الاداب ، وفيها يعطي رأيه النقدي في واقعية فايز محمود التأملية (٤) ؛ وفي هذه القصة (٥) نلمس قدرة على خلق المفارقات واحساسا جيدا بالسخرية من تفاصيل الحياة اليومية المألوفة يذكرنا بالكاتب الامريكي المعاصر " صول بيلو " في روايته " مغامرات اوجي مارس " و " هندرسون ملك الامطار " حيث تبلغ هذه القدرة على التقاط المفارقات وعلى السخرية من الجزئيات اليومية المألوفة ذروتها ويتحول صفاؤها الى شيء كالشعر العذب الحاد الذي يعبر بعمق وشفافية عن ذلك التمزق في الحساسية الذي تحدث عنه " .

---

١) حكايات الفارس المدحور / نادي خريجي الجامعة الاردنية / ١٩٧٣م ، هذا وقد اختلف بعض الكتاب في توجهات عصام موسى القصصية ، فالايراني في " ثقافتنا في خمسين عاما " ص ١٥٥ يرى " ان القصة عند عصام موسى هي قصة اللحظة النفسية كما نلمس ذلك في قصة " الحرب والزجاج " وهو ماهر في التركيز وحشد التفاصيل ، بلمسات سريعة ، لكي تتجمع كلها وتؤدي الى بؤرة اللحظة الحاسمة في القصة " . . اما ابراهيم خليل فكتب في (الرأى) يوم الاثنين الموافق ٢١-٦-١٩٧٣ يقول : " ان عصام موسى في مجموعته يقدم للقارئ قصة قصيرة جميلة شكلا ولغة ورومانتيكية مضمونا وافكارا واحسب لو ان الكاتب استطاع ان يجد لنفسه مجال رؤية فنية واقعية لجاء بقصص اكثر جمالا وقوة " . . . وهنا نلمس التناقض الكبير في رأى الناقد فهو قد جعل مجموعة عصام موسى تنتمي للرومانسية الحديثة ولكنه حين شرع يتحدث عن قصص المجموعة ، خاصة " الحرب والزجاج " اعتمد كلية على رأى الايراني السابق الذى يعتبرها من قبيل القصص السيكولوجية ، ترى ، كيف يمكن ان تكون القصة رومانسية حديثة وسيكولوجية تحليلية في آن واحد !

٢- حكاية للاسوار القديمة / جمعية عمال المطابع التعاونية / عمان / ١٩٧٣م .

٣- ذلك انه يرى ان الواقعية يجب ان تنبع من الذات اولا ، وقد بلور رايه هذا في الاستفتاء الذى طرحته مجلة الطليعة في ديسمبر عام ١٩٦٩ . . وقد تصدى " فاروق وادي " للرد على الكاتب وذلك في الطليعة / آذار / ١٩٧٠ / السنة السادسة .

٤- الآداب / العدد الثالث / ١٩٧٠ .

٥- يقصد قصة " الحنين " التي نشرتها الاداب في العدد الثاني من السنة نفسها .

مجموعة قصصية على غير مثال

تعتبر المجموعة القصصية " حين لا ينفع البكاء " (١) للقاص الشاب " احمد عودة " من اكثر المجموعات القصصية الشابة المطروحة في الاسواق ، تميزا وغرابة .. ، فعلى صعيد الشكل ، عمد الكاتب الى اسلوبين في كتابة القصة ، اسلوب القصة القصيرة ، العادية ، التي تقوم على ثلاثة عناصر ، الحادثة ، الحبكة ، الخاتمة ، وهو الاسلوب الذي بلوره الكاتب المعروف " موباسان " .. ، واسلوب القصة التحليلية التي لا تقوم على حبكة ، ولا على حادثة ، ولا ترى ضرورة للخاتمة او النهاية ، وانما تعتمد على تحليل الشخصيات ، وهو الاسلوب الذي بلوره وطوره الكاتب الروسي المعروف " تشيخوف " ، اقول : عمد الكاتب الى هذين الاسلوبين والتزم بعناصرهما الفنية ، التزاما دقيقا ، جعله يركز على الحوار في قصة " حين لا ينفع البكاء " كي يكشف الحبكة المفككة - مع الاشارة هنا الى ان تفكك الحبكة ليس عيبا لان تماسكها لا يتحقق الا في القصص البوليسية كقصص أجاثا كريستي - ويتكلف النهاية في قصة " قيثارة الشباب " كي يكتمل الشكل التقليدي للقصة ، ويقحم نفسه بين الفينة والفينة في قصة " جرس انذار " كي يوضح او يفسر أو يحرر . وهو الى جانب هذا يجفل كثيرا باللغة والتعابير ويختار من الالفاظ اقواها والتشابيه اكثرها تصويرا للموقف .. ، انه لعمري يذكرني بصاحب " مدام بوفاري " الذي كان يكتب في اليوم خمسة اسطر كي لا يقع في خطأ نحوي او لغوي ، ولا يقتصر الشبه بينه وبين " فلوبير " على هذه الناحية ، بل يتعداه الى الحرص الشديد على الباس اللغة والتعابير ثيابا مميزة ، انظر مثلا قوله " فيسألني بضحكة دفعت للفم ضريبة باهظة " (٢) ، او قوله : " ترتعش السيجارة بين اصابعه ، ينحبس في بهوه الدخان ، تهاجمه رغبة في السعال ، تخونه اعصابه في تحقيق هذه الرغبة " (٣) أو " من يسمع تغريد البلابل لا يهمه ان لم يكن لها فراخ " (٤) أو " ان روث الحمائم لا يسقط الا على رؤوس من ليس على رؤوسهم شعر " (٥) ... ، وهو يحرص ايضا على ان تكون شخصياته ناضجة غير ثابتة ، بمعنى ان الاطار العام للشخصية لا يكتمل الا في الاسطر الاخيرة ، كما في قصة " الثأر " ، " احلام بالمزاد " ، " الجسر " ، وشخوصه كذلك اكثر حياة من الذين نعايشهم ، وقد ظهرت هذه الحيوية في معظم قصصه ، خاصة تلك التي اعتمد فيها على الحوار اعتمادا كبيرا ... ، اما في قصصه الانسيابية " احلام بالمزاد " - الانسياب جاء بضمير المتكلم - و " وجه ذو ابتسامة تتكرر " - الانسياب جاء بضمير الغائب - فقد وفق الى

---

١) صدرت في عمان عام ١٩٧٣ عن مكتبة الشرق ومطبعتها في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط.
٢) قصة الظل الاعوج / ص ٣٦.
٣) قصة وجه ذو ابتسامة تتكرر / ص ٦٢.
٤) قصة مهرجان الشمس / ص ١١٢.
٥) قصة باقة ورد / ص ٧٠.

ابعد حد في التفاعل والتكافؤ مع حياته الباطنية واجاد في وضع هذه الحياة ، وهذا التفاعل على الورق ، دون ان يعمد الى عرض التجارب الباطنية عرضا ، قصصيا ، تمثيليا ، القصد منه ، معالجة العالم الخارجي . . ، وهو كذلك لا يأبه كثيرا لنهايات قصصه الانسيابية - خاصة في وجه ذو ابتسامة تتكرر - لأن الحياة مواقف ، منها ما نهاية له ، ومنها مالا نهاية له ، سئل " تشيخوف " : واين الخاتمة ؟ ، فأجاب : وهل لكل موقف من الحياة خاتمة ؟ ! . . .

. . ، اما المضمون ، فيكشف لنا عن حقيقتين لا جدال فيهما ، الاولى : ان الكاتب " احمد عودة " قاص من الدرجة الاولى ، لديه الموهبة الحقيقية والدربة ، والثانية ، ان الكاتب لا يمتلك موقفا واضحا ، معينا في الحياة . . ، ولتوضيح هاتين الحقيقتين أقول : تسير قصص " احمد عودة " ضمن تيارات مختلفة ، فتارة هي واقعية ، كما في "حين لا ينفع البكاء" ، " قلب العاصفة " ، " السقوط " و " جنازة الشتاء " . . وتارة هي رومانسية ، كما في " قيثارة الشباب " ، " الظل الاعوج " " باقة ورد " و " مهرجان الشمس " . . ، وتارة هي واقعية سيكولوجية كما في " احلام بالمزاد " ، " وجه ذو ابتسامة تتكرر " . . وتارة هي واقعية اشتراكية كما في " الثأر " ، وتارة هي رمزية ، كما في " الدم في بحر الصمت " و " الصبية والعصافير " .

. . ، هذه التيارات المختلفة ، وان كانت تنم عن مقدرة في الكتابة ، الا انها - بأي حال من الاحوال - لا تنم عن قضية واضحة التزم بها صاحبها ، فهو في قصة " حين لا ينفع البكاء " ، يصور محاولة فاشلة لتغيير الواقع ، يقوم بها بطل واقعي يعيش في مجتمع متخلف ، يؤمن بالذاتية والفردية ، وهو في قصة " قلب العاصفة " يصور الصراع بين القديم والجديد ، مع ايمان ظاهر بالجديد ، ورفض القديم ، ولكنه في قصته " قيثارة الشباب " ، ينداح الى سرداب رومانسي واضح مقيت ، لا تشفع له وقفة الأولاد الجماعية ضد القديم ، المتمثل بآراء الأم في قصة . . . " الثأر " . . . وهو في قصته " النوم في بحر الصمت " يترك القارئ في دهاليز الرمزية المطبقة والذهنية المحلقة ، . . . ، ولعل التناقض الشديد في المواقف ان يظهر لك اكثر في قصته " العودة الى الارض " و " قلب العاصفة " ، اقول : ان كانت هذه التيارات تنم عن مقدرة الكاتب وتكشف عنها ، فانها لا يمكن ان تكشف عن موقفه وخطه ، ان الالتزام بقضايا الجماعة الذي تمثله قصة القادري يتناقض مع رومانسية المعلم العجوز وغراميات زوجته الشابة ، وان الرفض والتحدي الذي تمثله الام في " وجه ذو ابتسامة تتكرر " لا يمكن ان يتفق مع سلبية " يوسف " في " باقة ورد " . . . . وبكلمة اخرى ، الرفض والتحدي ، السلبية ، التشاؤم ، التفاؤل ، الايمان بالجماعة ، تقديس الفردية ، العموم في دهاليز الرمزية ، التمسك على ارصفة الواقع ، كلها امور يستحيل صدورها عن الفنان الملتزم ذاته . . ، وهنا يكمن التميز وتتبلور الغرابة . (١)

---

١) من مقالة نشرها المؤلف في جريدة اخبار الاسبوع الاسبوعية يوم الخميس الموافق ٢٣/٥/١٩٧٤ .

وبعد ... ان التيارين اللذين يغلفان الحركة القصصية عندنا ، يسيران بشكل رئيسي في مجريين ... ، المجرى الواقعي بروافده المختلفة من مرآوية مبتكرة الى فنية اصيلة الى اشتراكية مضطربة ، الى فائقة ، تتجاوز الواقع لتنداح في دهاليز سريالية ... ، والمجرى الرومانسي ، بروافده المختلفة ، من تشاؤمية واضحة الى فلسفية تأملية الى تحليلية نفسية .

... ، وبين هذا وذاك ، نجد مجموعة احمد عودة ، تعمل على تعميق مجرى ثالث لا هوية له ، تتشرب مياهه تارة الى المجرى الأول وتارة اخرى الى المجرى الثاني .

... ، والراصد لشتى التيارات هذه يستطيع ان يدرك بأن التيار الواقعي سيثبت اقدامه في الساحة .... وستتنامى بذوره في التيارات الرومانسية التي ستنقله الى مجراه الاصلي ، كما ظهر في قصة فايز محمود " طريق جبس الى العاصمة " .

ملاحق الرسالة

الملحق الأول

التعريف بالأدباء المجلسيين الذين وردت لهم نصوص في هذه الرسالة

الملحق الثاني

مختارات شعرية ونثرية

١. ابراهيم عبد الرحمن الخطيب :

١. ولد في قرية زكريا سنة ١٩٤٥

٢. تخرج من جامعة سوريا سنة ١٩٦٨ من قسم التاريخ .

٣. بدأ يكتب القصة سنة ١٩٦٩ وبدأ بنشر قصصه في الصحف المحلية والمجلات سنة ١٩٧٣ ،

٤. يعمل في سلك التعليم .

٢. ابراهيم العبسي :

١. من مواليد الدوايمة سنة ١٩٤٥.

٢. انهى دراسته الثانوية في مخيم عقبة جبر سنة ١٩٦٤.

٣. تخرج من معهد معلمين حوارة عام ١٩٦٨.

٤. يكتب القصة القصيرة من عام ١٩٦٥.

٥. نشر معظم انتاجه القصصي في مجلة .. افكار .. ومجلات عربية اخرى .

٦. له مجموعة قصصية " الطير الرمادى " .

٣. أحمد عودة :

١. ولد في قرية أذنة عام ١٩٤٥.

٢. انهى دراسته الثانوية عام ١٩٦٣.

٣. حصل على دبلوم التأهيل التربوى عام ١٩٧٥.

٤. يمارس كتابة القصة القصيرة من عام ١٩٦٦ ، وبدأ ينشر انتاجه من عام ١٩٧٣.

٥. له مجموعة قصصية بعنوان " حين لا ينفع البكاء " .

٤. أنـــور أبـــو مغلـــــي :

١. ولد عام ١٩٤٥ في مدينة نابلـس .

٢. انهى دراسته الجامعية عام ١٩٧٤.

٣. بدأ ينشر نتاجه القصصي من عام ١٩٧٠ في الصحف والمجلات العربية .

٤. له مجموعة قصصية تحت الطبـــع .

٥. خليـــل قنـــديـــل :

١. ولد عام ١٩٥١ في مدينة اربـــد .

٢. انهى المرحلة الثانوية سنة ١٩٧٤.

٣. بدأ اهتمامه بالادب سنة ١٩٦٧.

٤. نشرت اول قصه له عام ١٩٦٧.

٥. يكتب في الصحف المحلية والعربية والمجلات العربيـة .

٦. روكس العـــزيـــزي :

١. ولد في مدينة أربد سنة ١٩٠٣. وهو من عشيرة العزيزات المعروفة بمساندتهـا للفتـــح الاسلامـــي .

٢. امضى في تعليم اللغة العربية وآدابها ستا وخمسين سنة في الضفتين .

٣. عصامي ثقف نفسه بنفسه ,

٤. له مؤلفات عديدة قيمة، تزيد عن ثلاثين مؤلفا اهمها " المنهل في تاريخ الادب العربي وقاموس العبادات واللهجات والاوابد الاردنيـة .

٥. عضو مراسل لمركز الابحاث التنولوجية في باريس .

٦. من اعضاء رابطة الادب الحديث في القاهرة .

٧. عضو في جمعية التقارب المسيحي الاسلامـي .

٧. عدنان علي خالد :

١. ولد في يازور سنة ١٩٣٧.

٢. هاجر مع اهله الى عمان عام ١٩٤٨.

٣. عام ١٩٥٨ كتب اول قصة وكان حينها في العراق .

٤. له اعمال قصصية منشوره في الصحف والمجلات واعمال كتابية اخرى .

٨. عزمي خميس :

١. ولد في يافا عام ١٩٤٦.

٢. انهى دراسته الثانوية في عمان ١٩٦٤.

٣. مارس العمل الاذاعي والاعلامي والصحافي كمذيع وكاتب في الاردن والخارج .

٤. بدأ حياته الادبية بكتابة الشعر حيث نشرت له مجموعة من القصائد في الصحف والمجلات العربية ، اضافة الى مجموعة شعرية مشتركة عام ١٩٧١.

٥. اتجه في السنوات الاخيرة لكتابة القصة القصيرة حيث نشرت له مجموعة من القصص في الصحف المحلية ومجلة " افكار " .

٦. ألف واعد عددا من المسرحيات ، بعضها معد للعرض وبعضها مازال مخطوطا .

٩. عصام موسى :

١. مواليد عام ١٩٤٤.

٢. تخرج من الجامعة الاردنية عام ١٩٦٦ في الاداب الانجليزية .

٣. عام ١٩٧٠ حصل على درجة الماجستير في الاداب الانجليزية من الولايات المتحدة .

٤. يعمل في التدريس والصحافة.

٥. اصدر مجموعة قصصية " حكايات الفارس المدحور " منشورات خريجي الجامعة الاردنية - ١٩٧٢.

٦. يعمل حاليا في دولة قطر في وزارة الاعلام .

٧. تصدر مجموعته الثانية " العودة لصدر الشمس .. قريبا ".

١٠. عمر محمود عبدس :

١. ولد في عنبتا عام ١٩٥٠.

٢. غادر عنبتا مع اسرته ، في حزيران ١٩٦٧.

٣. عمل وما يزال في التدريس بالاردن .

٤. له مقالات متفرقة في مواضيع مختلفة .

٥. بدأ ينشر انتاجه القصصي مؤخرا .

١١. محمود شقير :

١. مواليد عام ١٩٤١ ، السواحرة .

٢. انهى دراسته الجامعية في دمشق سنة ١٩٦٥.

٣. يكتب القصة من مطلع الستينات ، بدأ بنشر انتاجه في مجلة الافق الجديد المقدسية.

٤. يكتب المقالة الصحفية / وينشر بشتى الجرائد والمجلات المحلية والعربية.

٥. اصدر مجموعة قصصية تحت عنوان "خمر الاخرين" .

٦. يعمل الان مدرسا في وزارة التربية والتعليم بعد ابعادة من الضفة المحتلة.

١٢. مصطفى صالح مصلفي :

١. من مواليد لفتا عام ١٩٤٧.

٢. انهى تعليمه الثانوي في عمان .

٣. خريج معهد المعلمين سنة ١٩٦٧.

٤. يعمل في سلك التعليم في الاردن .

٥. يكتب القصة القصيرة من عام ١٩٦٨.

١٣. يوسف ضمرة :

١. ولد في قرية " كفر عين " عام ١٩٥٢.

٢. انهى دراسته الثانوية سنة ١٩٧٢.

٣. يدرس في معهد المهن الطبية في عمان .

٤. بدأ في كتابة القصة من عام ١٩٧٠ ونشرت اول قصة له سنة ١٩٧٣.

٥. له مجموعة قصصية تحت الطبع .

١٤. يوسف الخزو :

١. من مواليد سنة ١٩٤٠ ، لواء عجلون .

٢. انهى دراسته الثانوية سنة ١٩٦٠.

٣. يعمل في السلك الحكومي منذ عام ١٩٦١.

٤. نشر اول نتاج قصصي له سنة ١٩٦٨.

٥. ينشر في الصحف المحلية والعربية .

١٥. محمود سيف الدين الايراني :

أ- حياته ونشأته :

ولد في يافا عام ١٩١٤ وأتم تعليمه الابتدائي والثانوي في كلية الفرير بيافا- واتقن اللغة الانجليزية والفرنسية بالاضافة الى اللغة العربية ، واصدر في حياته مجلة " الفجر " وكانت مجلة ادبية محلية ، ولما حدثت نكبة ١٩٤٨ هاجر مع اسرته الى عمان واقام هناك حتى توفاه الله في شهر آيار عام ١٩٧٤.

شغل في الاردن مناصب عده منها مديرا وموجها في التربية والتعليم ، ثم مديرا للتعليم الخاص في الوزارة ، ثم مديرا لليونسكو ، ثم انتقل الى وزارة الاعلام ، وترأس مجلة الفجر الادبية .

آثاره الادبية :

١. اول الشوط - مجموعة قصصية - مطبعة الفجر - يافا .

٢ . مع الناس - مجموعة قصصية - نشر دار النشر والتوزيع - عمان .
٣ . ما أقل الثمن - مجموعة قصصية - نشر دار النشر والتوزيع - عمان .
٤ . حتى ينتهي الليل - مجموعة قصصية - نشر دار الكتاب المصرى .
٥ . الاردن ، واليونسكو .
٦ . اقاصيص من الشرق والغرب .
٧ . اصابع في الظلام - مجموعة قصصية .

١٦ . عيسى الناعوري :

أ - حياته :

١ . ولد في قرية ناعور قرب عمان عاصمة الاردن سنة ١٩١٨ .
٢ . اتم دراسته الابتدائية في القرية ، والثانوية في المدرسة الاكليركية في القدس .
٣ . عمل في تدريس العربية وآدابها خمس عشرة سنة في مدارس اهلية في فلسطين والأردن .
٤ . عمل سكرتيرا لادارة مدارس الاتحاد الكاثوليكي في الاردن ثلاث سنوات ١٩٤٩ - ١٩٥٢ .
٥ . عمل موظفا في وزارة التربية والتعليم من عام ١٩٤٥ الى ان اعتزل الوظيفة سنة ١٩٧٥ .
٦ . متزوج ووالد لسبعة ابناء خمسة ذكور وبنتين .
٧ . زار القسم الاكبر من البلدان العربية ، وكثيرا من البلدان الاوروبية الشرقية والغربية .
٨ . تفرغ للعمل الادبي اربعة عشر شهرا من ١٩٧٥/٨/١ الى ان انشىء مجمع اللغة العربية في الاردن في ١٩٧٦/١٠/١ ، وذلك بعد اعتزاله العمل الرسمي في وزارة التربية والتعليم .
٩ . ذو صلة وثيقة بالعديدين من اعلام الأدب العربي في مختلف الاقطار واعلام الادب الايطالي والمستشرقين في كثير من البلدان العربية .

ب ـ آثـــاره الادبيـــة :

١ . اصدر مجلة القلم الجديد ـ الشهرية الادبية في عمان . . ايلـول ١٩٥٢ ـ آب ١٩٥٣) وصدر منها ١٢ عددا منها ثلاثة اعداد خاصة عن الاردن ـ ليبيا ـ المهجـــر .

٢ . له ٣٨ كتابا مطبوعا ونحو ٤٠ كتاب لم تطبع بعد .

٣ . كتبه المطبوعة تشمل : القصة القصيرة ، الرواية ، الشعر ، النقد الادبي ، البحث ، والدراسة والتراجم ، والسير ، ادب الاطفال والاحـــداث ، والترجمة عن اللغات الغربية واليها . ومن مؤلفاته كتابان باللغـــة الايطالية ، وبحوث منشوره باللغة الايطاليةواللغة الانجليزية .

٤ . له محاضرات عديدة بثلاث لغات : العربية ، الايطالية ، الانجليزيـــة ، في العديد من الاندية العربية والاوروبية وفي بعض الجامعات الغربية ولا سيما في ايطاليا ، والاتحاد السوفيتي ، واسبانيا ، والمجر .

مؤلفاتـــــه :

١ . ايليا ابو ماضي ـ رسول الشعر الحديث ـ دار الطباعة والنشر عمان ١٩٥١ .

٢ . لمن الشوك (المجموعة القصصية الاولى) مكتبة الاستقلال ـ عمان ١٩٥٥ .

٣ . فارس بحرق معداته ، (رواية) دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ .

٤ . خلي السيف يقول (مجموعة قصصية ثانية) دار الرائد العربي ـ حلب ١٩٥٥ .

٥ . بيت وراء الحدود (رواية قصيرة) منشورات عودات ـ بيروت ـ ١٩٥٩ .

٦ . اطفال وعجائز (مجموعة اقاصيص مترجمة عن الايطالية) .

٧ . عائد الى الميدان (مجموعة قصصية ثالثة) دار الرائد ـ حلب ١٩٦١ .

٨ . ليلة في القطار .

١٧ . محمد أديب العامري :

١ . حياتـــه :

ولد عام ١٩١٧ في يافا وهاجر عام ١٩٤٨ الى الاردن وتقلب في مناصب منها منصب وزير الخارجية ومنصب وزير التربيـــة .

٢ . آثاره الادبيـــة :

١ . مجموعته القصصية (شعاع وقصص اخرى) نشر دار المعارف بمصر . (تضم هذه المجموعة خمس اقاصيص من تأليفه وخمس اقاصيص من ترجمته . ويقول الدكتور هاشم ياغي : مع ان قصص العامري قليلة العدد فهو يحاول ان يهذبهـــا

ويجعل منها نماذج تحتذى لمن يرغبون في احتراف القصة .

المؤلف لم يحترف كتابة القصة حقا ، وانما اكتفى بان يعطي المثل والنموذج بهذه الاقاصيص .

وتشمل مجموعته القصصية هذه القصص " شعاع نور " و" فقير " ، " صوم رام " (بين الحرفين) و (ثراء وسرف) . وتغلب على هذه القصص الطابع الرومانسي ونلاحظ فيها الفوارق الطبقية والاجتماعية .

١٨. خليل السواحري :

١. حياته ونشأته :

١. ولد في السواحرة سنة ١٩٤٠.

٢. اتم دراسته الثانوية ثم التحق بجامعة دمشق وتخرج من كلية الاداب فيها .

٣. عمل معلما في بداية اعماله ، ثم ترك هذا العمل وعمل في الصحافة ويعمل في صحيفة الدستور التي تصدر في عمان .

٢. آثاره الادبية :

١. مجموعة قصصية مشتركة بعنوان ثلاثة اصوات عمان ١٩٧٢ .

٢. مجموعة قصصية اخرى بعنوان " مقهى الباشورة" دمشق ١٩٧٥.

٣. زمن الاحتلال : دراسات في ادب الاحتلال . تحت الطبع .

١٩. بدر عبد الحق :

١. حياته ونشأته :

١. ولد في مدينة الزرقاء ، واتم دراسته الثانوية فيها ، ثم التحق بالجامعة حيث اتم دراسته الجامعية ، وتخرج من كلية الاداب ، ويعمل معلما في وزارة التربية والتعليم .

٢. ترك عمله وذهب الى الامارات العربية حيث يعمل هناك .

٢. آثاره الادبيـــة :

١. مجموعة قصصية - مشتركة بعنوان ثلاثة اصوات - عمان ١٩٧٢.

٢. ينشر في مجلة افكار والصحف والمجلات الاردنيـة .

٢٠. فخـــري قمـــوار :

١. حياته ونشأتـــه :

١. ولد في مدينة المفرق سنة ١٩٤٤.

٢. اتم دراسته الثانوية ،ثم انتسب الى جامعة بيروت العربية حيث تخـــرج من كلية الاداب .

٣. عمل في وزارة التربية والتعليم،ثم انتقل الى الصحافة حيث يعمل محـــررا في صحيفة الرأي الاردنيـة .

٢. آثـاره الادبيـــة :

١. مجموعة قصصية مشتركة بعنوان " ثلاثة اصوات عمان ١٩٧٢.

٢. لماذا بكت سوزي كثـــيرا .

٢١. جمـــال ابـــو حمـــدان :

حياتـــه ونشأتـــه :

١. ولد في عمان سنة ١٩٤٤.

٢. انهى دراسته الجامعية ويعمل في الصحافة وفي مؤسسة عالميـــة .

آثـاره الادبيـــة :

١. الخروج الثاني ،نزوح ١٩٦٧ : مركزالابحاث بيروت ١٩٦٨.

٢. مجموعة قصصية بعنوان " احزان كثيرة وثلاثة غزلان " بيروت ١٩٦٩.

٣. مسرحية الجراد - دمشق ١٩٧٠.

٤. روايـة للاطفال بعنـوان النهـر .

٢٢. نمر سرحان :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية السنديانة سنة ١٩٣٨.

انهى دراسته الثانوية ، يعمل في دائرة الثقافة والفنون .

٢. آثاره الادبية :

١. اغانينا الشعبية .

٢. ابو اكباري .

٣. الحكاية الشعبية الفلسطينية .

٢٣. سالم النحاس :

١. حياته ونشأته :

ولد في مدينة أدبا سنة ١٩٤٠.

انهى دراسته الجامعية ويعمل في الصحافة.

٢. آثارة الادبية :

١. رواية بعنوان " اوراق عاقر " ١٩٦٨.

٢. مجموعة قصصية تحت الطبع .

٢٤. مفيد نحلة :

١. حياته ونشأته :

ولد في بيت نتيف سنة ١٩٣٩.

انهى دراسته الجامعية ويعمل في وزارة التربية والتعليم والصحافة

٢. آثاره الادبية :

١. مجموعة قصصية بعنوان " حكاية للاسوار القديمة ".

٢. رواية بعنوان " الرحيم "

٣. رواية تحت الطبع - بعنوان - طائر الفرح .

٢٥. مصطفى وهبي التـــل :

١. حياتـــه ونشأتـــه :

ولد في مدينة اربـد سنة ١٨٩٩ في بيت متواضع ولقب بعرار .

ثقافتـــــه :

حفظ القرآن الكريم ودروس اللغة العربية، وكان مولعا الشعر منذ طفولتـــه حيث اطلع على دواوين الشعراء، ونظم الشعر منذ طفولتـــه .

ثم اتم دراسته في دمشق وبعدها رجع الى الاردن ومارس مهنة المحامـــاة، احب عرار وطنه وخصه بجل قصائده، ودافع عن الطبقة المحرومة في شعبه .

تولى عرار عدة مناصب في الدولة منها : مدير ناحية، ورئيس محكمة صلح اربـد وكان هدفه انصاف المظلـوم .

جاهر بقول الحق مما اغضب المسؤولين في الدولـة، حيث سجن ونفي اكثـر من مـرة .

٢. آثـــارة الادبيـــة :

١. ديوان مطبـوع بعنوان " عشيات وادي اليابـس " .

٢٦. غســـان خليـــل زقطـــان :

١. حياتـــه ونشأتـــه :

ولد في بيت جالا سنة ١٩٥٤. اتم دراسته الثانويـة وتخرج من معهد المعلمين.

يعمـل معلما في وزارة التربيـة والتعلـيم .

٢. آثـــارة الادبيـــة :

١. ديوان شعر مطبـوع : عرس حال للوطـن .

٢٧. محمـــد القيســـي :

١. حياتـــه ونشأتـــه :

ولد في كفرعـانه سنة ١٩٤٣.

اتم دراسته الثانويـة والجامعيـة .

يعمل في التربيـــة والتعلـيم.

٢. آثـــاره الأدبيـــة :

١. رايـة في الريـح : صدر عن المسرح العربي الفلسطيني - دمشق ١٩٦٩.

٢. خماسية الموت والحياة : صدر عن دار العودة - بيروت ١٩٧٠.

٣. رياح عز الدين القسام : صدر عن وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٤.

٤. الحداد يليق بحيفا : صدر عن دار الاداب - بيروت - ١٩٧٥.

٢٨. احمـد حسـن ابو عرقـوب :

١. حياتـه ونشأتـه :

ولـد في بلدة الفالوجـة سنة ١٩٣٦.

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في التربيـة والتعلـيم .

٢. آثـاره الأدبيـة :

١. ديوان شعر بعنوان : توقيعات على قيثارة الرفض عمان ١٩٧٤.

٢٩. محمـد ضميـرة :

١. حياتـه ونشأتـه :

ولد في عقبـة جبر سنة ١٩٣٦.

اتم دراسته الثانوية والجامعيـة .

يعمـل في وزارة التربيـة والتعلـيم .

٢. آثـاره الأدبيـة :

ديـوان شعر بعنوان : قافلـة الليل المحروق .

٣٠. محمد الظاهر :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية العباسية سنة ١٩٥١.

اتم دراسته الثانوية ، ثم تخرج من معهد المعلمين .

يعمل في التربية والتعليم .

٢. آثاره الادبية :

١. ديوان شعر بعنوان : عرس حمال للوطن .

٣١. عز الدين المناصرة :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية بني نعيم

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في حقل التربية والتعليم .

٢. آثاره الادبية :

١. الدم في الحدائق : ديوان شعر .

٢. يا عنب الخليل .

٣. الخروج من البحر الميت .

٤. لا يفهمني الا الزيتون .

٣٢. محمد لافي :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية حتا سنة ١٩٣٠.

اتم دراسته الثانوية

يعمل معلما في التربية والتعليم .

٢. آثاره الادبية :

١. ديوان شعر بعنوان مواويل على درب الغربة .

٢. الانحدار من كهف الرقيم .

٣٣. مؤيد العتيلي :

١. حياته ونشأته :

ولد في عتيل سنة ١٩٥١.

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في البنك العقاري العربي .

٢. آثاره الادبية :

ديوان شعر مطبوع بعنوان " اينا يعقد المقصلة.

٣٤. حسين حسنين :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية دير الذبان سنة ١٩٤١.

اتم دراسته الثانوية والجامعية.

يعمل في البنك العربي .

٢. آثاره الادبية :

ديوان شعر تحت الطبع .

٣٥. عامد شاكر :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية قبية

اتم دراسته الثانوية وتخرج من معهد المعلمين .

يعمل في التربية والتعليم .

٢. آثاره الادبية :

لا يوجد له ديوان شعر مطبوع

ينشر اشعاره في الصحف والمجلات المحلية .

٣٦. جمعه السالمي :

حياته ونشأته :

ولد في بلدة الجفتلك سنة ١٩٤٢.

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل موظفا في وزارة الخارجية .

آثاره الادبية :

١. لا يوجد له ديوان مطبوع

٢. ينشر اشعاره في المجلات والصحف المحلية .

٣٧. عبد الله منصور :

حياته ونشأته :

ولد في قرية المنسي عام ١٩٤٢.

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في التلفزيون الاردني .

آثاره الادبية :

١. الرحيل عن الارصفة المنسية.

٢. مواويل للحب والحرب.

٣. غدا سفري .

٣٨. عيسى الناعوري :

١. حياته ونشأته :

ولد عيسى الناعوري في بلدة ناعور سنة ١٩١٨ .

كان مولعا بالادب محبا له تثقف بثقافة اهل عصره بدون ان يدخل مدرسة او جامعة ، اتقن عدة لغات ومنها الايطالية حيث ترجم من الادب الايطالي الى الادب العربي .

آثاره الادبية :

١. ديوان شعر : اخي الانسان

٢. ديوان شعر : اناشيدي .

٣٩. حسني فريز :

حياته ونشأته :

ولد في مدينة السلط سنة ١٩٠٧ .

اتم دراسته الثانوية والجامعية حيث تخرج من الجامعة الامريكية ، اجاد اللغة الانجليزية وترجم منها الى العربية .

شغل عدة مناصب في الدولة حيث اصبح وكيل وزارة التربية والتعليم .

آثاره الادبية :

١. ديوان شعر بعنوان بلادي .

٢. ديوان شعر بعنوان هياكل حب .

٤٠. كمال عبد الرحيم رشيد :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية الخيرية سنة ١٩٤١

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

شغل عدة مناصب في الدولة ، في التربية والتعليم ، والاذاعة والصحافة

٢. آثاره الادبية :

ديوان شعر بعنوان شدو الغرباء .

٤١. سهيل أحمد :

١. حياته ونشأته :

ولد في بيسان عام ١٩٣٩، هاجر مع اهله الى مدينة اربد، حيث اتم دراسته الثانوية والجامعية.

يعمل معلما في وزارة التربية والتعليم.

٢. آثاره الادبية :

١. ديوان شعر بعنوان تشرينات.

٤٢. عبد الرحيم عمر :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية جيوس عام ١٩٢٩.

انهى دراسته الثانوية والجامعية.

عمل معلما في التربية، ثم عمل موظفا في وزارة الاعلام، ثم انتقل الى ميدان الصحافة حيث اصدر جريدة الاخبار.

٢. آثاره الادبية :

١. ديوان شعر بعنوان "اغنيات للصمت".

٢. ديوان شعر من قبل ومن بعد.

ملاحق الرسالة

الملحق الثاني

مختارات شعرية ونثرية

لقد اتممت رسالتي بوضع ملحقين لها كي اتم بها الرسالة ، ففي الملحق الاول جعلته ترجمة لحياة الادباء الذين وردت لهم نصوص في الرسالة وضحت في هذه الترجمة حياة الاديب ونشأته وثقافته ثم ذكرت مؤلفاته الادبية سواء كانت شعرا او نثرا .

اما الملحق الثاني فجعلته بمختارات شعرية ونثرية لاشهر الادباء الذين شملتهم هذه الرسالة ، وتضم هذه المختارات قصائد وقصص متفرقة .

اما القصائد فهي تمثل اتجاهات الشعر في الأردن ، الاتجاه القديم والاتجاه الحديث .

من هذه المختارات الشعرية قصيدة للشاعر أمين شنار بعنوان " فرح لا ينتهي " ، ثم قصيدة للشاعر حسني زيد الكيلاني بعنوان " وادي السلط " ، اذ يصف فيها الواد الجميل ، ويعتبر الشاعر من شعراء وصف الطبيعة المجيدين .

ثم قصيدة للشاعر حسني فريز بعنوان " قصر الحمراء " فهي تذكرنا بامجاد اجدادنا في الاندلس الباقية على مدى الدهر ، الشاهدة على عظمة الابطال الغر الميامين .

ثم قصيدة المطارد للشاعر عبد الرحيم عمر .

ثم قصيدة اخي الانسان للشاعر عيسى الناعوري التي يدعو فيها الى وحدة بني البشر ، والى نبذ التميز والتفرقة العنصرية ، واعتبار الناس كلهم اسرة واحدة في هذا العالم الواسع .

اما فدوى طوقان فتصف لنا المدينة المهرمة الجميلة بشواطئها وشوارعها وابنيتها الفخمة .

اما القصص فتشمل قصة الجائع للكاتب بدر عبد الحق ، ثم قصة بخار الماء الساخن للكاتب فخري قعوار ، ثم قصة رجل وامرأة للكاتب محمود شقير ثم قصة اعلان براءة للكاتب خليل السواحري ثم قصة الطريق للكاتب ابراهيم العبسي .

فـــرح لا ينتهـــي

للشاعـــر أمين شنـــار

لو تشوفت اليها ، لاحترقت

لو تنائيت حياء ، لاقتربت

فأنا ما بين حالي أســـير ؛

وهي لي - مذ كنت - بيداء ويبـــت .

انا ابكي من لذيذ الوصل ، حتى ارشف الدمـــع رضابا ،

وهي لا تنفك تسقيني جناها ، مرة عذبا ، ومرات عذابـا ،

فأنا ، ما بين حالي ، رهيـــن

في حماها احتسي شهدا ، وصابا .

وانا ما لوّح الاغيار لي ، وانصرفوا

في فجاج الارض اشتاتا ، فرادى ، وثنى ،

يحصدون اليتم والغربة والريح ،

وفي اهدابهم

صدأ يحجبهم عنهم ، وعنـا ،

قلت : واها لهم ، كم شغلوا عن زهوة الخمر بقشر الخابية !

فتنوا عن بسمة الورد بوشي الانيـة !

وتثاقلت بهم .

قالت : متى كان للعاشق من عين تراعي غيرنا ؟

ولسان - لم يكن الا لكي يذكرنا ،

كيف ينادي غيرنـا ؟

انت منهم

- ولئن انكرت - في اعينهم انت حجابي .

ادن مني

واذب حزنك دمعا في انائي ،

وليكن عمرك كدحا للقائي ؛

ولتكن نجواك صمتا في دعائي ،

تلقني فيك ، فان عدت فنورا من ضيائي .

سرقوا نعلي في وقت سجودي ، فانتبهت

مزقوا ثوبي في وقت سباتي ، فصرخت

قلت : هل امشي على ربهم
حافيا ؟ عريان ؟
قالت :
دونك الارض حذاء فانتعليه
وخماري لك ثوبا وساترا اياك عن اعينهم ،
كي لا ترى الا ى كونا ،
فأنا ، مذ كنت لي حبا ، أغار
ان غدري لك ما شئت مزار
لا تكن مثل حمار في رحى الكون يدار
كن شعاعا يهجر الارض الى منبعه
كن هزارا يغمس المنقار في النور لدن مطلعه
كن حبيبي ، وارتحل عنهم الينا
فانا ما عدت مرضيا ، رضينا
كنت فيهم نبأ مني ، وباحت لهم عيناك جهرا
بتمالا تي ، وسري . .
وعلى كفيك الفوا بعض عطري ،
ام ترى العاشق قد يعمى عنيه سوانا ؟
لا ، وربي !
انت اشواقي ، وانت الهاجس الحادى المنادى ملء دربي .
وجمالا تك ـ مذ لا حت لعيني طيوف من جمالا تك ـ حسبي
وقطوف من مغانيك تنادى ، فألبي . .
ان تذودي تسمرت مكاني ، وبكيت
ان تشيحي عن سهاد العين ،
بالعين ، بأهداب سكارى غارقات في دموع العين ،
جدفت ، وابحرت الى عينيك ،
مشدودا الى افراح عينيك ،
ومت . .
لا ، وربي !
لن تفعيي
ولئن ادلجت في صحرائهم حينا ،

وطوحت برؤياك على اشواكهم حينا ،
وغبـــت . .
لن تغيبي
انت ما زلت على العهد بي ،
لن تقطعيني . .
مفردا في جب احزاني ، ويتمي . .
فانا مهما تنائيت اقتربت . .
لا تسلني عن لقا نا كيف كان
لا تسلني اين كان
ليس من كيف ولا اين لها
فهي من عاد ها كل زمان ومكان .
لا تسلني
هو سر شف حتى صا رجهرا
هو جهر غاب حتى بات سرا
كل ما قد كان مما لن تراني ذاكرا
هو مازال هنا كينونـة
في قلب هذا الكون ، ملء الكون ،
فيها غابر الدهر وآتيه استقرا حاضرا . .

وادى السلـــط / حسني زيـد الكيلانـــي

شقت الاكمام عنها البرعمـــــا ... خلسة فوق الغصون الميـــــس
وانتشى الحور طروبا مثلمـــــا ... نفض الصبح رداء الحنـــــدس
ان في السلط ووادي ها الجميل ... لفتة الفنـان من فردوســـــه
وادي ا للحسن جيلا بعد جيل ... سوف يبقى غده من أمســـــه
ذاب دينار الضحى عند الاصيل ... شاحبا أشبه في نـرجســـــه
عكس الجدول فيه الانجمـــــا ... فمحتها بارقات الغلـــــس
والندى كالدر لما انتظمـــــا ... نثرته الشمس فوق السنـــــدس

يا شجي القلب في وادي الهوى ... انحر الصحو على كف المدام
لا تقل ضل مشوى أو غوى ... وحلال ذا وذا شيء حرام
قد روى الخمار عنها ما روى ... انها قد عتقت من الف عام
كم لوى دهرك عنا امما ... رشفوها مثلنا بالاكؤس
وقديما حللوا خمر اللمى ... من شفاه الغانيات اللعس
منه درك اذا جزت الربوع ... ورأت عينك اسراب المها
فارسل القلب ندبا للدموع ... انت في كعبة حسن وبها
صفق الوادي كتصفيق الضلوع ... عندما تألف عصيان النهى
فانشد البان وناح العلما ... عن هوى في صدرنا محتبس
مرت الذكرى فكانت علما ... مثلما مر شعاع القبس
غادة تشوى باحلام الصبا ... علمت قلبي فنون الغزل
انا مهما رشقت قلبي الظبا ... لم أزل عبد العيون النجل
لم يكن حبي يوما قلبيا ... انا وحدي امة في غزلي
كلما ناشدتها ان ترحما ... ميتا جاد لها بالنفس
حسبتني عابثا متهما ... ومشت غضبى وقالت لا تسي

قصر الحمراء / حسني فريز

شد ما شاقني وقام بنفسي ... ان ارى الباقيات من عهد شمس
وارى المنبر الذي ليس يفني ... ولو ان الزمان يفني وينسي
ها انا مشرف على البلد الطاهر ... تحتي في مهرجان وعرس
وامامي ؟ ماذا ارى ؟ تلك قصدي ... طلبة العالمين من كل جنس
تلك حمراؤنا الحبيبة قامت ... عبر ليل الاسى وطول التأسي
في غد سوف نلتقي يا حبيبي ... واشتياقي الى جلال وقدس
فاتركيني لا دمع هامياتٍ ... فلعل الدموع تغسل حسي
في غد نلتقي والثم ارضا ... تصبح الدهر في البلاء وتمسي
طهرتها الامها لا تبالي ... في أساها نصح شيخ وقس
ها أنا واقف ببابك ابكي ... فاذني بالدخول من غير لمس
شاعر خف للزيارة نادك ... بقلب مستعبر غير نكس

طالما رن في نـدّيك شعـــر ... كان يتلـى على مقاديم شمـس
ها أنـا اسمع النشيد وارنـو ... للمغاويـر في ثيـاب الدمقـس
علّلـوا وازدهوا لما فعل السيـف ... وأثنى علـى فـوارس همـس
واذا الخيل مقبـلات علـى النقـع ... تبـارى في يـوم سعـد ونحـس
نشوة النصر في الخيول أثـارت ... كل همّاتها لـدعـس وفـرس
وعليها الصقـور تلعـن بالـرمـح ... وبالقاصمين حزم وبـأس
وارى سامـر المروءة للقـا ... ـذخ العـز مطمئنـا لأسـي
فهو حيّنا على السوابق مـا ... يكبـح المعتدين كهـة حـس (١)
وهو حينا في المزارع جـان ... يجتـني او يزيـد طيـّب غـرس
او مكب على العلـوم نجـيّ ... لبهيّ من نورهـا او لجـرس (٢)
او اليف للفـن ينشـد دنيـا ... من حظوظ ومجلسـا للتحسي (٣)
غيرة مثـل النسـاء عرايـا ... في الميـادين دانيات للمـس
وهـو لا يرتضي لهـن مثـالا ... من حجـار او من فـواتن طـرس
همّن والحس والزهـور بهـاء ... فالتهـا ويل ناعمـات بهمـس
همّن مهـوى الفـؤاد حلم الليالي ... ونعيم الفؤاد نغبـة خلـس (٤)
زعموه زير النسـاء وعبـدا ... مزقـوهـن تحـت نـاب وضـرس

المطـارد / عبـد الرحيـم عمـر

ضاقت العين وكل الخلو فجر يا عراق
سبلا في الماء كي يخطو حائـر
كل سهل كل رحب فيـك خـاف
مت يا بصرة يا عين العراق
اولا تدرين عني اى عابـر
أمس جئنا ، تمس الامس لقد غابت رؤاه

---

١) الحس : القتـل .
٢) الجرس: (بكسر الجيم) : الصوت.
٣) التحسي : الشرب .
٤) النغبة : الجرعة ، والخلس، وهي هنا الشيء القليـل .

أنكرينـــا

انكرينـــا لا عجـــب

ويفر الزمـــن

وخرير النهر مذعور مني يبغي النجـاة

ليس نهر الامس

حتى انت يا شط العرب

ويفر الزمـن

اقبل الليل فضميني ايا ارض السواد

مثل نخلـــه

فلقد اغفو على رملك ليلـــة

وأريح العين من لول السهاد

ويفر الزمن

يسرع النهر الخطى في المنحدر

وتجوس الريح كالحراس في ليل الحدود

قد أطلـــوا

همهمات تملأ الليل واقدام جنـــود

انكريني قد تنكرت تنكرت وما لي من مفـــر

يا اميـــة

كانت الدنيا كما شاء هوانا جاريـــة

والشآم

مثل حلم في الليالي العربيـــة

مرة قلعـــة مجـد وحميـــة

مرة معرض زينـات بهيـــة

واذا نهج الغرام

فالشآم

مثلما شاء هوانا جارية

والبقيـــة

اننا نذبـــح في الارض القصيـــة

اننا في الارض اشباه هـــوام

كلما اعتم وجه الليل نحت همهمات القادمين

لم يعد الا الفرار
انا امشي ثم امشي ضاق وجه الارض لم الق ملاذا
ليس لي من يرشدني امشي لماذا
ليس من ينبئني اين الفرار
يا وشاح الليل كن لي مخبأ
وقد ذرعت الارض ابغي مرفأ
والرحيل الرحيل والفرار
عدتي دون سيوف اللاحقين
يا دم الاخوة في الزاب اعطني بعدي مضاء
وجهي اليوم ترابي وقلبي في السماء
اعطني يا رب من عندك صبرا
خلفي الموت وقدامي مدى دون رجاء
غير اني لم اعد املك امرا
انا لا ابصر خيرا
لا ولا اطلب نصرا
كل دنياي رحيل وفرار واختفاء
وجهي المعروق وجه الموت وجهي
كلما اخفيته خوفني
واذا ابصرته في صفحة الماء هنا عنفني
عبثا يا هاربا من نفسه ان تتقي كف العناء
عد الى الزاب ودون الزاب هام ودماء
هاربا من قبضة الموت ومن وجهي وظلي
هاربا من مجد آبائي ومن عزة اهلي
كل من اعرفه ارهبه
ارهب النور الذي يكشف ليلي
ارهب الشمس التي ترسم ظلي
لي من يملأ الدنيا ولا أملأه
يا شآم

أخـــي الانســـان / عيســـى الناعـــوري

اخي في العالم الواسع ، في المغرب والمشـــرق
اخي الابيض والاسود - في جوهرك المطلـــق
أمد يدي فصافحها ، تجد قلبي بهـــا يخفـــق
بحبك يا اخي الانسان

احبك دون ما نظر الى لونـــك او جنســـك
واكره من يبث الحقد في نفسي او نفســـك
لترقص انت في بؤسي ، وكي ارقص في بؤســـك
ونشقى ، يا اخي الانسان

اخي مأساتنا ليست سوى من صنع ايدينـــا
فمن اطماعنا الشعواء سوّرنا ليالينـــا
ومن احقادنا العمياء مزّقنا تآخينـــا
فرفقا يا اخي الانسان

لقد جئنا الى الدنيا معا لنعيش اخـــوانـــا
ونسعد بالحياة معا أحبـــاءً وأعوانـــا
ولو شئنا جعلنا جنة الفردوس دنيانـــا
فهيا يا أخي الانسان

تعال نقم حضارات معا ولنرفع العمـــران
ونخلق في الحياة لنا مباهج حلـــوة الالوان
وضع يمناك في يمناي في ثقة وفي اطمئنان
لنسعد يا اخي الانسان

دع الاطماع والاحقاد ، لا تجعل لهـــا شأنـــا
فلن تسعد بالاطماع ، او ترفع بنيانـــا
ولن تمنحـــك الاحقـــاد في دنيـــاك سلطانـــا
فدعها يا اخي الانسان

تثير الحرب؟ قل لي ، هل ستنجو انت في الحرب؟
الا يشقيك ان افنى بنارك دون مـــا ذنـــب؟
وهل يرتاح اذ تفنى ضميري الحـــر او قلـــبي ؟
رويدا يا اخي الانسان

فبيتك يا أخي بيتي ، ودربك في الدنى دربي
وعزك لهو من عزى ، وحبك يا اخي حبي
وما تلقاه من نعيم تصيب سهامه قلبي
فيدمي يا اخي الانسان
كلانا نعرف الاشواق ، والآمال تحدونا
كلانا نشتهي ، والحسن لا ينفك يغرينا
كلانا نعرف الاسرار ، نبلوها وتبلونا
فمهلا يا اخي الانسان
أخي ! نحن التقينا اليوم في الدنيا بلا موعد
ودرب العمر مثل الحلم ، مهما طال لن يخلد
سنمضي مثلما جئنا ، وذاك مصيرنا الاوحد
سلاما يا اخي الانسان !

في المدينة المهرمة / فدوى طوقان

وتلقفني في المدينة هذي الشوارع والارصفه
مع الناس، يجرفني مدها البشري أموج مع
الموج فيها على السطح إبقى بغير تماس
يكتسح المد هذى الشوارع والارصفة
وجوه وجوه وجوه وجوه تموج على السطح ،
يقلن فيها اليابس ، وتبقى بغير تماس
هنا اللاحضور حضور، ولا شيء الا حضور الغياب
ويحمر ضوء الاشارة والمد يرتد
تعود الخفافيش للذاكرة
ونصف مجنزرة تعبر السوق ، افسح فيه مكانا
لتعبر ، اني تعلمت الا اعرقل خط المرور ..
وعن ظهر قلب حفظت دروس نظام المرور ..
هنا كان سوق النخاسة ، باعوا هنا والدى واهلي
فقد جاء وقت سمعنا الذي منع الرق والبيع نادى
على الحر ! من يشتري !

وهذى انا اليوم جزء من الصفقة الرابحة.
أمارس حمل الخطيئة، معصيتي انني غرسة اظلمتها
جبال فلسطين .. من مات امس استراح " اشك
لعل بقايا همو في القبور تئن وتلعنيني حين افسح
في السوق دربا لتعبر نصف مجزرة ثم امضي بغير اكتراث "
رسالة عائشة تستريح على مكتبي
ونابلس هادئة والحياة تسير وتجرى كماء النهر ...
يناديني خاتم السجن صمتا فصيحا (يقول لها حارس السجن
ان الشجر
تساقط والغابة اليوم لا تشتعل
ولكن عائشة ما تزال تصر على القول ان الشجر
كثيف ومنتصب كالقلاع ، وتحلم بالغابة التي تركتها
تؤج بنيرانها قبل خمس سنين
وتسمع في الحلم زمجرة الريح بين المعابر،
تقول لسجانها : لا أصدق ،كيف أصدق من جاء
من صلبهم تظلون يا حارسي انباء الكذب.
وتقبع في ظلمة السجن تحلم
يظللها الشجر المنتصب
تفرحها غابة في البعيد تصلصل فيها السيوف اللهب
وتحلم عائشة ثم تحلم) ..
ويخضر ضوء الاشارة يجري في المد ، تهرب ذاكرتي
والخفافيش تهوى الى قاع بئر عميقة
يغبر ظل طريقة
يتابع ظلي ، يوازيه ، يمتد جسرا لملك مثلي غريبة
وتنفصل القطرتان عن المد ثم تغيبان بين زوايا حديقة
- تحبين " أوزبورن "
- ومن لا يحبه ؟
- عجائز انكلترا المحبطون وضباطها الافلون مع الشمس
غرب السويس

ترى من سيزرعها شجرة الغد لهذا الملـــد ؟

ـ شباب " الهيبيز " ! ..

ـ لا ذع انت لا ذع

ويجتازنا سيلهم وهو يجرف تربـــة لندن

ونسمع صوت انهياراتها على وقع دقات " بج بن "

ـ هنالك في المخلفة الجانبية حانوت خمر

وفي المنزل ذوق وتدفئة مركزية

ـ سدى ما تحاول

(وتعبر سيدة لندنيـــة

تبث وتشكو الى كلبها وخز عرق النسا

والتهاب المفاصل) !

ـ ألست ابنة العصر ؟

ـ كبرت على الطيش ، صيرني الحزن بنت مئات السنين

سـدى ما تحـاول

وارفع عن كتفي ذراعيه ، افلت خارج طوق التواصل .

ـ تحاصرني وحدتي

كلنا في حصار التوحـــد

وحيدون نحن نمارس لعبة هذى الحياة وحيدين ،

نحزن ، نألم ، نشقى ، وحيدين .. نموت وحيدين ،

وحيدا تظل ولو حضنتك مئات النسا "

وتلقفنا في المدينة هذى الشوارع والارصفة

مع الناس ، يجرفنا مدها البشرى ، نموج مع الموج فيها ،

نظل على السطح فيها بغير تماس .

دمعة وقيثارة

للشاعر عبد الله منصور

انغام قيثارتي . .
تضج بها الليال
وانا مع الاحزان ساهر ،
يا الف دورى على سفح الجبال .
قد متن في عز الشباب ، ،
ولم تهاجر .
خطوات احب ابي تظل حكاية ، .
تتلى على سمع الرجال
والذكريات أليمة . .
تبقى تمر حزينة في كل بال .
شعرى . .
ولون الحرف يبكي . ،
ورؤاى مثل الفحم . .
من المي وشكي .
تلهو بنا الامواج في سفن عتيقة .
ما حيلة الملاح تغلبه الرياح .
ويسوقه التيار مجنونا ، ، ،
الى ضد الحقيقة .
وحديقتي . . .
وحديقة الخلان قد كانت حديقة .
مرت بها كل العواصف والجراد .
جفت دموع العين . . ،
جفت والمداد
لم يبق الا بعض حب يابس . . ،
وحبيبة ثكلى يوشحها السواد .
وصدى نداء ضاع في عمق البعاد .

أنغام قيثارتي ...
وموال عتيق .
ودماء احبابي ...
على رمل الطريق .
قطرات آهات تذوّبنا حنينا ...
والرفيق .
يبكي علينا ...
آه كم متنا ...
ولا زلنا نموت .
والخوف يجثم في المآقي والسكوت .
والخوف يجثم في المآقي والسكوت .

الى ولدي
للشاعر عبد المنعم الرفاعي

الآن أورق غصنك النضير ... فاسمع حديث ابيك يا عمر
الذكريات كتمتها زمنا ... حتى استفاق اريجك العطر
فاذا أبحت فكل غادية ... عن طول ما كتّمت تعتذر
مرت ومر خيالها حقبا ... فالعمر كل شفافه ذكر
طلع الحياة على مرابعة ... ندّاة منهلّ ومنتشر
قبلاتي اللاتي ذهبن هوى ... كم ضاق عنها الكأس والوتر
وكواعب وسدتهن يدى ... فالشمس طوع منای والقمر
متنقلا فننا على فنن ... والحب مختصر ومعتصر
هيمان يرعاني السرى فاذا ... ضل الطريق رعاني القدر
في كل ناحية سرى خبر ... عن صبوتي ونأى به خبر
انا ان قصصت عليك امثلتي ... اخشى عليك الدمع يبتدر
اعلمت لما قرّبي سفري ... وأوى الى وكناته الوطر
ولمحت وجهك قبل مشرقه ... كالصبح باح بنوره السحر
وتثاقلت ومشت على خفر ... ولكل أمر كان منتظر

عشنا معا والزهر في عبث ... أحلامه لو يعقد الثمر! . .
حتى ظلمت وكنت لي رقبا ... تحيا الحياة عليه والعمر
الامنيات عليك أعقدها ... والغاليات اليك تدخر
أنا أنت أخلد فيك لا زمني ... يبقى ولا مجدى ولا السير
واها غداة أفقت تسألني ... وأساى مفتر ومستتر
فسكت ألتمس الرضى خجلا ... عن آثمين ولات مغتفر ! ؟ .
أأبوح يا ولدى ومنّ يدى ... أخشى عليك الدمع ينهمر . . .
سكن المبيت سوى مؤرقة ... قد شدها لسريرك النظر
ان زل عنك غطاؤك انخلعت ... عيني وقمت اليك أبتدر
أحنو عليك وكل جارحة ... تحنو معي والسمع والبصر
أصبحت وحدى لا يشاركني ... خلّ وأنت الليل والسمر
لمح الصباح فهذه لعب ... صفت اليك وهذه صور
وأنا وأنت كأن عالمنا ... لهو وكل بقائه عبر
في وحدة الله ثالثهما ... كتبت وخط سطورها القدر
يا زهرة الايام زنبقتي ... في راحتيّ اليوم تزدهر
فواحة بيضاء صافية ... ريحانة اوراقها خضر . .
فدعوت حتى خلت أربعتي ... أصغت لها الآيات والسور
عفوا بنيّ اذا غويت فكم ... يهتز من ألحانه الوتر
في ظلمة حمراء عاشقة ... غنى بها باد ومستتر
كم قبلة لموت المدى وعلى ... أندائها كم أورقت ذكر
يحيا الهوى اما لمست جنى ... واذا قطفت يكاد يحتضر . . .
آثامي الكبرى يمدها ... أني على نجواك أعتذر . ! !
ومشيت وحدى رب معتزلة ... أرخى دجاها المسلك الوعر
غيبتها وودت لو بقيت ... فعلى المضارب يقدح الشرر
كالجوهر ائتلفت مفاتنه ... ان فرّ تحت محكه الحجر
والنار حيثما بعثت ... والوقد ان أذكيت يستعر
انا خدن آلامي وباعثها ... أستاف خمرتها وأعتصر
كالشارب المخمور رنّحه ... كأس الطلى وجرى به السكر
يبكي ويضحك لست تعرفه ... فمزاجه صاف ومعتكر
خلع الشباب عليّ عزته ... والمجد لا ضجر ولا حذر
أمضي وتهمزني العلى فأذا ... دنت الرغاب نأى بها الوطر
كسفينة جمح الشراع بها ... فمدارها في الافق منتشر

قصة الجائع (١)

لبدر عبد الحق

فمي واسع ، يبدأ طرفه عند إحدى الاذنين وينتهي عند الاذن الاخرى ، ولا بد ان جهازي الهضمي ليس عاديا ، احس بانه أهم الاعضاء الموجودة في جسمي ، واستطيع ان اشير الى موقع كل جزء فيه .

من اكثر الاجزاء التي اهتم بها " المعدة " كيس ضخم لن ينزلق من فوق حزامي وانا اسير بتثاقل وانقل خطواتي ببلادة .

اكتشف هذه الحقائق عن نفسي حديثا ، فجأة اتسع فمي ، وفجأة بدأت احس باهمية معدتي ثم الاحق مطالبها ، وهي مطالب تكلف غاليا وتحتاج الى جهد مضني .

انني في اليوم الواحد اجتاز سوق الخضار عدة مرات ، احتك بالصناديق واشم رائحة كل الاصناف وانتشي بعبيرها واراقب استجابات معدتي وانفعالاتها ، وبحكم هذه العادة تكونت عندي خبرات واسعة وعقدت صداقات كثيرة في كل مكان .

لا بد انكم تنتظرون الآن ان احدثكم عن الكميات التي آكلها كل يوم ، سأقول لكم ولكن ارجو ان لا تصابوا بالخيبة ، فالحقيقة انني فقير جدا ، ولهذا فانا اتفرج فقط ولا استطيع ان آكل كل ما أشتهي .

لم اشبع مرة واحدة في حياتي ، لم أجرب حالة امر فيها بالسوق دون ان اراقب بوله وشوق ودون ان يسيل لعابي وانا ابحلق في المشويات والمقليات والمعروضات وفي المحاولات المعدودة التي قمت بها للسرقة كنت اتراجع في اللحظة الاخيرة عندما ابصر الحراس الاشداء المختبئين حول معروضاتهم .

سافرت مرة في اجازة الى بلد مجاور ، وبحكم العادة قد توجهت من فوري الى الاسواق ، سوق اللحوم والخضار والفواكه والحلويات ، وفوجئت بأن كل شيء هنا قليل الثمن ، والنقود التي معي تكفي لتحقيق احلامي وربما اكثر من مرة واحدة ولم اتردد ، اشتريت كميات كبيرة من كل شيء لحوم واسماك بالارطال خضار وفواكه بالصناديق ، علب كبيرة محشوة بالحلوى ، والكثير الكثير من زجاجات الشراب .

جمعت كل ذلك وذهبت الى الشقة التي استأجرتها ، وضعت كل شيء في المطبخ ، ثم اغلقت الابواب والشبابيك جيدا ، وانهمكت في اعداد الاكل ، وضعت كل خبرتي ومهارتي في خدمة هذا اليوم واستذكرت كل التعليمات التي اقرأها في مجلات المرأة والصحف ، قررت ان يكون يوما حافلا .

---

(١) ثلاثة اصوات

رتبت مائدة كبيرة ، أقسم إنها كانت كافية لكتيبة جيش مهزوم متعب ، واعتنيت كثيرا بتنسيق المائدة ولم اترك ثغرة ولو بسيطة قد تضطرني الى النهوض عن المائدة بعد لحظة البدء .

وبعد ان انتهى كل شيء زهيت فحلقت ذقني وأخذت حماما وتعطرت ولبست ثوبا فاخرا وجلست عند منتصف المائدة .

وطوال دقائق ظلت يداي لا تصلان الى الطعام وكنت ما أزال حائرا من اين ابدأ؟ في حين كانت عيوني تتابع الاطباق الشهية المرصوفة أمامي ومعدتي في حالة غليان وترقب وانا احس بسعادة وفرح لا نظير لهما .

لا أدري ماذا حصل بعد ذلك تماما لكني عندما صحوت وجدت نفسي ممدا على الارض فوق كرسي محطم والى جواري زجاجة مكسورة يندلق منها سائل احمر ويمتد قطعة كبيرة من اللحم كذلك شديدة اللزوجة ، وعندما نظرت الى المائدة كانت ما تزال كما هي واسعة مملوءة بكل شيء ، الا ان آلاف الحشرات والذباب كانت قد غطتها ولم استطع تفسير الامر وكانت المفاجأة التالية ان فمي لم يعد واسعا وان معدتي لم تعد مندلقة من فوق حزامي وانني أحس برغبة كبيرة لان اذهب الى الحمام وأتقيأ .

بخار الماء الساخن (١)

للكاتب فخري قعوار

عندما دخل جفيلان مقهى " الاطلال " ، سادت فترة صمت ، ملأ فيها وشيش (٢) بوابير الكاز ، ونظر اولاد الحارة ، المجتمعون هناك نظرة تساؤل واستغراب لهذا الزبون الجديد للمقهى ، حتى لطفي نفسه صاحب المقهى نظر اليه نفس النظرة ، كلهم يعرفونه ، وهل هناك من لا يعرف جفيلان الجزار الوحيد في الحارة ؟ . ومن لا يعرفه شخصيا فانه يعرفه لحمة جفيلان على الاقل ، ولكن ليس من عاداته ان يقفل المحل في مثل تلك الساعة لكي يجلس في المقهى ، فالعاشرة صباحا هي عز الشغل بالنسبة له ، كما ان ليس من عاداته ايضا ان تبدو ملابسه نظيفة خالية من لطخات حمراء .

وقد بدا متوترا ، فلم يجرؤ أحد أن يكلمه واكتفى بأن حدج الاولاد بنظرة صارمة ، فعادوا الى ما كانوا مشغولين به من طاولة زهر وشدة وشطرنج ، ثم جلس على كرسي قش صغير وقال بخشونة : " هات نفس تهباك يا لطفي " ...

وأشار لماسح احذية تعلقت عيناه بأحذية جفيلان من الوهلة الاولى ، فجاء بلهفة وبدأ بتلميع

---

١) ثلاثة أصوات

٢) صوت البوابير

الحذاء ، والقى نظره الى شباك فتحية ، فوجد الستارة ما تزال مسدلة عليه ، وعرف انها مجرد لحظات وتنزاح ، حتى تتم الصفقة ، ولا بد لها من ان تتم ياذات العينين المكحولتين .

فمن غير المعقول ان تأكل (انت وزوجك الشبيه بالقصبة) لحمة بالمجان طيلة اسبوعين ، ولا تتم الصفقة ! وجاءه لطفي بالمرجيلة ، فرّص الجمرات جيدا فوق التمباك ، واخذ يكركر ، وعيناه لا تكفان النظر عن النافذة ، ومرت نسمة هواء دافئة لامست وجهه ، لكنه أحس بقشعريرة تسري في كيانه وبأطرافه واعماقه تتراقص اضطرابا ، لاول مرة يفعلها : وهو مطمئن الى ان الامر سيظل مكتوما عن زوجته .

سحب نفسا عميقا ، وتخيل لحظات الدفء التي ستظل قلبه بعد قليل سينعم بالجسم الطفوف الممتلىء ، والصدر الفاخر ، وعاد من غفلته حينما ضرب ماسح الاحذية ضربات خفيفة على صندوقه ، فنقده قرشا ، وعاد يصوب نظراته الى النافذة ، وفجأة انزلت الستارة ، بيد ان كل شيء يسير كما يجب ان يسير ، ومط شفتيه تحت شاربه المتهدل مبتسما ، لكنه بتر ابتسامته ، وحاول جاهدا ان يرسم على وجهه ملامح غاضبة قاسية ، خشية الملاحظة ، ونهض ونقد لطفي ثلاثة قروش ، وخرج مدندنا بأغنية أم كلثوم " رن الحبيب " .

وفي طريقه الى الزقاق ، تلكأ قليلا ، (وكل اعماقه ترتقص نشوة وانتصارا) ، وتلفت حواليه مخافة ان تراه احدى الجارات ، ولما أطمأن ، رفع يده ليقرع الباب ، لكنها توقفت في الهواء ، عندما سمع صوت فتحية من وراء الباب يقول بهمس افقده صوابه :

- " جفيلان ... جفيلان " .

وفتحت الباب ، وقالت له باضطراب بادٍ ؟

.. " أدخل بسرعة ... "

وتعثر بالعتبة الا انه تدارك نفسه ، واقفلت فتحية الباب بهدوء ، ودخلا الغرفة على رؤوس الاصابع ، ليس هناك سوى غير سرير سفري صغير وبعض الادوات الضرورية ، وملابس معلقة على مسامير مغروزة في الحائط ، وصورة لزوجها يبدو فيها نحيفا اكثر مما يعرفه .

(ربما كان هكذا عندما اخذت له الصورة ، وربما لان باقة القميص الذي يرتديه تتسع لعنق آخر مثل عنقه) ، واجتاحته موجة الاشمئزاز ما لبثت ان زالت عندما عانقته بحرارة ولهفة ، واحس في باطنه دفئا كبخار الماء الساخن ، وانصهر حتى النخاع ، انصهر تماما ، فتذكر نفسه عندما كان صغيرا يلعب بالتراب ، ويبني بيوتا من الطين ، ويعجب كيف ينبت الشعر في

ذقن والده باستمرار ، رغم انه كان يحلقه في معظم ايام الاسبوع ، ليس يدرى لماذا يتذكر مثل هذه التفاهات ، فغمغم بأى كلام ، وفتحت له الباب الخارجي ، ولما داس على تراب الزقاق ، تنفس بارتياح وملء صدره ، وحسد نفسه ، لكنه خشي الفضيحة والاتهام بالهبب .

رجل وامرأة

للكاتب محمود شقير

كان يهبط في الشارع - وثمة ريح مسائية باردة ، تجعل الناس يغدون السير دون انتباه ، وكان يشعر بالامتعاض كلما وقعت عيناه على الشجيرات الموشاة بالكهارب الصغيرة الملونة في واجهات المحلات التجارية .

توقف بين جماعة من الناس في انتظار تغيير الاشارة الضوئية الحمراء وتشاغل بالسيارات التي تتسارى فوق صفحة الشارع ، ثم كانت منه التفاتة الى امرأة تقف في جواره ، وادرك انها كانت ترمقه دون ان ينتبه ، واذا لاحظ عينيها تنسحبان عن وجهه بارتباك اطال التفرس فيها بنظرة مشجعة ، فابتسم لها فأخذت تتشكل على شفتيها ظلال ابتسامة مديدة دون تكلف وكأنه يعرفها منذ زمن طويل ، واحتضن يدها الصغيرة ، قالت وهي تضحك بجنون :

- يدك مثلجة .

- الجو بارد ، ألا تلاحظين ؟

قطعا الشارع مع جمهور الناس ، وكانت تتمايل الى جواره في حركات دافئة ، فأحس بشيء من الانبعاث يسري في داخله لأول مرة منذ ان وطأت قدماه المدينة .

كانا يبتعدان عن الشوارع المزدحمة في صمت ، ويبدو انهما انشغلا في النظر الى الشرفات المضاءة التي يلوح عبرها أناس يتحركون في هناء ، ودغدغت الاضواء الملونه الناعسة ، وقال في هدوء حزين :

- انهم يحتلمون .

قالت في نبرة مشابهة :

- هنيئا لهم

امضيا عبر الاحياء الراقية الى متنزه تحيطه اشجار السرو ، توقفا قرب شجيرات متشابكة ، حقن فيها واستشارته قسمات وجهها .

مد يده في محاولة لمداعبتها ولكنها استبعدته بسرعة لم يكن يتوقعها ، فانطرحت على الارض فوق الاعشاب المبللة ، وتراقى جسدها ، فأحس انه امام جثة ، اقشعر بدنه وصاح في برود قائل :

- انهضي - اقول انهضي :

نهضت ، وكانت تغرق في الذل والاسى ، صفعها بقسوة وصاح في وجهها :

- انخدعت فيك .

اندفعت هاربة ، وكان حذاؤها ينقر وجه الشارع مخلفا فرقعات حادة ، اما الرجل فقد عاد .

كل أهل المخيم يقولون انها امرأة مشؤومة ، ويحلو لبعض النساء ان يقلن ان وجهها منحوس ، فأينما ذهبت حل النحس يا لطيف ! ويبني الناس رأيهم فيها على العديد من الحوادث التي مرت في حياتها ، فحين كانت طفلة ، كانت امها تغادر البيت وتنساها وحيدة يوم كان الاعداء يتقدمون صوب القرية لامتلاكها ، كما ينسب الناس مقتل ابيها في الحرب الى خالها السيء ، ويعتقدون ان وجهها المشؤوم كان سببا في العاصفة التي اقتلعت الواح الزينكو من فوق سطوح الاكواخ في المخيم وادت الى مقتل احد اخوتها .

وما زال الناس يتذكرون مصير خطيبها الاول ، اذ حينما كبرت وتفتحت انوثتها توارد الخطاب يطلبون يدها ، وفاز بها واحد من شباب المخيم كانت معجبة بقامته الفارعه وتقاطيع وجهه السمراء ، ولما اندلعت حرب أخرى في المنطقة تطوع خطيبها للدفاع عن أرضه بقطعة سلاح قديمة ، وقتل في الساعات الاولى من المعركة .

وحينما انتهت الحرب ، كانت البنت قد قطعت مع امها واخوتها والكثير من أهل المخيم جبالا وسهولا ، ومرت فوق جسر يتهاوى من تحته نهر ، واستقر بها المقام في مخيم يقع قرب مدينة كبيرة ، وهناك جاءها ابن الحلال ، وكانت قد نسيت خطيبها الاول ، فتزوجته ، وقبل ان تمتد حلاوة العيش معه كان قد قتل ، انهمر اهل المخيم وقالوا :

كم هي مشؤومة هذه المرأة .

عاد الرجل يزيح الشوارع الباردة ، وهو يمتلىء بالحمق والنفور ، وكانت عينه تدور في حركات متفاقية وكان يبحث عن شيء لا يستطيع تحديده كان يشعر بالتقزز كلما استنحت ... بالشجيرات المزدانة بالكهارب الملونة وانتبه الى تناقض الناس في الشوارع كانوا يمضون في عجلة واذا توقفوا امام الاشارات الضوئية ظلوا يتململون وقتهم كان شيئا غامضا يضعك في نفوسهم ويبعث القلق في ملامحهم .

فوقف مذهولا قرب احدى الواجهات الزجاجية المضاءة ، كانت امرأة تصفر مثل القطة والدموع تحفر قنوات صغيرة فوق خديها ، ثم ... ملتهبة تحت وهج الاضواء المترسبة من كل جانب ، جدق طويلا وكأنه لا يصدق نفسه : كانت نفس المرأة التي صادفها في المساء وهربت منه

بعد ان صفعها ، سيطر عليه الوجوم فيما هو يتابعها وهي تبكي وداخله احساس بأنه اخطأ في الحكم عليها ، والا ما معنى ان تجلس هنا وهي تبكي ... وداخله احساس بأنه أخطأ في الحكم عليها ، والا ما معنى ان تجلس هنا ايضا وتنخرط في البكاء ، وانصلب غير بعيد عنهما لا يدري كيف يمكن ان يكف عن تصرفه الخاطيء منهيا لمشاعر الحزن والشفقة .

أبصرته يحدق بها ولكنها تجاهلته في بادىء الامر وحينما كان يفضي كانت تسترد اليه بعض النظرات ، فتراه حائرا متأثرا ، ولما تطاول الوقت بدأت تشعر بالانجذاب نحوه من جديد وقال في صوت متعثر :

- أسأت الظن بك .

شهقت عدة مرات ، ثم جففت دموعها وما لبث ان مد يده التلقائية التي فعل فيها أول مرة ، قبض على يدها وسارا معا يعبران الشوارع المقفرة تحت لسع التيارات الهوائية الباردة وقال :

- انهم يختلفون داخل البيوت . واضافت بعد صمت قصير :

ما أمل الدفء والنور والضحك !

قالت بصوت كئيب :

هربت الليلة من المخيم بعد ان زهقت البرد والظلام .

كانا يقتربان في المنتزه ، وكان يحس بالدفء يعبق من جسدها كلما لامسها بعفوية افلت يدها ، وانقض بكلتا يديه على طرفي ثوبها ومزقه بحركات متوترة ، فانكشف فخذها ، حاول تطويقها بذراعيه ولكنها فرت منه .

اعـــلان بـــراءة (١)

للكاتـب خليـل السواحـــري

كان بهلول يتمتع بامتيازات عريضة تتعـدى في كثير من الاحيان امتيازات المختار، وقليلون جدا هم الذين يعرفون على وجه اليقين متى وكيف أصبح هذا الرجل شيخا لهذه القريـة، فكـــل ما يعرفه الناس ان بهلول قد أصبح جزءا لا يتجزأ من قريتهم شأنه في ذلك شأن الاشجـــار والازقة او شواهد القبور التي كان عادة يجلس عندها يقرأ القرآن في شهر رمضان او الاعياد.

أما أجيال الأولاد المتتالية فكلها تمر بلا استثناء في مرحلة تقليد حركات وعبارات بهلول التي يظل يرددها في الموالد النبوية والمواسم الدينية وحتى ان منظر الاولاد وهم يتحلقون فيـــي حارات القرية يتمايلون وهم يصيحون: الله حي ... الله حي ... قد أصبح جزءا هاما من الالعاب التي يمارسها الاولاد جيلا بعد جيل.

وقد كان المختار يرتاح لوجود الشيخ بهلول الى جانبه اذ لا يعدم الشيخ ان يتلو آيـة مـــن القرآن او حديثا يدعم به حجج المختار اذا لاحظ انها بحاجة الى مثل ذلك، واحيانا كـان الشيخ يختتم احدى خطب المختار بهـيت من الشعر حتى انه اصبح يوما بعد يوم جزءا اساسيا من حاشية المختار وظلا له، وكما قال عنـه محمد الازعر: انه الذاكرة المتنقلة للمختار والمعين الذى لا ينضب من الآيات والاحاديث والاقوال في كل مسألة.

وقد كان ذلك يغيظ محمد الازعر الى حد جعله يقول كلما رأى المختار والشيخ قادميـن الـى مجلـس:-

- جاء المختار وظلـه!!

وكان الشيخ يرد عليـه:

- ايوه ظلـه، وانت انفلـق!

ويكاد الازعر ان ينفلق حقيقة ولكنه يكتم غيظه ويظل يترصد للشيخ لعله يوقعه في مطب ما، ومـا من احد يجهل الاحقاد الكامنه بين المختار ومحمد الازعر بسبب تنافسهما القديم علـــى المخترة، وما أصاب محمد الازعر بسبب ذلك من نكسات متتالية جعلتـه يصاب اخيرا باليـــأس من الوصول الى هذا المنصب، ويكتفي بالنيل من المختار والطعن به كلما سنحت له الفرصـة،

---

(١) ثـلاثـة أصـوات

وكان يزداد غيظه كلما لاحظ الشيخ بهلول يسعف المختار في كثير من الاحيان باحاديث وأمثال لا تخطر على بال أحد ولم يسبق للأزعر ان سمع مثلها على الاطلاق ، ومن ذلك ان المختار كان يتحدث ذات يوم عن ضرورة أقامة وليمة لكل ميت حتى ولو كان أهل الميت " على الحديد " ويشحدون اللقمة ، وحين أحس المختار بأن ذلك غير معقول وبأنه وقع في ورطة فظيعة ، التفت الى الشيخ بهلول وهو ينتظر أن يخلصه من هذا المأزق ، فقال بهلول على الفور :

- اى والله ، صدقت يا أبا ألفهد ، ما من أحد يموت له ميت ولم يولم له الا ظلت روحه تحوم فوق النار . (١)

وعندها أصاب محمد الازعر ذهول طويل عقد لسانه ، فمن أين أتى بهلول بهذا الحديث ، ولكنه قال :

- يا شيخ بهلول ، هل أمر الدين بتشليح الميت كفنه ؟

- أعوذ بالله ، من قال هذا ؟

- أنت تقول فاذا كان أهل الميت ينامون على الحصير فمن أين لهم حتى يولموا لك ولمعالي المختار وليمة ؟

- ليس لنا وأنما للفقراء ، وحتى تبرأ روح الميت ، ثم أنهم يستطيعون ان يستدينوا ؟

- أفرض ان أحدا لم يعطهم ؟

- لا حول ولا قوة الا بالله ! !

- يا شيخ بهلول ! لا يكلف الله نفسا الا وسعها ! حرام عليك ان تكذب في أمور الدين !

وانكسف الشيخ بهلول ولكنه تخلص من ورطته بأن قال :

- لا أستطيع أن أحضر لك الكتاب الذى ورد فيه هذا الكلام ، وبذلك استطاع الشيخ بهلول أن يحسم الموقف لصالحه .

لاحظ أهل القرية منذ مدة وجيزة ، ان تغيرا مفاجئا وغريبا طرأ على مجريات أمور الشيخ بهلول ، ان الناس يستهجنون بعض الاقاويل والبعض الآخر كان يلوذ بالصمت ، وقد حدث ان تهكم محمد الأزعر على الشيخ بهلول ذات يوم قائلا :

- ألا ليت الشباب يعود يوما .

---

(١) نفس المرجع

الا أن بهلول ظل في صمته فأضاف الأزعر قائلا :

ـ ما رأيك يا شيخ بهلول لو أحضرت لك كتاب " عودة الشيخ الى صباه "؟

فانتفض الشيخ بهلول وقال :

ـ أعوذ بالله ... ما هذا الكلام يا رجل ؟

ـ لا داعي للحياء ! إذا كان هذا الشيء في خاطرك يا شيخ بهلول فأنا على استعداد لأن أزوجك أحلى بنات القرية !

فرد عليه الشيخ بهلول :

ـ معاذ الله ! لم يبق من العمر مقدار ما مضى ، والله ما نريد الا الستر وحسن الختام .

فرد عليه الأزعر وهو غير مقتنع بما قاله الشيخ :

ـ كم من لفة تحتها شيطان !

قال الشيخ وهو ينفض صدر جبينه :

ـ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وفي ذات يوم كان الشيخ بهلول والمختار جالسين في زاوية البيت وعندها هم الشيخ بهلول ان يخطف نفسه خارج الزاوية لولا يد المختار التي امتدت بسرعة لتمسك به وصاح المختار :

ـ الى أين يا شيخ بهلول ؟

ـ المختار !!

ـ نعم المختار ؟ ومن كنت تظن ؟

ـ الحمد لله ...

ـ ماذا تفعل ؟

ـ أنا ذاهب الى الجامع وأرجو أن أراك هناك .

وحين وصل الشيخ بهلول الى الجامع كان الجامع ما يزال مضاء ، فخلع جبته ولفته ونام بهدوء .

وفي صباح اليوم التالي دعا المختار الى اجتماع عام في الجامع لكافة رجالات القرية حذرهم فيه من مغبة القيل والقال وزعم ان بعض الألسنه الدنيئة قد حاولت مؤخرا ان توسخ سمعة الشيخ بهلول الرفيعة ، وبينما كان المختار يواصل القاء خطبته البليغة واعلان البراءة التامة للشيخ بهلول كان محمد الأزعر يغادر الاجتماع وقد تأكد له ان كلا من المختار والشيخ بنقرطسوف واحد ، ومضى وهو يحدث نفسه : غدا سوف أكشف هذه اللعبة القذرة ، ولسوف اثيرها فضيحة شعواء تأكل الاخضر واليابس ، وواصل مسيرته باتجاه المقبرة .

الطـــريـــق

للكـاتب ابراهـــيم العبســي

حين وجد نفسه وحيدا في الطريق ،غمره احساس مفاجيء بالخوف فتوقف وبدأ يلتفت حولـه ويحدق في اطراف الصحراء ،كانت الصحراء تمانق الآفاق في كل الاتجاهات. . . وكانت كتـل السراب المتسا رعة فوق الرمال ،تغريه بمزيد من الجرى المعاكس . . . قال : لو ان الســراب حقيقة لركض خلفه - رفع رأسه الى السماء ،كانت السماء زرقاء ،شديدة الزرقة ،ولا أثر فيهـا لسحابة تسائل : لماذا لا يتغير السماء ؟ .

لماذا لا تصبح حمراء ،أو خضراء ،أو سوداء ،ظل فترة يحدق في السماء ،فادرك عقـــم تساؤلاته ،أحس في وقفته بوطأة الشمس فوق رأسه وجسده العارى الا من بقايا قميص، فعـــاد يركز عينيه على الطريق . . . كانت الطريق - ما تزال تحت أقدامه ،طويلة. . . طويلة، يبـدو كخط طويل يرتسم فوق الصحراء . . . ويلمع تحت وهج الشمس خطر له ان يتوقف نهائيا عـــن الجرى ،فلربما يقدر على تروبض الصحراء ذات يوم ويستطيع العيش فوقها بسلام راحت عينـــاه تجوبا الرمال ،خيل أليه في لحظة انه سمع صوت صرخة جادة في اعماقه " لا تتوقف أمضي فـي الطريق - الصحراء لا تنبت الثمر - ليس فيها غير الشوك والافاعي والسراب" شعر بجرح بالـــغ أمام نفسه وظل لحظة صارقا ،ثم عادت خطواته تدب فوق الطريق فجأة ،اقتحمت الفضاء فـــوق رأسه ،ا سراب كثير من الغربان ،حجبت دائرة الشمس وصبغت زرقة السماء بقتامات سوداء ثم راحت تحلق فوق رأسه ،في البداية تولاه خوف شديد ،اضطربت خطواته ،ترنح - كـــاد يسقط ثم همّ بالهرب عبر الصحراء .

لكنها ابدا في أثره ،لا تنفك تلاحقه ،تظل تجرى فوق رأسه وحتى تتجمع ،فتهجم وتنهـــش اشلاء من جسده ،فكر في الجري ،حتى لو استيقظت في جسده الواهف قوة جامحة ،ملعونـــة انها لا تفنى كل يوم تلد أسرابا جديدة بعد كل معركة يخوضها معها ،يعتقد انه انتصـــر عليها ،وتخلص منها الى الابد ،لكنها تعاود التظهر له بشكل مفاجيء ومن مواقع كثيرة في الطريق - شعر باحباط مميت وهو يحدق في الاسراب الهائجة ،الحائمة فوق رأسه ،وأيقـــن انه لا بد انها ستتحول الى وليمة دسمة ،تتقاسمها مخالب الغربان ،فخطر له ان يستسلـــم بهدوء ،غير ان الصرخة الجادة ،خرجت من اعماقه قوية ،وأخذ الضجيج في اعماقه يشتـــد " قاتلهغـا ،قاتلها " وفجأة كانت الغربان تنقض عليه بشراسة ،تلطمه بأجنحتها ،وتفـــرز أظافرها في وجهـه وكان نعيقها الوحشي ،يختلط بصرخاته ،فيتمزق حجاب الصمت الجاثـم فوق رمال الصحراء . وحينما تراجعت عنه بعد معركة طويلة كانت الغرافه ترشح بنزيـــف حاد ،لكنـه مع ذلك كان يحس بفرح عظيم ،فمانت خطوته ترب فوق الطريق .

منذ سنين طويلة ،وهو ما زال يسافر ،منذ جاء الى هذا العالم وهو يجرى فوق هذه الطريـق

والطريق طويلة ،لا تبدو لها نهاية ،والغربان في السماء كثيرة ،لا تنفك تهاجمه ،وتنهش أشلاءا من جسده ،لقد حاول ان يبحث عن طريق أخرى يسلكها طريق سهلة ،شمسها لا تحرق المسافر ولا تعرفها الغربان لكنه عبثا ،حاول ان يبحث فليس في الصحراء ثمة طريق أخرى ،ثم أنه لا يكاد يعرف في حياته غير هذه الطريق هي قدرة الذى لا يستطيع رده أو تغييره وليس أمامه خيار ،عليه ان يظل ماشيا فيها حتى يصل أو تمزقه الغربان .

الطريق تمتد أمامه ،ويبدو فيها كنقطة صغيرة ضائعة تتحرك في صحراء واسعة ،الشمس تصب سهاما من الجحيم فوق رأسه ،وترسم بقعا حمراء في جسده العارى الا من بقايا قميص الشوك والحصى الكثيف يعثران خطواته ،ويدميان قدميه يود لو يستريح قليلا لكن" ليس في الصحراء غير الشوك والافاعي والسراب" .

الخـــــاتمـــــــــــة

الخاتمـــــة :

لقد أعددت بحثي عن الحركة الأدبية في الأردن ، متناولا حياة الأدب الأردني مدة ربـــع قرن ، مبينا مساهمة هذا الأدب في الآداب الانسانية محددا نشوء الحركة الأدبية في الأردن وأشهر رواد هذه الحركة وعلى رأسهم الملك عبد الله الذى كان أديبا في نفسه يشجع الأدب، ويكرم الأدباء .

أخذت هذه الحركة في النمو والازدهار حتى وصلت الى مرحلة النضوج في عهد الملك الشاب، حيث ورث عن جده المحبة للأدباء والأدب ، فقرب أهل الفكر منه وأغدق عليهم الاموال ، ويسر لهم كافة السبل وذلل كافة الصعوبات التي تقف في طريقهم .

ففي مجال النثر ساهم النثر الأردني مساهمة كبيرة في النثر العربي حيث وجدت طائفة كبيرة من الكتاب يعتبرون من كتاب القصة في العالم العربي .

فظهر الكاتب القصصي الكبير محمود سيف الدين الايراني ، حيث يعتبر من أشهر كتاب القصة في العالم العربي ، ثم ظهر الكاتب القصصي عيسى الناعوري ، ومحمد أديب العامري وخليل السالوري وجمال ابو حمدان .

أما في مجال الشعر فوجدت طبقة من الشعراء ، سار قسم منهم على منهاج عمود الشعر القديم، ومن هؤلاء الشعراء مصطفى وهبي التل وحسني فريز ، عيسى الناعوري .

وأما الطبقة الثانية من الشعراء فسارت على منهاج الشعر الحديث معبرة بأشعارها عن نكبة فلسطين حيث صبغ شعرهم بهموم النكبة وأحزانها . ومن هؤلاء الشعراء : محمد القيســـي ، أمين شنار ، خليل زقطان ، عبد الرحيم عمر . ولقد بينت في رسالتي كيف تفاعل الادب مـــع الآداب الانسانية كي يرفع من قيمة الانسان اينما كان بعيدا عن كل تمييز مهما كان نوعه .

لقد جعلت بحثي هذا مكونا من مقدمة وأربعة أبواب وملخصين وخاتمة . ففي المقدمة وضحت دوافع أختياري لهذا الموضوع وفي المقدمة كشفت الصلة بين البحث وبيني ، ما سبب اختيـاري له ! .

وما المصاعب التي واجهتني في الدراسة ، وما المنهاج الذى سرت عليه أثناء البحث ! !

الباب الأول :-

جعلته تمهيدا عن تاريخ المملكة ، من العهد العثماني الى العهد الفيصلي ، فتأسيـــس الامارة الاردنية حتى عهد الاستقلال .

الباب الثاني :-

تكلمت عن بواعث النهضة الأدبية في الأردن والتي ساهمت في احياء الادب وهي التربيـــة والتعليم والاذاعة ، التلفزيون ، الصحافة ، المكتبات ، دائرة المطبوعات والنشر .

الباب الثالث :-

خصصته للفنون الشعرية فجعلته مكونا من ثلاثة فصول :

الفصل الاول : جعلته تمهيدا للحركة الادبية قبل عام ١٩٥٠ .

الفصل الثاني : تكلمت عن خصائص هذه المدرسة وعن أغراضها الشعرية وعن اشهر شعرائها . ثم تكلمت عن المدارس الأدبية للشعر الأردني وهي مدرسة الشعراء المحافظين التقليدية ، ومن أشهر أعلام هذه المدرسة :- عيسى الناعوري ، حسني فريز ، حسني الكيلاني ، كمال عبد الرحيم رشيد .

الفصل الثالث : مدرسة الشعراء المجددين :-

تكلمت عن خصائص هذه المدرسة ، وعن فنونها الشعرية ، الشعر الوطني والغنائي ، والمسرحي ، والقصصي .

أشهر أعلام هذه المدرسة :-

عبد الرحيم عمر ، أمين شنار ، فدوى طوقان ، عبد الله الشحام ، نزيه قسوس ، خالد الساكت ، عبد الله منصور ، محمد حمزة ، وليد سيف ، علي فودة ، محمد القيسي ، تيسير سبول .

لقد ترجمت لحياة هؤلاء الشعراء وأوردت نماذج من شعرهم وحللت هذه النماذج ، ثم وضحت خصائص كل شاعر .

الباب الرابع : بدأته بتمهيد للفنون النثرية ، ثم بينت أقسامها ومذاهبها وخصائصها ثم تكلمت عن عناصر العمل الأدبي ، وعن المذاهب الأدبية للادب الاردني وهي :-

المذهب الرومانسي والواقعي الاشتراكي والقصة الرمزية والقصة النفسية .

الفصل الاول : مراحل تطور القصة في الأردن .

مرحلة الخمسينات : تبدأ من عام ١٩٥٠ - ١٩٦٠ م :

تكلمت عن خصائص هذه المرحلة ، وعن مذاهبها الأدبية ، ثم ذكرت أشهر أعلامها : الأيراني ، الناعوري ، العامري .

ولقد ترجمت لحياة هؤلاء الأدباء ، ثم ذكرت نماذجا من أدبهم .

الفصل الثاني :-

المرحلة الثانية من تطور القصة وتبدأ من عام ١٩٦٠-١٩٧٥م .

تكلمت عن خصائص هذه المدرسة وعن مذاهبها الأدبية ومن أشهر أعلامها هم : خليل السواحري ، بدر عبد الحق ، فخري قعوار ، جمال ابو حمدان ، عدنان خالد ، روكس العزيزي ، عمر عدس ، ابراهيم العبسي ، ابراهيم الخطيب ، محمود شقيرات ، مفيد نحلة ، مصطفى صالح ، احمد عودة . ثم وضعت ملحقين للرسالة :

الملحق الاول : التعريف بالادباء المحليين الذين وردت لهم نصوص في هذه الرسالة .

الملحق الثاني : مختارات شعرية ونثرية لاشهر الادباء الاردنيين الذين وردت لهم نصوص في هذه الرسالة .

ان ثقافتنا في ربع قرن ،كانت نتاج تفاعل مستمر بين انساننا وتراثنا الذى نعيش عليه . ومثل هذا التفاعل ،لم يتم في معزل عن التيارات الخارجية التي هبت على أرض هذا الوطن ،وجواره من أجزاء وطننا العربي الكبير .

كما أن انسان هذا الوطن لم يكن في منأى بعيد لتعرضه للأحداث التي تعرضت لها الاجزاء الاخرى من الوطن العربي .

وهكذا جاءت قصائد الشعراء ،وقصص القصاصين ،وأهازيج المغنين ،وحداءات الصافرين ، وكأنها سجلات ملأى بجوامع النفس العربية وهمومها لا في شرقي الاردن وحدها بل في كل مكان من هذه البقعة من الشرق العربي .

ومن هذا الموقع الثقافي التاريخي ، يتأكد مفهومنا للثقافة الوطنية ،انها الفن الفكرى المحلي الذى يشكل أسهاما صالحا وفعالا في البناء الفكرى القومي كله . وما يلفت الى الذات ويحدق في الاعماق بنفس القدر الذى يتحسس به أشواق الاخوة ويشارك في الوصول اليها عاملا وداعيا . وبهذا المفهوم الذى يتجاوز حدود الزمان والمكان ،فيضرب في أعماق التاريخ ويتقصى مهاب الريح حين تهب . جمعت مجموعة بحوثي التي أشتملت عليها رسالتي وتناولت حياة الأدب الأردني في ربع قرن من الزمن ، حيث تناولت حياة الأدباء كل في اختصاصه ليكون بحثي هذا بحثا شاملا لحياة الأدب الأردني ،لمن يريد ان يتوسع في دراسة ثقافتنا وأدبنا الحديث .

مصادر ومراجع الرسالة

الدواوين الشعرية :

١. البتيري علي : لوحات تحت المطر : عمان ،المطبعة الاردنية ١٩٧٣.
٢. التل مصطفى : عشيات وادي اليابس: عمان ،شركة المطبعة الحديثة ١٩٥٤.
٣. حسنين حسين : ضرب الخناجر ولا : عمان ،
٤. رشيد كمال : شدو الغرباء : عمان ،مطابع الجمعية الملكية .
٥. زقطان غسان : عرس حال الوطن : عمان ،منشورات رابطة الكتاب .
٦. الساكت خالد : لماذا الحزن : عمان ،مطابع الجمعية الملكية.
٧. السيد سهيل : نداء : عمان ،دار فيلادلفيا للطباعة والنشر .
٨. السيد سهيل : تشرينات: عمان ،دار فيلادلفيا للطباعة والنشر .
٩. شقيرات أحمد : الرقص على جثث الجياع : عمان ،المطبعة التعاونية .
١٠. الشحام عبدالله : تهاليل للمجيء الثاني : عمان ،جمعية عمال المطابع الاردنية ١٩٧٦.
١١. ضمرة محمد : قافلة الليل المحروق : عمان
١٢. الظاهر محمد : عرس حال الوطن : عمان ، منشورات رابطة الكتاب .
١٣. العتيلي مؤيد : أينا يعقد المقصلة : عمان ١٩٧٦.
١٤. عمر عبد الرحيم: أغنيات للصمت : بيروت ،دار الكتاب العربي ١٩٦٣.
١٥. عمر عبد الرحيم: من قبل ومن بعد ،عمان ،منشورات مكتبة عمان .
١٦. العرقوب احمد : توقيعات على قيثارة الارض : عمان ،دار فيلادلفيا للنشر.
١٧. فودة علي : فلسطين كحد السيف : بيروت ١٩٧٣.
١٨. فودة علي : قصائد من عيون المرأة : بيروت ١٩٧٥.
١٩. فريز حسني : هياكل الحب : عمان ،١٩٥٤.
٢٠. فريز حسني : بلابل : عمان ،١٩٥٦.
٢١. القيسي محمد : راية في الريح : دمشق ،المسرح العربي الفلسطيني ١٩٦٩.
٢٢. القيسي محمد : خماسية الموت والحياة : بيروت،دار العودة ١٩٧٠.
٢٣. القيسي محمد : الحداد يليق بحيفا : بيروت،دار الاداب ١٩٧٥.
٢٤. القيسي محمد : رياح عز الدين القسام : بغداد : وزارة الاعلام ١٩٧٤.
٢٥. القسوس نزيه : يوميات حزيران : عمان ،١٩٧٢.
٢٦. لافي محمد : الانحدار من كهف الرقيم : عمان ،١٩٧٥.

٢٧. لافي محمد : مواويل عن الغربة : عمان ١٩٧٣.
٢٨. المشيني سليمان : صبا من الأردن : منشورات مكتبة عمان ١٩٧٠.
٢٩. الناصرة عز الدين : باجس ابو عطوان : بيروت ١٩٧٥.
٣٠. منصور محمد : رنين القوافي : عمان ١٩٧٣.
٣١. الناعوري عيسى : أناشيدي : حماه : دار الرائد العربي ١٩٥٥.
٣٢. الناعوري عيسى : أخي الانسان : حلب : دار الرائد العربي ١٩٦٢.

القصـــــــــص

١. الايراني محمود : أول الشوط : مطبعة الفجر ، يافا .
٢. الأيراني محمود : مع الناس : منشورات دار النشر والتوزيع ، عمان .
٣. الأيراني محمود : ما أقل الثمن : منشورات دار النشر والتوزيع ، عمان .
٤. الأيراني محمود : حتى ينتهي الليل : منشورات دار الكاتب المصرى .
٥. الأيراني محمود : أقاصيص من الغرب والشرق : عمان ، المطبعة الوطنية .
٦. الأيراني محمود : أصابع في الظلام : عمان ، وكالة التوزيع الأردنيـــة .
٧. حمدان جمال : أفراح كثيرة وثلاثة غزلان : بيروت ١٩٧٠ .
٨. خالد عدنان : الذاكرة والزمن : عمان ١٩٧٣ .
٩. خالد عدنان : أوراق الربيع : عمان ١٩٧١ .
١٠. السواحرى خليل : مقهى الباشورة : عمان ١٩٧٢ .
١١. السواحرى خليل : ثلاثة أصوات : عمان ١٩٧٥ .
١٢. شقير محمود : خبز الآخرين : عمان ١٩٧٥ .
١٣. عباس أديب : عودة لقمان : عمان ١٩٥٧ .
١٤. عباس عبد الحليم : ابطال المقيدة : عمان ، ١٩٦٩ .
١٥. عودة أحمد : حيث لا ينفع البكاء : عمان ١٩٧٣ .
١٦. العبسي إبراهيم : المطر الرمادى : عمان ١٩٧٥ .
١٧. قعوار فخري : لماذا بكت سوزى كثيرا : عمان ١٩٧١ .
١٨. محمود فايز : العبور بدون جدوى : عمان ١٩٧٠ .
١٩. موسى عصام : حكاية الفارس المدحور : عمان ١٩٧٢ .
٢٠. الناعوري عيسى : طريق الشوك : عمان ، مكتبة الاستقلال ١٩٥٥ .
٢١. الناعوري عيسى : خلي السيف يقول : حلب ، دار الرائد العربي ١٩٥٥ .
٢٢. الناعوري عيسى : بيت وراء الحدود : بيروت ، منشورات عويدات ١٩٥٥ .
٢٣. الناعوري عيسى : فارس يحرق مداته : القاهرة : دار المعارف ١٩٥٥ .
٢٤. الناعوري عيسى : أطفال وعجائز : عمان ١٩٦٠ .
٢٥. النحاس سالم : أوراق عاقر : عمان ١٩٦٨ .
٢٦. نحلة مفيد : حكاية الأسوار القديمة : عمان ١٩٧٣ .

قائمـــة المصـــادر والمـــراجـــــع

١. الأسد ناصر الدين : الشعر في الأردن وفلسطين : القاهرة ١٩٦٠.
٢. الأسد ناصر الدين : الأتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن : القاهرة ١٩٦٣.
٣. البحيري صلاح الدين : جغرافية الأردن : عمان ١٩٧٣.
٤. سلطة السياحة الأردنية : الأردن حقائق ومعلومات : عمان ١٩٦٢.
٥. طبيان تيسير : الملك عبد الله كما عرفته : عمان ١٩٦٠.
٦. العابد محمود : من تاريخنا : عمان ١٩٦٣.
٧. العابد محمود : ثقافتنا في خمسين عاما : عمان ١٩٧٢.
٨. العزيزي روكس : صفحات من التاريخ الأردني في حياة البادية : عمان ١٩٦٥.
٩. العودات يعقوب : أعلام الفكر في فلسطين : عمان ١٩٧٦.
١٠. كتاب الأردن السنوي : وزارة الاعلام : دائرة المطبوعات والنشر : عمان ١٩٧٥.
١١. الماضي منيب : تاريخ الأردن في القرن العشرين : عمان ١٩٧٥.
١٢. محافظة علي : الأردن في عهد الأسارة : عمان ١٩٧٣.
١٣. ياغي عبد الرحمن : حياة الأدب الفلسطيني الحديث : بيروت : المكتب التجاري ١٩٦٨.
١٤. ياغي هاشم : القصة القصيرة في فلسطين والأردن : عمان ١٩٦٦.